

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

تخصص: فلسفة العلوم

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

## فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي وأثارها في التوجيه الحضاري

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة العلوم

إشراف الدكتور:

صالح نعمان

إعداد الطالب:

عمر بن بوذينة

### أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
د. فرحات عبد الوهاب	رئيسا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة
د. صالح نعمان	مشرفا مقرر	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة
د. رشيد دحدود	عضوا مناقشا	أستاذ محاضر	جامعة منتوري - قسنطينة

السنة الجامعية: 1430-1431هـ / 2009-2010م

# الاعتراف

إلى كل من .. تقرح ما آقيه .. وغارت

وأضاء وجهه .. عن سفر شحوب

بعد أن أباه القطيع .. ولفظنه أرضه ..

... لينشب في السماء ...

في سيل عودة ما سلب .. وأوبته ما استيخ

عمر

# شكر وقدير

بعد إتمام أجزاء هذا البحث، وكمال جهده، واستنفاد وسعه، أجدني - في مقامي هذا - ملزماً أن أصل كل من ساهم فيه بالمدح والثناء، مع جزيل الشكر والتقدير والامتنان . أتوجه بذلك إلى الدكتور «صالح نعمان» الذي تفضل بإشرافه على البحث ورعايته ومتابعته لأطواره بصبر وأناة . . . كما أتقدم بآي الشكر من باب الفضل إلى أهل الفضل أساتذتي مؤطري دفعة " فلسفة العلوم " وهم من تجلت فيهم معاني الروح العلمية والأخلاق الرفيعة وسعة الأفق . . فأفاضوا بالعلم والأدب

كما أتوجه بأسمى عبارات التقدير والاحترام إلى كل من الدكتور :

«عبد المجيد عمر النجار» الذي أمد البحث بمعاله الكبري وشجعني فيه، وإلى الدكتور

«فتحى حسن ملكاوي» لتوجيهاته ونصائحه، وكذا حرصه على العناية الفائقة

بالبحث ودقته المنهجية .

ودون أن أنسى أولئك الذين أحاطوني بالرعاية ولم يرضوا علي بكل ما أحتاج أصدقائي

في كل مكان .

# المفظة

جامعة الأمير عبد القادر  
مجمع العلوم الإسلامية

## المقدمة :

تكتسي الدراسات الاستمولوجية أهمية بالغة في العصر الحديث ، ولهذا يتسع نطاقها في السنين الأخيرة بشكل مضطرد وسريع ؛ ذلك الاتساع الذي أبان عن حركية للعلم تطلبت تدخلا إنسانيا وإرادة بشرية ؛ جعلت الوعي والعلم من خلاله حركة بشرية فاعلة ؛ باعتبار أن العلم حركة اجتهادية لم تنفك عن وعي الإنسان وفعله في إطار النشاط الحضاري ، وباعتباره - أي العلم - يمثل المعرفة النظرية والتطبيقية ؛ والتي يراد من خلال الوصول لها تحديد التطبيقات الأساسية للعلم في حياتنا بهدف تنظيمها في إطار وظائف العلم الاجتماعية ، ومن هنا فإن العلم لا يتعلق فحسب بمعرفة عوالم الأشياء أو الظواهر في ذاتها ، وإنما يتعداها إلى تأسيس النظرية والمنهج لتطبيق نتائجه وفق النظام المعرفي المخصوص أو السائد .

وعلى مفهوم النظرية والمنهج ؛ تشكل المنظور المعرفي الإسلامي ، وتأسست وظيفة العلم في الفكر الإسلامي ؛ التي تُعنى بالتقدم العلمي كأحد شروط النهضة ، وهي الوظيفة التي تحكم بنية المنهج العلمي الإسلامي في إطار من التواصل الحضاري المبني على مجموعة القيم الروحية والأخلاقية . وقد كان مبحث تصنيف العلوم - باعتباره رافدا من روافد العمل المنهجي - يقر بتدخل تلك الأبعاد الإيديولوجية والأخلاقية ، والتي عكست حقيقة كل الخصائص الفكرية والثقافية لذلك المنهج الإسلامي في العلوم ، وشكل المبحث زاوية مهمة وأساسية في صياغة النسق الفكري الإسلامي من خلال ارتباط فلسفة تصنيف العلوم بالإطار الحضاري في صورة تطويع منهج التفكير لتحقيق غايات أخلاقية وتربوية في تناول العلوم وعلاقتها وتطبيق نتائجها ؛ التي تنعكس على معيشة الإنسان واجتماعيته ، وعلى حل مشاكله بالعمل الجاد والمستمر ، وتوجيهه في كافة مجالات الحياة الاقتصادية ، السياسية ، التربوية ، العلمية ... الخ .

ولما كانت الخطوة الأولى في أي علم من العلوم هي رسم حدوده وبيان أجزائه ، وعلاقتها ببعضها وبغيرها من العلوم - ذلك أن شرط قيام العلم أن تكون هناك طريقة نظوي تحتها شتات الوقائع والمفردات المبعثرة ، بغية تفسير ما بينها من روابط أو علاقات تنظمها قوانين - كان حرص علماء الحضارة الإسلامية أن يستأنفوا موضوع العلوم ، إذ ليس من شك أن تصنيف العلوم يتصل اتصالا وثيقا بالمنهج عند العالم .

وعلى هذا النحو ؛ توفر في تاريخ الحضارة الإسلامية نشاط معرفي ذو رؤية إسلامية ، ونموذج معرفي متكامل ذو إنتاج ثري ؛ يعكس بحق منهجا إسلاميا في فلسفة العلوم من خلال نموذج تصنيف العلوم الذين نحن بصددده ؛ من خلال عنوان بحثنا " فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي وآثارها في التوجيه الحضاري " .

- هذا البحث يستمد أهميته من كونه يقع ضمن دائرة بناء المنهجية الإسلامية ؛ التي تجعل عمليته من النظريات والمفاهيم كأدوات موصلة ، ووسائط واصلة بين العلم والنظرية والمنهج والنموذج والأدوات والأساليب والآليات المنهجية ، وربطها بعناصر الرؤية الكلية كمقدمة للفهم الكلي للوجود من خلال تحديد التطبيقات الأساسية للعلم وفق الإطار العام له وهو الانتماء الحضاري تد فيه من قيم ومسلمات تحكمه وتعبر عنه ، ولن تتأتى تلك التطبيقات إلا من خلال عمل مؤسس على الرصد الدقيق والموضوعي لبنية المعارف والعلوم ؛ من خلال تصور منتج يقوم على مجموعة من المفاهيم الشمولية لقضايا الكون والإنسان ، ثم البحث في أصول الفاعلية والتمكن بالعلم ثم واقعيا متميزا .

- ومما لا شك فيه أن البحث المنوط بـ : " فلسفة تصنيف العلوم " يتوجه بالأساس إلى مرحلة تاريخية للفكر العلمي عند المسلمين ليس بقصد العودة إلى مستوى تلك العلوم في تلك الفترة بل العودة إلى مناخ تلك العلوم ، ورؤيتها للكون وللوجود وللإنسان بما فيها من أساسات فلسفية ودينية ؛ تتخذ منطلقا لبناء العلوم وتنسيق تكاملها .

- فالوضع الراهن للمعرفة الإنسانية لا يخلو من أزمة الغموض ، وضياح الوجود بما في ذلك التحقق العيني للذات الإنسانية المرتكسة في أطوار الشك والترقب بفعل فلسفات ما بعد الحداثة المبهمة ، والمرتكنة إلى النسبية المعرفية المطلقة .

ومن هنا فإن البحث يهدف إلى تأصيل الفكر المنهجي من خلال العودة إلى الجذور الأساسية . والتمكن من العلوم الأصلية لثرائها وتمثلها ، ومن ثم استئناف البناء على الأصول الحضارية والثقافية الإسلامية عن طريق وصل تلك العلوم بواقع الحياة ؛ بعد أن أصبحت تجريدات أقرب إلى التاريخ منها إلى الواقع .

إضافة إلى أزمة التلقيح المنهجي الذي يعبر عن تكريس واقع حضاري بغير مقياسه الصحيح ، وعلى هذا تبدو ضرورة الوعي المنهجي التي ينشدها البحث من خلال :

- الوعي بالمادة ومصادر التنظير المنهجي الإسلامي والوعي بالإمكانات المنهجية الغربية المتاحة ومراجعتها ، والوعي بالتطبيق المنهجي ، والتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي ، والوعي بالتصنيف المنهجي ، والتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي ، وأخيرا القدرة على ترجمة ذلك الوعي في عسبة متصلة غير مقطوعة عن النظام المعرفي الإسلامي .

وهكذا فإن هذه الدراسة تقع ضمن سلسلة البحوث التي تروم إعادة التوازن للنظام المعرفي وإعادة تفعيله من خلال التوجيه الإسلامي للعلوم ، أو التأصيل الإسلامي للعلوم ؛ الذي يضمه مبحث " تصنيف العلوم " كجزء من بنية ذلك النظام في تفعيله في إنتاج المعرفة ، وتوظيفها وتوجيهها ؛ من حيث هو بحث في الهوية الحضارية للأمة المسلمة ؛ من خلال تقديم تصور إسلامي لفلسفة العلوم المعاصرة في مجال التطبيق ... وأي إسهام في بناء النظام المعرفي وبلورته هو إسهام في الالحضاري للأمة ، وبيان للمتطلبات اللازمة لوضع قواعد النهضة ، والجهود المبذولة من أجله على أسس معرفية .

- وقد اخترنا موضوعنا هذا لأسباب ذاتية وموضوعية ، تتعلق الذاتية منها بمحاولة الكشف عن الحقائق الهامة التي يغفلها كثير من الباحثين ، وهي أن أصحاب التراث الإسلامي قد التزموا أمثال المنهج العلمي وقواعده ؛ من خلال الجمع بين معارف الوحي والأداء الحضاري ، ولن تتأتى تلك المحاولة إلا بالتعامل مع أكبر عدد من المصادر في الفكر الإسلامي بما يتيح لنا تعميق التصور ، وتشخيص الصورة ، وهي رغبة شخصية وشغف ، خاصة أن الموضوع ذو صلة بالبحث المنهجي إضافة إلى القلق الشخصي الذي يساور عن صور ذلك الذهول عن أصالة المنهج العلمي الإسلامي والاستهتار بحيثياته .

أما الأسباب الموضوعية فهي تتصل أساسا بعمق الأزمة المعرفية المعاصرة التي لا تزال نثن تحت وطأها بسبب التراجع الفكري والمعرفي والثقافي ؛ بسبب تناسي الأمة لخصوصياتها المعرفية ، والاحتكاك غير المنضبط أو المبرمج بالغرب ، وبسبب افتقار العلم المعاصر إلى حلول وجودية شمولية لأزماته التي أفرزت مفاهيم غير واقعية وغامضة أحيانا على العقل المسلم ، إضافة إلى تلك المعارك الوهمية والمفتعلة بين الأصالة والمعاصرة ؛ التي ولدت فوضى فكرية اكتسحت البيئة الثقافية للمسلمين ، وشكلت أزمة في المنهج ؛ ما الفكك منها إلا بإحياء ذلك الوعي المنهجي الذي تمدد التراث العلمي الإسلامي الأصيل ، واكتساب فقه التطبيق الحضاري .

- ذلك الوعي المنهجي الذي ينشده بحثنا من خلال التنقيب في نماذج تصانيف العلماء المسلمين واستجلاء عناصر ذلك الحضور المنهجي في العمل التصنيفي ولا ننكر أن هذا المبحث " تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي " قد كان له حضوره في المكتبة الفلسفية العربية من خلال ما لمسناه من بحوث جادة ، كان بحثنا أحد آفاقها ، ونذكر من البحوث :

- " تصنيف العلوم عند العرب ودراسات أخرى " لأحمد عبد الحليم عطية ، والذي عرض فيه أنواع تصنيف العلوم كالأبستيمي والأنطولوجي والديني... الخ ، ونمذجة ذلك ببعض المفكرين المسلمين الذين صنفوا العلوم .

- " فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة العلوم وهو كتاب صغير لخالد الحديدي ، وجاء فيه ذكر لطرائق تصنيف العلوم عند بعض الفلاسفة الأروبيين ، وكذا عند بعض الفلاسفة المسلمين (رؤية داخلية) .

- إضافة إلى مقال للدكتور عبد المجيد النجار بعنوان " تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي بين التقليد والتأصيل " وهي دراسة مهمة في مجلة المعهد العالي للفكر الإسلامي ، يعرض فيه الدكتور لتصنيف العلوم عند اليونانيين ومن شايهم من المفكرين المسلمين ، ثم عرض تصنيف العلوم بذكر نماذج من الوجهة التأصيلية ، مع تركيزه على الداعي العقائدي الإسلامي .

أما دراستنا فهي تعرض لموضوع تصنيف العلوم من حيث هو ثمرة وآلة للنظام المعرفي الإسلامي كنسق مفتوح للفكر الإنساني ، وبالتالي موقع مبحث تصنيف العلوم من الهوية الحضارية للأمة المسلمة ؛ من خلال ذكر بعض النماذج لكل وجهة فكرية ، ومآلات تشغيلها للبناء المنسجم بين الوحي المسطور والكون المنظور .

- وكان اعتمادنا في إثبات ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع ؛ تتصل أساسا بعنوان البحث وهي على شقين : شق حيث المصادر الرئيسية التي جاءت فيها مادة التصنيف ، مثل : "إحصاء العلوم" للفارابي ، "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم" لابن الأكفاني ، و"مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم" لطاش كبرى زادة ، و"كشف الظنون" لحاجي خليفة ، وكذا "الرسائل" لإخوان الصفا ، و"مقدمة ابن خلدون" ، و"إحياء علوم الدين" للغزالي... إلى غير ذلك من المصادر الأصلية العديدة ؛ والتي جاء فيها ترتيب العلوم .



أما الشق الثاني فهو للمصادر والمراجع التي تتعلق بموضوع فلسفة العلم الإسلامية وغيرها ، ومنب كتب الفكر الإسلامي ، والفكر العلمي بصفة عامة ، ومراجع تاريخية أخرى حول النظام المعرفي الإسلامي ، والحضارة الإسلامية نذكر منها :

- " تطور الفكر العلمي عند المسلمين " لمحمد الصادق عفيفي ، و" العلم ومناهج البحث في الحضارة الإسلامية " لنادية حسين صقر ، وكتاب " الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث " لجلال مظهر ... ، وكتب إسلامية المعرفة : كـ"أزمة العقل المسلم " و" قضية المنهجية في الفكر الإسلامي " .. وغيرها لعبد الحميد أبو سليمان ، وكذا كتب عبد المجيد النجار . وطه عبد الرحمان ، وأحمد عروة .. والكثير من الكتب الهامة التي لا يسع المقام لذكرها .
- ودون أن نغفل عنوان البحث الذي ينشد الأساسات الفلسفية للعمل التصنيفي عند المسلمين . وتأثيرات تلك الفلسفة على المستوى الحضاري ؛ ما يبرز لنا مجموعة من المعطيات التي يتخذها بحثنا سلفا سنداً في معالجة حيثياته ، ومنها تلك الرؤى الوجودية الفلسفية والدينية ؛ التي اتخذها المفكرون المسلمون منطلقاً لبناء مختلف العلوم وتوجيهها ، وعلى هذا فالسؤال العام الذي يطرح هو : - هل إقامة العلوم على أساس الرؤى الكونية يعني اتخاذ هذه الرؤى مقدمات منهجية في العلوم ؟ أم يعني بناء روح العالم ورؤيته للوجود ؟.
- هذا السؤال الكبير يطرح مجموعة من الأسئلة والإشكاليات لعل منها :
- ماذا يراد بالعلم والمعرفة ؟ - وما قيمة الرؤية التوحيدية الكونية في مختلف العلوم ؟.
- وما هي العلاقة بين القيمة العلمية والقيمة المعرفية ؟.
- تلك الإشكاليات التي تطرح نفسها من خلال مبحث تصنيف العلوم - الذي يقر بتدخل النظام المعرفي الخاص - ومن خلاله حريٌّ بنا أن نتساءل :
- هل يمكن بناء علوم على قاعدة الرؤى الكونية والمعرفية الإسلامية ؟ وكيف يمكننا - ونحن نتعامل مع المنتج الغربي - أن نتوفر على قاعدة سليمة للتعامل مع الرؤى الوجودية والمعرفية التي تتوارى وراء الأنشطة العلمية ؟.
- وما مدى توفر المفكرين المسلمين على الرؤى الوجودية والمعرفية المنتجة في البيئة العلمية الإسلامية ؟ - وما هي آثارها على مستوى الانجاز الحضاري ؟.
- تلك الدعاوى والفروض ترهن عملية البحث وفقها ، وعلى ضوءها ينطلق تصميمه وتنسيقه وفق مجموعة من المناهج التي ازدحمت على إثر عنوانه ، ومن هذه المناهج التي سنسلك :

المنهج الاستقرائي مع المنهج التحليلي النقدي ؛ وذلك بعرض وإبراز فلسفة تصنيف العلوم عند كل مدرسة فكرية ، وموقعها من النسق المعرفي الخاص والعام ، ومن ثم تحليل الوحدات الجزئية وبلورتها ، أين يبرز المنهج المقارن حين نقارن بين فلسفة كل مدرسة فكرية بهدف مقابلة الأفكار المتوازية ، حتى تتسنى معرفة المنطلقات والمآلات ، إضافة إلى المنهج التاريخي النقدي المتوجه إلى تتبع حركة النشأة والتطور ، وكذا رصد الإنجازات الحضارية .

- وما يذكر في هذا الباب مجموعة الصعوبات التي واجهتنا في مختلف أطوار البحث ، حيث إن التوجه العام للبحث تطلب تركيزا خاصا حول بحث الأساسات الفلسفية في العمل التصنيفي . وهو ما جعل البحث يسير في اتجاه حذر ، سرعان ما انفلت نظير العقلية الموسوعية التي تطبع بها المفكرون المسلمون ؛ والذي أدى بالبحث إلى الاستعانة بمؤلفات أولئك المصنفين الأخرى ؛ لنسج النسق الفكري لكل مصنف .

إضافة إلى تلك الصعوبات المتعلقة بمحيط البحث ، ومنها رفض المجتمع لتبني أفكار تطوير البحث العلمي والاستهتار بها ، وكذا الصور النمطية لذلك الاعوجاج الذهني الذي يطبع كثيرا من مثمنين هذا الزمان ومتدينيه .

- وفوق هذا فإن البحث يتحدد شكله العام من خلال ما تقدم في صورة أربعة فصول ؛ يندرج تحت كل فصل أربعة مطالب .

نتناول في **الفصل الأول** ما يتعلق بالعلم وتصنيف العلوم . حيث جاء المبحث الأول في العلم وفلسفته في المنظور الإسلامي وعن المعرفة في التصور الإسلامي .

وفي المبحث الثاني يكون الحديث عن مفهوم العلم وتاريخه عند المسلمين مع مجموعة من النماذج ، كمقدمات لمتعلقات تصنيف العلوم ، وهو ما كان في المبحثين الآخرين . حيث جاء الثالث في تعريف التصنيف وأسس وأنواعه ثم تصنيف العلوم (مفردا) . وفي المبحث الرابع عن أهمية علم تصنيف العلوم ؛ نتحدث فيه عن ضرورة وتاريخ تصنيف العلوم .

أما **الفصل الثاني** : فجعلناه لتصنيف العلوم عند غير المسلمين ؛ لرسم صورة واضحة وشاملة من خلال مقارنة السابق واللاحق .

تناولنا في مبحثه الأول تصنيف العلوم في الفكر اليوناني ، (من خلال نموذجي أفلاطون وأرسطو) . ومبحثه الثاني عن أساس تصنيف العلوم في الفكر اليوناني .

ثم انتقلنا في المبحث الثالث إلى تصنيف العلوم في الفكر الغربي بعرض نماذج لتصنيف بعض الفلاسفة الأوروبيين ، وتناولنا خصائص تصنيفهم للعلوم ، وكذا أساسات التصنيف عندهم في المبحث الرابع .

أما الفصل الثالث : فمادته الرئيسية جعلناها لفلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي وأداؤه الوظيفي ؛ من خلال تصنيف العلوم في المدرسة الفلسفية التقليدية وأساس تصنيفها في المبحث الأول . وحول تصنيف العلوم في المدرسة الدينية التأصيلية وأساسه في المبحث الثاني . والمبحث الثالث حول تصنيف المدرسة العلمية وأساس تصنيفها ، من خلال نماذج عملية تتصل بكل مدرسة من المدارس الثلاث . وأفردنا في المبحث الرابع الآثار الوظيفية لفلسفة تصنيف العلوم عند المسلمين ، وهي الآثار العقلية والدينية والتربوية .

وحتى يكون البحث ذا صبغة علمية جعلنا الفصل الرابع للأبعاد الحضارية في فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي .

حيث جاء المبحث الأول في عرض النتائج المعرفية لفلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي . وكذا الخصائص الفكرية الثقافية للمنهج العلمي الإسلامي في المبحث الثاني . إضافة إلى عرض النشاط العلمي للكيان الحضاري الإسلامي كمبحث ثالث . وحديث عن دور النظام المعرفي الإسلامي في بناء الحضارة في المبحث الأخير .  
لنتقل بعدها إلى الخاتمة التي ركزنا فيها النتائج العامة للبحث .

## 4-3- النشاط العلمي للكيان الحضاري الإسلامي :

سارت الحركة العلمية الإسلامية؛ الملتزمة بالمنهج الأصيل، في بناء المعالم الكبرى للحضارة الإسلامية التي كانت إنسانية الغاية عالمية المدى ، وكانت الانطلاقة للنهضة في عصر مشرق بالعلم مشع بالمعرفة ، منذ التأسيسات الأولى لذلك المنهج المتقوم بالوحي ، عن طريق خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم).

وكانت تلك الحركة - في مساقاتها - ذات رؤية دينية حضارية ؛ أساسها الخير والتراحم ، "وليسست الحضارة الحديثة ومكاسبها الكبيرة في كشف آفاق كثيرة من الطبيعة ، واستثمار هذه المكتشفات في المخترعات النافعة ؛ إلا نتيجة مباشرة لهذا الاتجاه ، وإتماما للطريق الذي سارت فيها الحضارة الإسلامية ؛ في مجال النظر إلى الطبيعة والبحث فيها ، والموجه لهذا التيار، والفتاح لهذا الطريق ؛ ما تضمنه القرآن ، وأيدته السنة من موقف الإنسان أمام الكون ، وتحديد صلاته به، في نطاق النظرة الإسلامية إلى الوجود".<sup>(1)</sup>

وفي انطلاقة الحركة العلمية الإسلامية ؛ كانت البوادر الأولى في بلورة المنهج العلمي بإدخال أسلوب "الملاحظة" للظاهرة الطبيعية في أدق تفاصيلها ، وكذلك "الأسلوب التجريبي" الذي أقامه العلماء المسلمون . هذان الأسلوبان كانا غريبيين على منهجية المفكرين اليونانيين القدامى.<sup>(2)</sup> وقد اعتمد المنهج التجريبي التجارب للوصول إلى حقائق جديدة ، وإلى تفسير سليم لها ، هذا المنهج يقوم على الاختبار والملاحظة ، والتسجيل والمقارنة ، والتحليل والتصنيف للظواهر ؛ من أجل الوصول إلى نتيجة معينة.<sup>(3)</sup>

ويعد "ابن الهيثم" ، و"جابر بن حيان" ، و"البيروني" ؛ هم الرواد في وضع الأسس العلمية لهذا المنهج، ويوضح "ابن الهيثم" ذلك حين يقول: «والواجب على الناظر في كتب العلوم ، إذا كان غرضه معرفة الحقائق أن يجعل خصما لكل ما ينظر فيه ، ويجعل فكرة في متنه وفي جميع حواشيه ، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه، ويتهم نفسه أيضا عند خصامه ، فلا يتحامل عليه،

(1) محمد الصادق عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1976-1977 ، ص 15 ، نقلا عن : محمد المبارك العقيدة والعبادة (ط ، دار الفكر ، بيروت 1970 ) ، ص 64 .

(2) مراد هوقمان ، خواء الذات والأدمغة المستعمرة ، مرجع سابق ، ص 95 .

(3) طارق صالح الزبيدي ، مفهوم البحث العلمي عند العرب ، بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب ، ط :

بيت الحكمة ، بغداد 1989 ، ص 87 .

## خاتمة البحث

- مقدمة

### الفصل الأول : العلم وتصنيف العلوم

- المبحث الأول: العلم وفلسفته في المنظور الإسلامي.
- المبحث الثاني: مفهوم العلم وتاريخه عند المسلمين .
- المبحث الثالث: تعريف تصنيف العلوم وأنواعه .
- المبحث الرابع: أهمية علم تصنيف العلوم وتاريخه.

### الفصل الثاني: تصنيف العلوم عند غير المسلمين.

- المبحث الأول: تصنيف العلوم في الفكر اليوناني.
- المبحث الثاني: أساس تصنيف العلوم في الفكر اليوناني.
- المبحث الثالث: تصنيف العلوم في الفكر الغربي.
- المبحث الرابع: خصائص تصنيف العلوم في الفكر الغربي.

### الفصل الثالث: فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي وأدائها الوظيفي.

- المبحث الأول: تصنيف العلوم عند المدرسة الفلسفية التقليدية.
- المبحث الثاني: تصنيف العلوم عند المدرسة الدينية التأسيسية
- المبحث الثالث: تصنيف العلوم عند المدرسة العلمية.
- المبحث الرابع: الآثار الوظيفية لفلسفة تصنيف العلوم عند المسلمين.

### الفصل الرابع: الأبعاد الحضارية في فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي.

- المبحث الأول: النتائج المعرفية لفلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي.
- المبحث الثاني: الخصائص الفكرية الثقافية للمنهج العلمي الإسلامي.
- المبحث الثالث: النشاط العلمي للكيان الحضاري الإسلامي.
- المبحث الرابع: دور النظام المعرفي الإسلامي في بناء الحضارة.

- خاتمة

## الفصل الأول : العلم وتصنيف العلوم

المبحث الأول : العلم وفلسفته في المنظور الإسلامي

المبحث الثاني : مفهوم العلم وتاريخه عند المسلمين

المبحث الثالث : تعريف تصنيف العلوم وأنواعه.

المبحث الرابع : أهمية علم تصنيف العلوم وتاريخه

## المبحث الأول : العلم وفلسفته في المنظور الإسلامي

- مدخل

- تمهيد

1-1- الإسلام والعلم

1-2- العقل وقيمه في القرآن الكريم

1-3- المعرفة في التصور الإسلامي

1-4- مصادر المعرفة في المنظور الإسلامي

1-5- منطلقات المنظومة المعرفية الإسلامية

1-6- معالم منهج التفكير العلمي الإسلامي

## مدخل

تشهد الفترة الحالية اهتماما كبيرا بتاريخ العلم وفلسفته ، خاصة فيما يتعلق بقضية التأصيل لنشأة العلم ، وأولية المنهج العلمي ، حيث يدور الجدل بين الباحثين حول الإجابة عن أسئلة من قبيل : أين ؟ ومتى ؟ نشأ العالم ، وكيف تكونت بذرة المنهج العلمي في فكر الإنسان ؟ ... إنه الفكر الذي منحه الله تعالى للإنسان ، لكي يرتقي بعقله ، ويدرك أهمية المعرفة في صنع التقدم ، وفهم حقائق الأشياء .

## تمهيد

خلال جلسة عمل في عام 1983 ، في معهد ماكس بلانك للفيزياء والفيزياء الفلكية ، الموجد في ميونيخ ، قام "سيد حسين نصر" بكثير من الفهم ، بإيجاز ناتج الايديولوجيا العلمية بقوله : « لا يستطيع الإسلام أن يقبل العلم المعاصر الذي قد يحتزل ما وراء الطبيعة إلى علم النفس ، وعلم النفس إلى علم الأحياء ، وعلم الأحياء إلى علم الكيمياء ، والكيمياء إلى الفيزياء ، وبذلك يهبط كل عناصر الحقيقة إلى المستوى الأدنى من التجلي ، وهو العالم الفيزيائي »<sup>(1)</sup> .

(1) مراد هوفمان ، حواء الذات والأدمغة المستعمرة ، تعريب عادل المعلم ونشأت جعفر ، ط 1 . مكتبة شعرون ندوية .



## 1-1 - الإسلام والعلم :

لقد جاء الإسلام خاتماً للرسالات السابقة المتزلة من قبل الله سبحانه وتعالى على البشر ، ولما جاء مشتتاً على الأصول التي اتفقت عليها كل الرسالات ، وشمل اهتمامه جوانب الحياة كافة واستجابت تعاليمه للمطالب الإنسانية الفطرية ، كما أن المرونة التي اتصف بها جعلته قادراً على مخاطبة كل العصور ، والتجاوب مع كل المستجدات .

وأول آيات القرآن نزولاً كانت تدعوا إلى القراءة والتأمل : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾<sup>(1)</sup> والقرآن الكريم دعا في أكثر من آية إلى إعمال الفكر والعقل لمعرفة سر الوجود ، كما دعا إلى الأخذ بالتجربة كوسيلة لمعرفة سنن الطبيعة المستودعة فيها .

وهذه هي أول صحيحة تسمو بقدر القلم ، تنوه بقيمة العلم ، وتعلن الحرب على الأمية الغافلة ، وتجعل الأولى في بناء كل إنسان عظيم أن يقرأ ويتعلم<sup>(2)</sup>.

لقد كان للقرآن الكريم في الحضارة الإسلامية دوراً محورياً ، فهو النص الأساسي الذي ساهم في تشكيل هذه الحضارة ، وفي طبيعة علومها ومعالم تطورها . إن الدافع الأول الذي حمل المسلمين على تعلم العلوم المختلفة من شتى المصادر اليونانية والمصرية والهندية هو وصية الإسلام بذلك في جميع الأحوال ، والتقدير الذي أولاه لأهل العلم ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(3)</sup>.

يقول "جورج سارتون" : « إنني أسأل ثانية ، كيف يمكن أن نتعرف علم المسلمين معرفة صحيحة ، إذا لم ندرك محورته حول القرآن »<sup>(4)</sup>.

(1) سورة العلق ، الآية : 1-4

(2) علي جمعة وآخرون ، بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية ، ط1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومكتبة المعهد بالقاهرة ، 1998 .

ص 298 .

(3) سورة الزمر ، الآية : 09

(4) جورج سارتون ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ج1 ، ص 7 .

لقد نادى القرآن الكريم وحث الناس على التدبر في الكون ، وأحوال الكائنات ، وحذرهم من سطحية النظر إلى آيات الله في الطبيعة : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (5) ،

﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (1) ، ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (2) .

ثم حرض القرآن الكريم على اكتساب العلم والحكمة حيثما كانت : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (3) ، حتى يدركوا عظمة الله تعالى وجلاله وعلوه ، قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّمَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (4) .

وقد كان القرآن الكريم في تصويره للكون وآياته متوجها إلى خطاب الإنسان ، وغرضه في ذلك تربوي ، يهدف إلى تقدمه في تحقيق وجوده الروحي والمادي ، وهو ما يتجلى في ذلك الربط المستديم بين الصورة الكونية على اختلاف موضوعاتها ، وبين الإنسان في جانب من جوانب حياته ، بحيث يمكن القول : إن العناصر لم يرد ذكرها في القرآن إلا في سياق يكون فيه الإنسان محورا لذلك الورد على سبيل الخطاب التربوي بصفة مباشرة أو غير مباشرة (5) .

(5) سورة الفاشية ، الآية : 17-20

(1) سورة يونس ، الآية : 101

(2) سورة يوسف ، الآية : 105

(3) سورة الزمر ، الآية : 18

(4) سورة العنكبوت ، الآية : 43

(5) عبد المجيد النجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، نقلا عن : البهي الخولي ، آدم عيله السلام (فلسفة تقويم الإنسان

## 1-2- العقل وقيّمته في القرآن الكريم :

نقطة أخرى ركز عليها القرآن الكريم واهتم بها ، وتعلّق بالعقل الإنساني الذي هو انعكاس للعقل ( الشامل ) والذي لا يمكن أن يقود إذا ما كان متوازنا وصحيحا إلى إنكار الإله ، بل وبشكل طبيعي إلى التوحيد ، ولا ينحرف إلا عندما تحطم الأهواء هذا التوازن ، وتعمى بصيرته (1) ، فإذا لم تعترض سبيل العقل عقبات خارجية ، فإنه لن يؤدي بالإنسان إلى العقلانية بمفهومها الإنساني ، بل سيتحول هو نفسه إلى أداة توحيد وطريقه للوصول إلى عالم العقول (2) .

لقد تحدث القرآن الكريم عن العقل بطريقة تكشف عن دوره الكبير ، ومكانته الواسعة في التصور الإسلامي ، ولعله من أكثر الكتب السماوية التي تحدثت عن العقل بهذه الكيفية اللافتة للنظر . والحقيقة أن القرآن الكريم ، إنما تحدث عن أفعال العقل ودوره الفعلي ، للتأكيد على ضرورة إعمال العقل ، ولكي يلفت النظر إلى أن قيمة العقل هي في إعماله ، وبهذا الإعمال يتجلى العقل عند الإنسان وتظهر حقيقته ، فالله تعالى أودع العقل عند الإنسان ليكون فعلا متجليا ومتحققا ، وهذه الحقيقة هي من أبرز ملامح ومكونات فكرة العقلانية في التصور الإسلامي .

والتأكيد على دور العقل بهذه المكانة ، والمترلة العظيمة ، له علاقة بالتواصل والتفاعل مع مستجدات الحياة ، وتعاقب الزمن ، وتطورات المعرفة والسير نحو المدنية .

ولا شك أن الإسلام دين يخاطب العقل ، ويحض الإنسان على النظر والاعتبار والتبصر ، وقد تردد في القرآن فعل : عقل ، الذي يعني ربط الأفكار بعضها ببعض ، والتعقل ، وفهم السرايين العقلية ، نحو خمسين مرة ، وثمة ما ينوف على ثلاثمائة آية تدعو إلى التأمل وتحكيم العقل (3) ، مثلما اشتمل القرآن على سبعمائة وخمسين آية كونية علمية ، احتوت أصولا وحقائق ، تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، وما وراء الطبيعة والأحياء والنبات والحيوان ، وطبقات الأرض ، والأجنة والوراثة ، والصحة الوقائية ، والتعدين والصناعة ، والتجارة والمال والاقتصاد .... إلخ (4)

(1) سيد حسين نصر ، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية ، تر : سيف الدين القصير ، ط 1 ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، 1991 ، ص 16 .

(2) المرجع نفسه ، ص 16 ، نقلا عن :

Burkhardr , fondement de lart musulmon , etuder traditionnelles 1954 pp.163 .

(3) مهدي فضل الله ، العقل والشريعة ، مباحث في الايستمولوجيا العربية الاسلامية ، ط 1 ، دار الطليعة ، للطباعة والنشر ،

بيروت 1995 ، ص 16

(4) عبد الحفيظ حسين خن : العلم والحضارة في الإسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، دط ، 2001 ، ص 23 .

## 1-3 المعرفة في التصور الإسلامي :

جاءت المعرفة في النظرة الإسلامية مقترنة تماما بالإيمان والعمل ، فإذا كان الإيمان سعيا وسلوكا ، وتطبيقا للإمكانات المتاحة ، فإن الإيمان إذعان للحقائق واعتراف بها ، فهو إصرار وإقرار واقتناع وتصديق ...

ومن هنا كان العلم والإيمان مرتبطين تمام الارتباط بالمعرفة ، فكلاهما هدف من أهدافها ، إذ تحتاج المعرفة دوما إلى اليقين ، وثجده في الإيمان ، ثم أنها تحتاج دائما إلى الكسب والفاعلية ، واستغلال الإمكانيات ، وهذا نجده في العمل .

فالتقدم العلمي مطلوب للإنسان ، إلا أن العلم وحده لا يكفي إن لم يكتمل بالإيمان ، فالإيمان لا يغني عن العلم ، والعلم لا يغني عن الإيمان ، بل هما مدرجان يسمو بهما الإنسان ، ليرى الكون أنضر وأبهى ولولاهما لبقى الإنسان لا يتجاوز الطبيعة والحيوان .

ولهذا جمع الله بين العلم والإيمان في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ﴾ (1) ، وقال : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (2) .

والعلاقة بين العلم والقرآن في المنظور الإسلامي " تشير أولا وقبل كل شيء الدهشة ، خصوصا عندما نكشف أن هذه العلاقة إنما هي علاقة اتساق واتفاق وانسجام وليست علاقة تعارض وتنافر وتناقض " (3) .

(1) سورة الروم ، الآية : 56

(2) سورة المجادلة ، الآية : 11

(3) موريس بوكاي ، التوراة والأنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث ، ترجمة على الجوهري ، مكتبة القرآن ، القاهرة

## 1-4- مصادر المعرفة في المنظور الإسلامي :

احتل النص الديني ( قرآنا وسنة ) في منظومة الحضارة الإسلامية مكانة مرموقة ، فكانت القضية والهدف خدمة النص على أي نحو كانت الخدمة .

يروى عن "ابن عباس" أنه قال : « إذا أردتم العلم فثوروا القرآن »<sup>(1)</sup> والتثوير اجتهاد فيه تأويل ، واستبصار فيه تحليل ، وتدبر فيه تدليل ، وهو ليس انحرافا ولا مناقضة ، ولا زيغا ولا معارضة ، بل استلهاما واستهداء ، وإعمالا للفكر والتأمل ، إنه استنهاض واستنباط ومساءلة وترجيح<sup>(2)</sup> .

وإذا احتل النص هذه المرتبة عندنا ، فلا بد أن نجد فيه منهجنا في العلم والمعرفة وما هي مصادره وحدوده ، فالنص في نفسه مصدر للعلم بل ولمنهج العلم<sup>(3)</sup> .

وعلى هذا يتأسس النظام المعرفي الإسلامي من تشكيلات المنظورات المختلفة التي تتساقق فيما بينها ويجد هذا النظام مردوده الأصيل في مفهوم وأبعاد (( التوحيد )) وتتمثل تلك التأسيسات الجذرية في التفاعل الثلاثي الزمني المتبادل بين : الله - الكون - الإنسان ، هذا التفاعل الذي يعبر عن نفسه بقوة في المرجعية الأولى المتمثلة في النص المهيمن .

ذلك النص الذي اعتبر أحكام العقل والحس كمصدرين للعلم مع إيضاح مدى كل منهما ، وأين يقفا ، وبالتالي وضع النص الضوابط التي تكفل استخدام العقل والحس الاستخدام الصحيح الذي يوصل إلى النتائج الصحيحة .

ووفقا للمفهوم الإسلامي ؛ فإن المعرفة هي المدى الذي تلوح في أفصاه جملة التصويبات التي تشكل الحقيقة ، والحلقة الأخيرة للمعنى .

عن طلحة بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على رؤوس النخل ، فقال : (( ماذا يصنع هؤلاء ؟ )) فقالوا : (( يلحقونه ، يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح )) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( قتل )) : (( وما أظن ذلك شيئا )) فأخبروا بذلك فتركوه ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (( إن كان ينفعهم ذلك

(1) نقلا عن : فتحي حسن ملكاوي وآخرون ، نحو نظام معرفي إسلامي ، ط 1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، مكتب

الأردن ، 1420هـ - 2000م ، ص 195 .

(3) بناء المفاهيم ، مرجع سابق ، ص 299 .

فليصنعه فإني إنما ظننت ظنا ، فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به ، فإني لن أكذب على الله عز وجل ))<sup>(1)</sup> وفي رواية أخرى قال : (( أنتم أعلم بأمور دنياكم )) .  
فقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (( إن كان ينفعهم فليصنعه )) وقوله كذلك : (( أنتم أعلم بأمور دنياكم )) إنما يشير إلى تعلم الإنسان عن طريق التجربة العملية ، كاستجابات لما يقابله من مواقف جديدة ، وحلولا لما يجابهه من مشكلات في حياته العملية .

وهذا الحديث التوجيهي عظيم جدا في أساسه وفي نتائجه ، فقد أحال الناس في الأمور الكونية الطبيعية على تجربتهم الخاصة وعلى تفكيرهم ، وجعل التفكير في هذه الأمور معرضا للخطأ والصواب ، تصدقه التجربة أو تكذبه<sup>(2)</sup> .

من خلال ما سبق يتبين لنا أن المعرفة في الإسلام ، أو ما اصطلح عليه بالنظام المعرفي الإسلامي مكونا من أربعة أبعاد وهي :

الوحي - الكون - العقل الإنساني - التاريخ ، تناظر هذه الأبعاد مستويات أربعة تمثل تدرجات الفعل .

وتعبر عن دور الممارسة في نظرية المعرفة هي : الوعي ، والمادة والتفسير والتأويل والحدث في الزمان والمكان<sup>(3)</sup> .

ويتعلم الإنسان أيضا عن طريق التفكير ، فحينما يفكر الإنسان في حل مشكلة معينة ، فإنه يقوم في الواقع بنوع من المحاولة والخطأ ذهنيا ... والمناقشة والحوار واستشارة أهل الرأي ، من العوامل التي تساعد على توضيح التفكير مما يؤدي إلى الاهتداء إلى الحق ، والوصول إلى حلول سليمة للمشكلات التي تبحث<sup>(4)</sup> .

إن الوحي كمصدر للتوجيه الإسلامي ؛ هو كلمة الله ، وإرادة الحق التي أوحى بها إلى نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغها إلى الناس كافة ، وجوهر ما يقدمه الوحي للناس هو توضيح طبيعة علاقة الإنسان بالله ، وغاية وجوده في الكون ، ودليل حركة الإنسان في الحياة ، ومصير هذا الإنسان فيما وراء الحياة .

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفضائل ج15 ، ص 116 - 117

(2) محمد المبارك ، الإسلام والفكر العلمي ، ط1 ، دار الفكر بيروت 1978 ص 37

(3) فتحي حسن ملكاوي. نحو نظام معرفي إسلامي ، المرجع السابق ، ص 169 .

(4) بناء المفاهيم ، مرجع سابق ، ص 300 .

والعقل هو موجه الإنسان ودافعه ووسيلة في طلب علم الغيب والتلقي عن رسالات الوحي ... وبهذا يتكامل المصدران الوحي والعقل مع الكون ، لتمكين الإنسان من تحقيق مقاصد الخلق وأداء دور الاستخلاف<sup>(1)</sup> ، ذلك التكامل هو السبيل العملي لبناء منهجية علمية إسلامية ، وقيام معرفة وعلوم إسلامية متميزة<sup>(2)</sup>.

إن التصور الإسلامي الصحيح الذي يتكامل فيه الوحي والعقل والكون ؛ هو التصور الذي تمكن به العلماء الأولون من سبر أغوار وأسرار السنن الكونية ، وعلى ذلك التصور فتحت آفاق جديدة تأسست عليها الحضارة والمدنية الحديثة بمنهجها العلمي التحريبي .

إن التأليف بين العقل والواقع لا يتم إلا بالمنهج الإلهي الذي جاء بالقول الفصل في كل قضايا الإنسان ، ليقود حركة الحياة بقوانين ثابتة ، يتخذ منها العقل وسيلة مقنعة للوصول إلى الحقيقة الكبرى ، فنظرية المعرفة لن تحقق أهدافها إلا إذا صيغت في إطار المنهج المستمد من القرآن والسنة النبوية ، ليعبر عن شعور العقل بعد رقيه بقدرته على تقديم إجابات عقلية وحلول مقنعة لمشاكل الوجود<sup>(3)</sup> . ووفق هذا الإطار فإن آليات المعرفة في الفكر الإسلامي تتلخص في :

- 1- الارتكاز على الوحي الذي لا يأتيه الباطل ، ففيه حقائق غيبية لا دخل للعقل فيها ، وفيه حقائق مشهودة ، أمر الله سبحانه بالتفكير فيها لتدله على خالقها ومنشئها .
- 2- دراسة السنن الكونية لعمارة الأرض وإصلاحها ، ومنع الإفساد فيها باستخدام مناهج البحث الخاصة بكل مجال من مجالات هذه السنن .
- 3- الإبداع والتجديد بتمحيص ما لدى الآخرين ، باستعمال ما يوافق الوحي ، ولا يتعارض معه ومن ثم الإبداع فيها بتجاوز المكتسبات السابقة ، بالارتكاز على مرجعية الوحي ، والاستعانة به .
- 4- استيعاب التراث الإسلامي ، المتعرف على رؤية أسلافنا لقضايا الفكر والحياة ، والنهج الذي اتبعوه في حل المشكلات التي واجهتهم .
- 5- التمكن من المعارف المعاصرة واستيعابها وقراءتها قراءة نقدية واعية وفقا للشرع الإسلامي .
- 6- ثم ربط التراث الإسلامي بالمعرفة المعاصرة ، من حيث إسهاماتها في حل القضايا المعاصرة ، والبحث عن نقاط القوة ونقط الضعف ، ومن ثم العمل على إغناء العلوم الإنسانية .

(1) عبد الحميد أبو سليمان ، قضية في الفكر الإسلامي ، ط2 ، دار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، 1995 ، ص 20 .

(2) عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، ط1 ، دار الفارئ العربي ، القاهرة ، 1991 ، ص 158 .

(3) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، ط1 ، كلية العلوم جامعة القاهرة ، 1404هـ - 1984م ، ص 18 .

والعقل هو موجه الإنسان ودافعه ووسيلة في طلب علم الغيب والتلقي عن رسالات الوحي ... وبهذا يتكامل المصدران الوحي والعقل مع الكون ، لتمكين الإنسان من تحقيق مقاصد الخلق وأداء دور الاستخلاف<sup>(1)</sup> ، ذلك التكامل هو السبيل العملي لبناء منهجية علمية إسلامية ، وقيام معرفة وعلوم إسلامية متميزة<sup>(2)</sup> .

إن التصور الإسلامي الصحيح الذي يتكامل فيه الوحي والعقل والكون ؛ هو التصور الذي تمكن به العلماء الأولون من سبر أغوار وأسرار السنن الكونية ، وعلى ذلك التصور فتحت آفاق جديدة تأسست عليها الحضارة والمدنية الحديثة بمنهجها العلمي التحريبي .

إن التأليف بين العقل والواقع لا يتم إلا بالمنهج الإلهي الذي جاء بالقول الفصل في كل قضايا الإنسان ، ليقود حركة الحياة بقوانين ثابتة ، يتخذ منها العقل وسيلة مقنعة للوصول إلى الحقيقة الكبرى ، فنظرية المعرفة لن تحقق أهدافها إلا إذا صيغت في إطار المنهج المستمد من القرآن والسنة النبوية ، ليعبر عن شعور العقل بعد رقيه بقدرته على تقديم إجابات عقلية وحلول مقنعة لمشاكل الوجود<sup>(3)</sup> . ووفق هذا الإطار فإن آليات المعرفة في الفكر الإسلامي تتلخص في :

- 1- الارتكاز على الوحي الذي لا يأتيه الباطل ، ففيه حقائق غيبية لا دخل للعقل فيها ، وفيه حقائق مشهودة ، أمر الله سبحانه بالتفكير فيها لتدله على خالقها ومنشئها .
- 2- دراسة السنن الكونية لعمارة الأرض وإصلاحها ، ومنع الإفساد فيها باستخدام مناهج البحث الخاصة بكل مجال من مجالات هذه السنن .
- 3- الإبداع والتجديد بتمحيص ما لدى الآخرين ، باستعمال ما يوافق الوحي ، ولا يتعارض معه ومن ثم الإبداع فيها بتجاوز المكتسبات السابقة ، بالارتكاز على مرجعية الوحي ، والاستعانة به .
- 4- استيعاب التراث الإسلامي ، المتعرف على رؤية أسلافنا لقضايا الفكر والحياة ، والنهج الذي اتبعوه في حل المشكلات التي واجهتهم .
- 5- التمكن من المعارف المعاصرة واستيعابها وقراءتها قراءة نقدية واعية وفقا للشرع الإسلامي .
- 6- ثم ربط التراث الإسلامي بالمعرفة المعاصرة ، من حيث إسهاماتها في حل القضايا المعاصرة ، والبحث عن نقاط القوة ونقط الضعف ، ومن ثم العمل على إغناء العلوم الإنسانية .

(1) عبد الحميد أبو سليمان ، قضية في الفكر الإسلامي ، ط2 ، دار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، 1995 ، ص 20 .

(2) عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، ط1 ، دار الفارئ العربي ، القاهرة ، 1991 ، ص 158 .

(3) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، ط1 ، كلية العلوم جامعة القاهرة ، 1404هـ - 1984م ، ص 18 .



## 1-5- منطلقات المنظومة المعرفية الإسلامية :

يتميز المنهج في دائرة الفكر الإسلامي في بنيته العامة ؛ أن له منطلقات أساسية ، مستلهمة أساسا من مقومات التصور الإسلامي ، وهي ( المنطلقات ) تشكل الخطوط الأساسية للعقل المسلم الذي ينشد بناء الحضارة ؛ المرتكزة على أسس الانسجام بين الفكر والعمل وبين العقيدة والحياة . ولعل أبرز هذه المنطلقات هي :

## 1- التوحيد :

لقد انفرد التصور الإسلامي بتصور التوحيد الكامل الخالص من بين سائر التصورات الاعتقادية والفلسفية ، السائدة في جنات الأرض (1) .

التوحيد هو مصدر باقي المسلمات الفكرية ، طالبنا الله سبحانه به ، ليكون بمثابة الموجه في بناء أي نسق علمي سليم ، فالله سبحانه هو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التي أمرنا ببحثها . ووضوح هذا الأساس يكمن في الشهادة الأولى لا إله إلا الله ، التي تعني في أعماق معانيها ، أن لا وجود لأية حقيقة سوى الحقيقة المطلقة ، نافية بذلك كل شيء ما عدا الله (2) .

وفي ظل عقيدة التوحيد ؛ تتحقق أسلمة العلوم ومناهجها وتقنياتها بمعناها الصحيح ، ويصبح المفهوم الإسلامي للعلم أوسع وأشمل من المفهوم الشائع لدى فلاسفة العلم ، على اختلاف مذاهبهم (3) .

فالوحدانية هي المنطلق الأول لمسار العقل المسلم ؛ الذي لا يكون له وجود إلا إذا آمن بالمسلمة البديهية الفطرية ( الوحدانية ) التي تحالط وعيه وضميره وكيانه ، وأساس هذه العقيدة هي إيمانه الجازم وإدراكه المطلق بأن الله ليس كمثل شيء .

وهذا المنطلق كما يدل عليه مصطلحه ، وتنطق به كلمة الشهادة ، ويوضحه القرآن والسنة ، يقيم العقل المسلم والفكر المسلم والمنهجية الإسلامية على فرضية الحق أساسا ، ومدارا ومالاً لكل الكون والكائنات ، وعلى فرضية وجود الكون والكائنات ، ومرد وجودها إلى الخالق وحده ، وعلى فرضية وحدة الحق ووحدة المصدر ، ووحدة الحقيقة التي ينطلق منها ، ويمثلها كل الكون والكائنات ، وعلى فرضية الإنسان الذي خلقه الله ، وكرمه بالإرادة والخلافة ورعاية الكائنات

(1) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار القرآن الكريم 1978 ، ص 326 .

(2) سيد حسين نصر ، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 15 .

(3) أحمد فؤاد باشا ، دراسات إسلامية في الفكر العلمي ، ط1 ، دار الهداية للنشر والتوزيع 1997 ، ص 134 .

على أساس الحق والعدل والخير،<sup>(1)</sup> ينطلق في الكون يقينا بخطواته ، واثقاً بوجهته ، فهو مرتبط برباط السماء ، ولا سبيل إلى إفساد سعيه ، فمبدؤه الوجدانية لله ملتزم به مهتد به ، ولا يكون مفهومه للتوحيد بأنه قضية لا هوتية مجردة ، أو للعبودية استعبادا وانسحابا من الحياة لا تحررا وفاعلية<sup>(2)</sup> .

وهذا تتأسس العقلية الإسلامية على قاعدة متينة للنظر في الكون والحياة ، نظرة لا مجال فيها للتناقض أو الصراع ، ولا مكان فيها للاستكبار في الكون والإفساد فيه .

قال تعالى ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾<sup>(3)</sup> .

## 2- تكامل الغيب والشهادة.

إذا نظرنا إلى الدالة التوحيدية نجد إن أصل الإيمان بالله تعالى يقتضي نشأة علوم التوحيد . التي تقوم بالاستدلال من الخلق على وجود الخالق تعالى ﴿ سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ اللَّهُ الْحَقُّ ﴾<sup>(4)</sup> . هذه العلوم في جملتها هي علوم المنطق والعلوم الكونية ، ولها مداخلها في القرآن الكريم . وينبغي تأسيس تلك العلوم على هذه المداخل حتى تؤدي وظيفتها المطلوبة كأدلة إيمان ، (آيات الأفاق والأنفس) .

وفي القرآن الكريم دعوة واضحة للتفكير والتدبر والتفكر . والتدبر والتفكر معناهما إعمال العقل للوصول إلى الحقائق . التي تبني عليها علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بديناه وإخوانه وبالتعامل الإنساني يقول تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾<sup>(5)</sup> . هذا يعني أن معرفة الله ومعرفة الكون والحياة ؛ تقتضيان أن يعمل الإنسان هذا العقل . متديرا بآيات الله سبحانه المودعة في كتابه المسطور (القرآن) ، وكتابه المنظور (الكون) ، فالقرآن العظيم

(1) عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، المرجع السابق ، ص 128 .

(2) عبد الحميد أبو سليمان ، (معارف الوحي بين المنهجية والأداء) ، مجلة إسلامية المعرفة عدد 09 ، السنة الثالثة ، ربيع الأول

1418هـ ، 1997م ، ص 95 .

(3) سورة المؤمنون ، الآية : 91 .

(4) سورة فصلت ، الآية 53 .

(5) سورة محمد ، الآية 24 .

كالكون البديع كلاهما يدل على الآخر ويقود إليه ، فالقرآن يهدي إلى الكون ، والكون يدل ويرشد إلى القرآن كذلك (1).

وحقيقة الإيمان الصحيح بوحداية الله ، تستلزم أن يرد الإنسان كل شيء في هذا الكون إلى الخالق الحكيم ، الذي أوجد هذا العالم بإرادته المطلقة ، خلقه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والتناسق ، وأخضعه لقوانين ثابتة ، لا نقص فيه ولا تنافر . قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ، الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَؤُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ . ﴾ (2) .

وقد شاءت إرادته تعالى أن تبين لنا من خلال نظام الكون ووحدته استمرارية المواد كأشياء ، وتكرر الحوادث والظواهر بعلاقات سببية لنراقبها ، وندرکها وننتفع بها في حياتنا الواقعية ، بعد أن نقف على حقيقة سلوكها ، ونستدل بها على قدرته ووحدانيته (3) ، حيث يختص الله سبحانه وتعالى بعالم الغيب ، يوحي بما يشاء من أمره على من يشاء من عباده ، ويرسل بالرسالات إلى الأمم تبصيرا المعنى وجودهم وغايتهم .

فالمنظومة المعرفية الإسلامية تدمج بين عالمي الغيب والشهادة ، وتجمع بين القراءتين : قراءة تستصحب الوحي في قراءة الكون وفهمه واكتشاف سننه ، وقراءة تستصحب سنن الكون في فهم آيات الوحي ، والمعرفة في جوهرها هي تجريد نموذج من النص المقدس ( الكلي ) يساعدنا على تفسير الجزئي في إطار الكلي وعلى الحكم عليه (4) .

فغاية قراءة الوحي الترتل من الكلي إلى الجزئي ، والربط بين المطلق والنسبي بقدر ما تتيحه قدرات البشر العقلية النسبية في فهم تزلزلات الكلي ، وربطه بالواقع المتغير الجزئي ، وقراءة الكون تمثل عروجا من الجزئي النسبي باتجاه الكلي المطلق ، وفق القدرات البشرية النسبية الجزئية أيضا على

(1) طه جابر العلواني ، إسلامية المعرفة بين أمس واليوم ، ط 1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة ، 1417هـ -

1996م ص 16 .

(2) سورة الملك ، الآية : 1-4

(3) أحمد فؤاد باشا ، دراسات إسلامية في الفكر العلمي ، ط 1 ، دار الهداية للنشر والتوزيع 1997 .

، ص 136 .

(4) فتحي حسن ملكاوي . نحو نظام معرفي إسلامي ، مرجع سابق ، ص 52 .

فهم الظواهر وبذلك ينعدم الفصام المزعوم بين الوحي والمعرفة الموضوعية للكون والوجود<sup>(1)</sup> ، والمسافة التي تفصل القرآن عن الواقع هي مجال الجهد المعرفي وهي الدعوة الإلهية للاجتهاد<sup>(2)</sup> . وبهذا فالوحي والعقل يتكاملان لتحديد موقع الإنسان في عالم الشهادة ، وتمكين وجوده وسعيه من تحقيق الغاية منهما في عالم الشهادة ، فالوحي يمد الإنسان بالمعرفة الكلية والغايات الربانية فيما لا يملكه من معرفة أو إدراك مما هو وراء علمه وإدراكه ، فيستكمل الرؤية والمعرفة ليهتدي بها إلى الغايات والمقاصد .

وبهذا يكون الوحي هو وسيلة الإنسان إلى الكليات ، والعقل هو وسيلة الإنسان في العلم بعالم الشهادة ، وما ينطوي عليه هذا الكون من سنن وإمكانات ليسخرها ، ويقوم بالإعمار على ما يقتضيه التوجيه الإلهي<sup>(3)</sup> .

### 3- نسبية ومحدودية العقل والمعرفة الإنسانية :

يمكن لنا أن نحمل مصادر المعرفة القرآنية في مصدرين هامين هما : الحواس والملاحظة العلمية والتجربة من ناحية ، والعقل من ناحية أخرى ، وتتميز المعرفة العلمية بأن تحصيلها يتم نتيجة نشاط إنساني مقصود ، يهدف الباحث من ورائه إلى دراسة ظواهر معينة، يعكف عليها ويتناولها بالملاحظة الدقيقة والتحليل ، مستخدماً في ذلك منهجاً يتفق وطبيعة موضوع البحث ، بغرض التوصل إلى قوانين عامة تفسر أطراد الظواهر المعينة تمهيداً للاستفادة منها<sup>(4)</sup> .

والحقيقة لا يمكن أن نصل إليها عن طريق الأسلوب العقلي البعيد عن الملاحظة والمشاهدة العلمية، ومن هنا كان الربط بين المنهج التحريبي والعقلي ، ومن ثم لا تقوم المعرفة القرآنية على القياس

(1) طه جابر العلواني ، المرجع السابق ، ص 17 .

(2) نحو نظام معرفي إسلامي ، مرجع سابق ، ص 52 .

(3) عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، مرجع سابق ، ص 114 .

(4) أحمد فؤاد باشا ، دراسات إسلامية في الفكر العلمي ، مرجع سابق ، ص 139 .

فهم الظواهر وبذلك ينعدم الفصام المزعوم بين الوحي والمعرفة الموضوعية للكون والوجود<sup>(1)</sup> ، والمسافة التي تفصل القرآن عن الواقع هي مجال الجهد المعرفي وهي الدعوة الإلهية للاجتهاد<sup>(2)</sup> . وبهذا فالوحي والعقل يتكاملان لتحديد موقع الإنسان في عالم الشهادة ، وتمكين وجوده وسعيه من تحقيق الغاية منهما في عالم الشهادة ، فالوحي يمد الإنسان بالمعرفة الكلية والغايات الربانية فيما لا يملكه من معرفة أو إدراك مما هو وراء علمه وإدراكه ، فيستكمل الرؤية والمعرفة ليهتدي بها إلى الغايات والمقاصد .

وبهذا يكون الوحي هو وسيلة الإنسان إلى الكليات ، والعقل هو وسيلة الإنسان في العلم بعالم الشهادة ، وما ينطوي عليه هذا الكون من سنن وإمكانات ليسخرها ، ويقوم بالإعمار على ما يقتضيه التوجيه الإلهي<sup>(3)</sup> .

### 3- نسبية ومحدودية العقل والمعرفة الإنسانية :

يمكن لنا أن نحمل مصادر المعرفة القرآنية في مصدرين هامين هما :

الحواس والملاحظة العلمية والتجربة من ناحية ، والعقل من ناحية أخرى ، وتتميز المعرفة العلمية بأن تحصيلها يتم نتيجة نشاط إنساني مقصود ، يهدف الباحث من ورائه إلى دراسة ظواهر معينة ، يعكف عليها ويتناولها بالملاحظة الدقيقة والتحليل ، مستخدماً في ذلك منهجاً يتفق وطبيعة موضوع البحث ، بغرض التوصل إلى قوانين عامة تفسر اطراد الظواهر المعينة تمهيداً للاستفادة منها<sup>(4)</sup> .

والحقيقة لا يمكن أن نصل إليها عن طريق الأسلوب العقلي البعيد عن الملاحظة والمشاهدة العلمية ، ومن هنا كان الربط بين المنهج التحريبي والعقلي ، ومن ثم لا تقوم المعرفة القرآنية على القياس

(1) طه جابر العلواني ، المرجع السابق ، ص 17 .

(2) نحو نظام معرفي اسلامي ، مرجع سابق ، ص 52 .

(3) عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، مرجع سابق ، ص 114 .

(4) أحمد فؤاد باشا ، دراسات إسلامية في الفكر العلمي ، مرجع سابق ، ص 139 .

العقلي وحده الذي يشير إليه قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ (5) ، بل تكون الملاحظة العلمية أسلوباً مقروناً للبحث (6) .

ومن هنا تظل حقائق الظواهر الكونية مجهولة ، حتى تنفرج عن كشوفات علمية مطردة ، على أيدي العلماء الباحثين ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ سُنِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (1) .

ولما كانت طبيعة المعرفة العلمية تتطلب إجراء البحث ، والدراسات المكثفة على أجزاء محدودة من الكون وظواهره ، وبمعزل عن بعضها البعض ، دون إلمام بكافة الجوانب المتصلة بموضوع البحث والمؤثرة عليه ، فإن إدراك الحقيقة الكاملة المطلقة يظل دائماً هدفاً أسمى يسعى إليه العلماء (2) .

إن المعرفة في الإسلام تبدأ ما تبدأ بالملاحظة للمحسوس ، واستقراء الجزئيات من عالم الطبيعة ، بهدف الوصول إلى معرفة القوانين العامة التي تسير الطبيعة بمقتضاها ، وقد وجه القرآن العقول إلى النظر في الطبيعة بأوسع معانيها ، وأخص وأعم ظواهرها ، وذلك لدراسة الوقائع التي تعمل على إيقاف التفكير ، ولا تبدأ بمجردات العقل وأوهامه ، فالعقل محدود نسبي ، ولا بد أن يعجز العقل النسبي المتناهي عن الإحاطة بالمطلق اللامتناهي (3) .

وقد أكد القرآن الكريم محدودية ونسبية المعرفة العلمية ، وكذا مستويات موضوعياتها وحقائقها الجزئية ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (4) وقوله : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (5) .

(5) الحشر: 6

(6) صلاح الدين بسبوني رسلان ، العلم في منظوره الإسلامي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1989 ، ص 57.

(1) سورة فصلت ، الآية : 53 .

(2) أحمد فؤاد باشا ، دراسات إسلامية في الفكر العلمي ، مرجع سابق ، ص 140 .

(3) فتحي حسن ملكاوي . نحو نظام معرفي إسلامي ، مرجع سابق ، ص 52 .

(4) سورة الإسراء ، الآية : 85 .

(5) سورة يوسف : الآية : 76 .

## 1-6- معالم منهج التفكير العلمي الإسلامي :

أشرنا فيما سبق إلى أساسيات المنظومة المعرفية الإسلامية ، وتفاصيلها المبنية على المنهج الشمولي في بحث الظواهر الطبيعية ، والتأسيس لنظرية علمية إسلامية ، مبنية على أسس الاعتقاد الصحيح ، تلك النظرية المعرفية المرتبطة بالوجود الإنساني ، إذ إن الإنسان يصنع المعرفة بوسائل وأدوات يمتلكها وهو في هذا متوافق مع الكون .

وما فتىء القرآن الكريم يركز في الأذهان حقيقة التوافق بين الإنسان والكون بأساليب مختلفة ، وعلى مستويات متعددة ، مبرزا وجوه التشابه بينهما ، ومظاهر الوحدة في المآتى والمصير والسيرورة التي بينهما ، فالإنسان ليس إلا عنصرا من عناصر الكون (1) .

فمعارف الوحي تتكامل مع معارف الكون والطبيعة والإنسان ، خاصة فيما يتعلق بالغيب والغايات الكلية للوجود الإنساني والمادي للكون ، وفي الغايات الخلقية الكلية لسلوك الإنسان (2) . وليس السعي في الكون لاستثماره ، والابتغاء من فضل الله فيه أمرا نافلا ، إن شاء الإنسان أتاه ، وإن شاء تركه ، بل هو واجب ديني يندرج ضمن المهمة التي من أجلها خلق الإنسان ، وهي الخلافة في الأرض (3) ، في ظل النظرة الإيمانية الربانية التي تتوج التأمل والتمتع معا ، وتربطه في الناحيتين بالإله الخالق المنعم الذي سخر له الكون في المجالين ، وأقدره على النشاطين النظري والعملية ، بعدها تنطلق النظرة الإسلامية ( القرآنية ) من الإنسان نفسه ، لا لتجعله مركز الوجود ، ولا لتؤهله في أي شكل من أشكال التأليه القديمة أو الحديثة ، بل لتعرفه بنفسه وبموقعه الحقيقي من الوجود بين الكون والله ، ولتشعره بهذا الموقع في وعي الوجود كله ، وعيا بصيرا مستفيضا (4) .

ولعل أبرز تلك المعالم التي يركز عليها المفهوم العام للنظام المعرفي الإسلامي ، - الذي يتضمن الفرضيات التجريدية والنظرية حول الله ، والكون والإنسان - هي :

(1) عبد المجيد عمر النجار ، فقه التحضير الإسلامي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1999 ، ص 128 .

(2) عبد الحميد أبو سليمان ، ( معارف الوحي بين المنهجية والأداء ) ، مجلة إسلامية المعرفة ، مرجع سابق ، ص 99 .

(3) عبد المجيد عمر النجار ، المرجع السابق ، ص 150 .

(4) محمد المبارك ، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث ، دار البعث قسنطينة 1989 ، ص 25 - 26 .

## 1- التوحيد : د

ويتضمن وحدة الخلق ، ويعني العلاقات المتبادلة لجميع أجزاء العالم ، وهذا بدوره يتضمن وحدة المعرفة ، وهكذا فإن هدف العمل العلمي ؛ هو إظهار وتوضيح الوحدة الأساسية للعالم المخلوق ، وطبقا للقرآن الكريم فإن وحدة الكون هي انعكاس لوحدة الخالق ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (1) .

فوحدة العلم لا تنفصل في الإسلام عن وحدة الخلق ، ووحداية الخالق ، كما لا تنفصل المادة والروح في الكائن الحي .

## 2- الاعتقاد في الحقائق فوق الطبيعة وقصور المعرفة الإنسانية :

وفقا للقرآن الكريم ؛ فإن المصادر الخارجية هي ضرورية لمعرفة الكون ، ولكن من وجهة نظر القرآن الحقائق الحسية غير كافية لإدراك الكون ، وجميع ما يحصل من حواسنا عليه هي نماذج ، أو أجزاء منفصلة ، تستطيع عقولنا فقط أن تربط هذه الأجزاء مع بعضها ، وبالإضافة إلى ذلك يوجد هناك في العالم حقائق لا نستطيع أن نستوعب أي معلومات عنها من خلال الأحاسيس الخارجية .. قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (2) .

## 3- الاعتقاد في غائية الكون :

من وجهة النظر القرآنية ، فإن الله عز وجل خلق كل شيء بمقياس وميزان ورسم لهذا الخلق لنهايات ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ (3) ، ويتحدث القرآن عن الهدف والاتجاه من خلق الكون ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (4) .  
فالفكرة القرآنية لنهايات الكون مرتبطة بواسطة الفكرة الأخروية، حيث يلتقي كل شيء في مكانه الصحيح ، ويشعر المؤمن بوجود الله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (5)

(1) سورة الأنبياء ، الآية : 22 .

(2) سورة يس ، الآية : 36 .

(3) سورة ص ، الآية : 27 .

(4) سورة طه ، الآية : 50 .

(5) سورة المؤمنون ، الآية : 115 .



وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (6) .

#### 4- الإلتزام بالقيم الأخلاقية :

يعتبر القرآن الكريم الإلتزام بالقيم الخلقية واحدة من أهم الأهداف الرئيسية للرسالة النبوية .  
﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (1) .

الإلتزام بالقيم الأخلاقية من وجهة النظر الإسلامية ؛ هو مطلب من مطالب التعليم العلمي الأصيل، الذي يجب أن يكون مرتبطا بالتعاليم الأخلاقية ، وهذا ما يوجب الاهتمام بالأخلاق والشعور بالمسؤولية ، فوظيفة الشرع الإلهي هي أن يحيا الإنسان في وئام مع خالقه وبيئته ونفسه (2) .

ومن الواضح أن المذاهب الفكرية ( الإيديولوجية ) سعت إلى توفير الأخلاقيات مثل الفلسفة النفعية - الماركسية - الفاشية - الليبرالية - وقد فشلت كلها جميعا في السيطرة على أدنى غرائز الإنسان بما يكفي لتجنب الكوارث الهائلة (3) .

(6) سورة الروم ، الآية : 8

(1) سورة الجمعة ، الآية : 2

(2) مراد هوقمان ، مرجع سابق ، ص 105 .

(3) المرجع نفسه ، ص 105 .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (6) .

#### 4- الإلتزام بالقيم الأخلاقية :

يعتبر القرآن الكريم الإلتزام بالقيم الخلقية واحدة من أهم الأهداف الرئيسية للرسالة النبوية .  
﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (1) .

الإلتزام بالقيم الأخلاقية من وجهة النظر الإسلامية ؛ هو مطلب من مطالب التعليم العلمي الأصيل، الذي يجب أن يكون مرتبطا بالتعاليم الأخلاقية ، وهذا ما يوجب الاهتمام بالأخلاق والشعور بالمسؤولية ، فوظيفة الشرع الإلهي هي أن يحيا الإنسان في وئام مع خالقه وبيئته ونفسه (2) .

ومن الواضح أن المذاهب الفكرية ( الإيديولوجية ) سعت إلى توفير الأخلاقيات مثل الفلسفة النفعية - الماركسية - الفاشية - الليبرالية - وقد فشلت كلها جميعا في السيطرة على أدنى غرائز الإنسان بما يكفي لتجنب الكوارث الهائلة (3) .

(6) سورة الروم ، الآية : 8

(1) سورة الجمعة ، الآية : 2

(2) مراد هوقمان ، مرجع سابق ، ص 105 .

(3) المرجع نفسه ، ص 105 .

## خاتمة

إن الغاية المثلى التي تأسس من أجلها العلم ، هي الغاية التي تنشأ الخيرية للإنسان ونفعه ، فإذا كان العلم بالكون مما يراد به إلحاق الضرر أو السبب في الفساد مثل العلم ببعض العناصر لأغراض تدميرية ، كما هو واقع اليوم في بعض العلوم ، فإنه بمقياس التحضر الإسلامي لا يعد من العلم بالكون بل هو مستشنع مستبعد من دائرة العلم ، ولذلك فإن العديد من المصنفين الإسلاميين للعلوم ، نبهوا إلى قسم منها ووصفوه بالعلم المذموم ، وأخرجوه من دائرة العلم الكوني بالمفهوم الإسلامي<sup>(1)</sup> ، كما سنرى في الفصول اللاحقة .

(1) عبد المجيد النجار ، فقه التحضر ، مرجع سابق ، ص 98 .

## خاتمة

إن الغاية المثلى التي تأسس من أجلها العلم ، هي الغاية التي تنشأ الخيرية للإنسان ونفعه ، فإذا كان العلم بالكون مما يراد به إلحاق الضرر أو السبب في الفساد مثل العلم ببعض العناصر لأغراض تدميرية ، كما هو واقع اليوم في بعض العلوم ، فإنه بمقياس التحضر الإسلامي لا يعد من العلم بالكون بل هو مستشنع مستبعد من دائرة العلم ، ولذلك فإن العديد من المصنفين الإسلاميين للعلوم ، نبهوا إلى قسم منها ووصفوه بالعلم المذموم ، وأخرجوه من دائرة العلم الكوني بالمفهوم الإسلامي<sup>(1)</sup> ، كما سنرى في الفصول اللاحقة .

(1) عبد المجيد النجار ، فقه التحضر ، مرجع سابق ، ص 98 .

## البحث الثاني : مفهوم العلم وتاريخه عند المسلمين :

— تمهيد

2-1- العلم : المصطلح والمفهوم .

2-2- تاريخ العلم عند المسلمين .

2-3- نماذج من تاريخ العلماء المسلمين .

## المبحث الثاني : مفهوم العلم وتاريخه عند المسلمين:

— تمهيد

2-1- العلم : المصطلح والمفهوم .

2-2- تاريخ العلم عند المسلمين .

2-3- نماذج من تاريخ العلماء المسلمين .

تمهيد :

يعد مفهوم العلم من المفاهيم الرئيسية في الدراسات المعاصرة ، خاصة مع الجدل المتزايد حول حصر مفهوم العلم في الجانب التجريبي ، والتفاؤل بشأن عملية البحوث الاجتماعية ، وإقصاء الدراسات الدينية والشرعية من وصف العلمية ، باعتبار المعرفة الدينية " ما وراثية" وقضاياها غيبية ، لا يمكن اختبارها بالتجربة العملية ، التي هي مقياس ومعياري العلم التجريبي الحديث .

## 2-1- العلم : المصطلح والمفهوم

العلم مصطلح كثرت تعاريفه ، وتباينت آراء المختصين في تحديد مفهومه ، مما أفرز مجموعة من التعاريف ، تتشابه وتختلف بحسب التخصص العلمي ، والاهتمام المعرفي .

ومن التعاريف :<sup>(1)</sup>

" هو حصول صورة الشيء في العقل ، أو الصورة الحاصلة عند العقل ، وفيه أنه يتناول الظن والشك ، والوهم ، والجهل المركب".

وهو: " اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة أو دليل ، وفيه أن الاعتقاد المذكور يعم الجازم ، وغير الجازم وعلى تقدير تقييده بالجازم ، يخرج عنه العلم بالمستحيل ، فإنه ليس بشيء اتفاقاً".

وعرفه "صديق خان" (ت 1307 هـ) بأنه "الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقا أو غير يقيني"<sup>(2)</sup>.

وعند المتكلمين : " العلم يطلق على إدراك المسائل ، وعلى نفسها ، وعلى الملكة الحاصلة منها ، والعلوم المدونة تطلق على هذه المعاني ، ومنها : ملكة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما ، نحو

غرض من الأغراض ، صادرا عن البصيرة ، بحسب ما يمكن فيها ، ويقال لها الصناعة أيضا"<sup>(3)</sup>.

وقال "الجرجاني" (ت 471 هـ) : " العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، وقال الحكماء هو

حصول صورة الشيء في العقل"<sup>(4)</sup>.

(1) علي جمعة وآخرون ، بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية ، المرجع السابق ، ص 291 .

(2) صديق حسن خان القنوجي ، أبعاد العلوم ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1987 ، ص 7 .

(3) المصدر نفسه ، ص 7 .

(4) الجرجاني علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، ط 1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1405 هـ ، ص 155 .

ومع أن تعاريف العلم ، لم تتعدد تعددا يعيق ضبط مفهومه ، فقد كان العلم إلى وقت قريب هو " المعرفة البسيطة ، سواء أكانت تلك المعرفة فطرية أم مكتسبة ، وسواء أكانت تتناول فرعاً واحداً من فروع العلم أم تتناول فروعاً كثاراً " (1).

فهي مجموعة متنوعة من فروع المعرفة ، أو مجالات فكرية تشترك في جوانب معينة ، والعلم هو ذلك المجال الواسع من المعرفة الإنسانية ، يكتسب بواسطة الملاحظة والتجربة ، ويتم توضيحه عن طريق القواعد ، والقوانين والمبادئ والنظريات ، والفروض .

فهو مجموعة المعلومات المنظمة المكتسبة بالملاحظة ، واختبار حقائق عالم الطبيعة والمجتمع ، أي العلوم الطبيعية والعلوم الفيزيائية والعلوم الاجتماعية .

ومنذ القرن 18 م ؛ أصبح تعريف العلم بأنه : " دراسة تتعلق إما بمجموع من الوقائع المبرهنة أو مجموع من الوقائع الملاحظة التي ترتب ، ثم يجمع بعضها إلى بعض على نظام مخصوص ، ليستخرج منها قوانين عامة ، على أن يقوم ذلك كله على أساليب موثوقة ، تمكن الدارس من اكتشاف حقائق جديدة في الناحية التي يوليها اهتمامه " (2).

فالعلم ليس مجرد مجموعة من الحقائق والمفاهيم والأفكار المفيدة عن الطبيعة ، وليس العلم استكشافاً منظماً للطبيعة ، ورغم أن هذين تعريفاً للعلم ، العلم هو منهج لاستكشاف الطبيعة وطريقة للتعرف عليها ، تكشف لنا عن معرفة يمكن الاعتماد عليها عن الوجود ، بعبارة أخرى العلم هو منهج لاستكشاف معرفة معتمدة عن الطبيعة (3) وهناك عدة طرق لاستكشاف وتعلم المعارف عن الطبيعة ، ولكن العلم هو المنهج الوحيد الذي ينتج لنا محصلة معرفية معتمدة .

يقول " توفيق الطويل " : " يراد بالعلم في معناه الواسع الفضفاض ؛ أي فرع من فروع المعرفة البشرية يجري على نهج ونظام ، أما بمعناه الاصطلاحي الضيق ، فيراد به العلم الطبيعي ، أي علم الفيزياء وما تفرع عنه من علوم تشاركه في مناهجه التجريبية " (4).

(1) عمر فروخ ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ط 5 ، المكتبة العصرية ، بيروت 1989 ، ص 28 .

(2) المرجع نفسه ، ص 28 .

(3) ستيفن دي شافرمان ، التفكير العلمي النقدي والمنهج العلمي ، ترجمة فاضل التركي ، منشورات جامعة ميامي قسم

الجيولوجيا ، دط ، دت ، ص 4 .

(4) صديق حسن نخان القنوجي ، المصدر السابق ، ص 128 ، ص 129 .



أما إذا انتقلنا إلى استخدامات المصطلح في الأدبيات الإسلامية ، ف "العلم" بالاستعمال الإسلامي أعم من المصطلح الغربي ، وأخص من المصطلح "science" ، فالأول نوع من القدر اليقيني من المعرفة طريقة الحس والتجريب ، والثاني هو المعرفة ، سواء أكانت يقينية أم غير يقينية ، ولا مجال إلى التفريق بين معنى المصطلح واستخداماته عند المسلمين قديما وحديثا مثلما فرق " زكي نجيب محمود" في معنى العلم حديثا ومعناه عند المسلمين قديما.<sup>(1)</sup>

إن العلم هو ذلك التصور المطابق للواقع ، مع الاقتناع بالحجة على ذلك ، وهي إما مادية محسوسة أو معقولة مثبتة بالبرهان والاستدلال ، يقول "ابن باديس" (ت1940): «العلم إدراك جازم مطابق للواقع عن بينة ، سواء أكانت تلك البينة حسا أو مشاهدة أو كانت عقلية ، كدلالة الأثر على المؤثر ، أو الصنعة على الصانع ، فإذا لم تبلغ البينة بالإدراك رتبة الجزم فهو ظن»<sup>(2)</sup> . وهنا نجد "ابن باديس" قد أشبه تعريفه بتعريف المتكلمين كما عند الجرجاني ، لكن ابن باديس أعقب تعريفه بتعريف آخر ، حتى ينافي في مطابقة العلم لليقين والحقيقة ، فقال: « يطلق أيضا على ما يكاد يقارب الجزم ، ويضعف فيه احتمال النقيض جدا».<sup>(3)</sup>

وهكذا فقد تفادى علماء الإسلام وفلاسفة المسلمين في بحثهم المعرفي كل الأخطاء المنهجية ، فلم يقفوا موقف المذهب العقلي في زعمه أن " المادة العقلية وحدها هي التي يمكن لها أن تزودنا بالمعرفة بمعناها الكامل».<sup>(4)</sup>

ولم يقفوا موقف المذهب التجريبي في زعمه أن المادة المدركة بالحواس هي مصدر المعرفة ، وإنما جمعوا بين المذهبين ، بل هناك من أضاف إلى جانب الطريقة التحريبية الحسية ، والطريقة العقلية في المعرفة طريقة ثالثة هي طريق التصوف والتنسك والإشراق كما عند "الغزالي" و"الفارابي" . يقول "الغزالي": «العلم عبادة القلب وصلاة السر ، وقربة الباطن إلى الله تعالى ، وكما لا تصح عبادة الباطن ، وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف».<sup>(5)</sup> ولأن " الغزالي " ينطلق من رسالة وهدف ؛ غايته تسخير "العلم" لإعادة عامة وجمهور الأمة والدفاع عن الدين، كانت منطلقات "الغزالي" ذات طبيعة رسالية تهتم بإعادة الناس لملتهم ، لذا

(1) زكي نجيب محمود، بتحديد الفكر العربي ، ط 6، درا الشروق ، بيروت 1980، ص 180.

(2) عبد الحميد بن باديس، التفسير، مطبعة المؤسسة الوطنية للشؤون المطبعية،الراغاية الجزائر 1993 ص 129 .

(3) المصدر نفسه ، ص 130 .

(4) جون ديوي ، المنطق (نظرية البحث) ، ط2، دار المعارف، القاهرة 1969م ، ص 781-789.

(5) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة بيروت ، 1413هـ ، ج1، ص 14 .

سنرى تحولاً من الاهتمام بالعلم كمعيار لضبط المعرفة إلى اعتبار وظيفته والتأكيد عليها ، مع إعادة تصنيف للعلم وللمعرفة ، وبالنسبة للأمر الأخير ؛ نجد "الغزالي " يؤكد: " العلم هو العلم بالأمور الدينية والأخروية ، والحقائق العقلية " (1).

فالهدف هو توظيف العلم وتسخيره لعلاج أزمات الأمة ، وتوجيهه توجيهها يمكن الاستفادة منه في الدنيا والآخرة .

يقول "مالك بن نبي": « العلم ما هو في أبسط معانيه إلا البحث عن الحقيقة في كل ميدان ، وفي الأخلاق وفي التشريع ، وفي الاجتماع وفي الطب وفي الطبيعة ... الخ، ولكن هذا البحث معرض لمعوقات وإلى متهاتات ، وتتخذ وهما بمثابة حقيقة ، وقد نتهى في الآراء ، ورب رأي خطأ ، فعلى العلم أن يواجه هذه الحالات التي يتردد فيها العقل بين الشك والاعتناع بتمرينه على هذه المواجهة» (2).

ومن الواضح أن "مالك بن نبي" يشير فيما أوردنا له ، إلى أهمية العلم بالمعنى الحضاري ، لكن ينبغي أن نحده بضوابط ومعايير تجعلنا نطمئن إلى نشدانه الحقيقة ، والعمل على ذلك ، وذلك من أجل توظيفه في مجالات عديدة تؤثر في حياة الناس.

(1) أبو حامد الغزالي، المصدر السابق ، ص 14 .

(2) مالك بن نبي ، فكرة كومونولث إسلامي ، ط دار الفكر دمشق 1990 ، ص 185.

## 2-2- تاريخ العلم عند المسلمين :

تمهيد :

بعد ظهور الإسلام ، وانتشار فتوحات المسلمين في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام ومصر ، اختلط العرب مع الحضارات العالمية آنذاك حضارة وادي الرافدين ، والفرعونية ، و الفارسية ، واليونانية والرومانية والهندية.

وكان العصر الذهبي للحضارة الإسلامية في عصر الدولة الأموية (750 — 662) ، والدولة العباسية (750 — 1258) ، وخلفاء الدولة العباسية والأموية والعرب في بلاد الأندلس اهتموا بترجمة أمهات الكتب الفكرية والعلمية من الحضارة اليونانية التي كانت رائدة في تقدمها في حينها على العربية، لذلك أصبحت الحضارة العربية ولغتها إحدى حلقات التواصل التي تربط التراث الحضاري العالمي عبر التاريخ.

وليس من شك في أن انتقال العلم اليوناني إلى العالم الإسلامي ؛ كان حدثا مهما في تاريخ الحضارة كانت له نتائج واسعة بالنسبة إلى تاريخ التراث القديم من جهة ، وإلى تطور الفكر والثقافة الإسلاميين من جهة ثانية ، وعلى النهضة الأوربية في القرن الثاني عشر ، وما تلاه من جهة ثالثة ، حتى قال قائلون: " إن حضارة العرب التي ظهرت بعد الإسلام كانت حضارة منقولة على أيدي الأعاجم".<sup>(1)</sup>

ولم تكن الحضارة الإسلامية وعاء أو مستودعا للمعرفة التي كانت عند اليونان (الأقدمين) ، بل كانت هناك عملية انتقال لتلك العلوم والمعارف إلى العالم الإسلامي بمقتضى " احتضان " قام بها المسلمون ، من منطلق اهتمامهم بصيانة العلم اليوناني الذي لم يكن مفروضا على المجتمع الإسلامي قسرا ، ومن ثم يعد مصطلح "التلقي" في أحسن الأحوال مصطلحا باهتا ومضللا في التعبير عن حركة عملية رادها العلماء المسلمون خلال القرنين الثامن والتاسع ميلاديين.

فلم تكن مهمة العرب المسلمين حينئذ محصورة في النقل ، ولم يكن فضلهم يقتصر على حفظ الآثار اليونانية من شرقي أوربا إلى غربيها ، بل لا بد من الاعتراف لهم بالفضل العظيم في تنقية ذلك التراث اليوناني وتوجيهه الوجهة الصحيحة في مجال البحث العلمي.

(1) عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوربية ، ط 2 ، دار المعارف القاهرة ، 1963 ص 28 .

فقد استخلص المسلمون من مزجهم الثقافتين اليونانية والإسلامية فلسفة مستقلة و متميزة ، اتسمت بتقدير العلم والدين معا ، وعالجوا العلوم على اختلافها ، وأضافوا إليها الكثير من الحقائق ، وصححوا فيها الكثير من المعلومات ، وأدخلوا على أساليب الدرس والاختبار والتجارب المعملية تحسينات حمة ، خلصوا فيها إلى جملة من الاستنتاجات والمكتشفات العلمية التي كانت مقدمة لكثير من التطورات العلمية التالية والحديثة ، وكان دافعهم الإيماني في ذلك قول الله عز وجل :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1)

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (2)

ولقد اعترف مفكروا اللاتين بإفادتهم من مفكري الإسلام، في ظل ازدهار الحضارة الإسلامية ، وكان إقبالهم على الفكر العربي والإسلامي نتيجة لشعورهم بالحاجة إلى ما اشتمل عليه هذا الفكر من علم وفلسفة .

تقول " زيغريد هونكة" (المستشرقة الألمانية) : «..وإننا لندين — والتاريخ شاهد على ذلك — في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب ،وكم أخذنا عليهم من حاجات زينت حياتنا بزخرفة محيية إلى النفوس ، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب ، الذي كان يوما من الأيام قائما كالخا باهتا، وزر كشته بالتوابل الطيبة النكهة ،وطيبة بالعبير العابق، وأحيانا باللون الساحر، وزادته صحة وجمالا ، وأناقة وروعة. » (3)

وكان قد نشأ في الكنيسة اللاتينية شيء من الاختلاف في وجهات النظر حول بعض الاعتبارات الدينية، ولئن كان ذلك قد حدث مستقلا عما جرى في الأوساط الإسلامية ؛ فإنه نشأ من محاولة التوفيق بين العقل والنقل أو بين العلم والدين، لذلك حرص مفكروا اللاتين على الاستفادة من الأبحاث العلمية العربية والإسلامية ، عندما وقعت بين أيديهم ، وكان اعتمادهم على آراء المعتزلة ثم أخذوا بشروح "ابن سينا" و"ابن رشد".

(1) سورة الزمر ، الآية : 9

(2) سورة فاطر ، الآية : 28 .

(3) زيغريد هونكة ، شمس الدنيا تسطع على أوربا ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ط6 ، منشورات دار الآفاق

الجديدة بيروت 1401هـ ، ص 20 .

وفي غضون حكم المأمون (813 — 833م) وصلت الجهود الثقافية الجديدة قيمتها ، فقد كان المأمون من مفاخر الدولة العباسية علما أدبا وفضلا ونبلا ، ولقد وجه عنايته للعلم ، وأكرم العلماء وأعلى مجالسهم ، وانصرفت همته أيما انصراف إلى نقل العلوم والصناعات من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية ، كما أنشأ في بغداد سنة (813م) معهدا رسميا مجهزا بمكتبة أطلق عليه اسم "بيت الحكمة" ، فكان هذا المعهد — من وجوه كثيرة — أعظم المعاهد الثقافية التي نشأت بعد الفتح الاسكندري ، والتي أسست في القرن الثالث قبل الميلاد<sup>(1)</sup>.

وفي عهد "المأمون" نبغ علماء كثيرون ، وحكماء وبلغاء وكتاب ممن كانوا فخر الزمان وحيلة الدهر، وعلى كتبهم ومؤلفاتهم — في مختلف العلوم والفنون — شيد الأوربيون حضارتهم الماثلة أمامنا الآن<sup>(2)</sup>.

وفي الأندلس أصبحت قرطبة في ظل حكم عبد الرحمن الثاني (821 — 852 م) مركزا هاما للرخاء الاقتصادي ، والنشاط الفكري جميعا ، وتبوأ مقامها عالميا في عهد الخليفة الأول عبد الرحمن الثالث (912 — 961 م) حامي العلوم والآداب ، وبفضل تشجيع مطرد النمو أيضا تزايدت هذه النهضة في فترة حكم ابنه ، إلى جميع أصقاع العالم الإسلامي لابتناع الكتب واستنساخها<sup>(3)</sup> ، وقد وفق في جمع مكتبة غاية في الثراء تقدر محتوياتها بأربعمائة ألف كتاب ، كما كانت فهارس كتبها تملأ أربعة وأربعين جزءا وكان يساعد الخليفة في هذا النشاط العلمي وزيره "محمد بن أبي عامر" المتوفى في عام 1002 م ، وأخيرا كان حكم "هشام" (976 \ 1009 م) الذي ازدهر على يديه النشاط العلم<sup>(4)</sup>.

ومن الثابت أنه ليس كل ما انتقل على أيدي الحضارة الإسلامية عربيا محضاً في الأصول والفروع ولكن حسبها أنه لم ينقطع على أيديها<sup>(5)</sup>.

والقول بأن الحضارة الإسلامية ظهرت على أيدي غير العرب ، فيه كثير من الغلو، فلم يفرق الإسلام بين جنس وآخر ، مادام الجمع قد دخل تحت الأجناس . وكان للأمم الأعجمية — حقا — قسط كبير في بناء صرحها في مختلف العلوم والدراسات<sup>(6)</sup>.

(1) محمد الدمرداش، مسيرة الفكر العلمي، مجلة المنهل، ع 452 رجب 1407هـ، الحلقة الثالثة، ص 138 — ص 139 .

(2) عبد الرحمن البهلول ، الإسلام دين العلم والمعرفة ، مجلة منبر الإسلام ، ع رجب 1407هـ ، ص 75.

(3) و (4) محمد الدمرداش ، المرجع السابق ، ص 139 — ص 141.

(5) عباس محمود العقاد، مرجع سابق ، ص 30.

(6) محمد سيد علي بلاسي ، دولة العلماء إلى أين ؟ ، جريدة أخبار العالم الإسلامي . العدد 956، ص 12.

إلا أنه ينبغي أن يعلم أن هذه الأمم الأعجمية لم تنهض هذه النهضة إلا بعد ظهور الإسلام فيها ، ولم تكن لها في إبان مجدها القديم فضيلة على العنصر العربي في الدراسات النظرية ، التي يراد بها العلم للعلم ، ولا يراد بها العلم للتطبيق أو للانتفاع به في مرافق المعيشة. وهكذا انتقل العلم على أيدي الحضارة الإسلامية ، واتصلت بفضله وشائجه بالتاريخ القديم والحديث، فحفظت تراث الإنسانية وزادت عليه ، ونقلته إلى من تلاها . وكل حضارة صنعت ذلك فقد صنعت خيراً ما يطلب من الحضارات. <sup>(1)</sup>

(1) عباس محمود العقاد ، المرجع السابق ، ص 33 .

## 2-3- نماذج من تاريخ العلماء المسلمين

تمهيد :

إن دراسة الفكر الفلسفي الديني ، والناتج العلمي الرضعي للحضارة العربية الإسلامية ، تقتضي بلورة الإطار الصحيح لهذا النوع من العمل ، فمن غير الممكن فصل أي ناتج فكري عن أصوله التاريخية لما يحمل في طياته من معالم الإرث الثقافي المتراكم عبر العصور في بيئته الجغرافية والطبيعية والاجتماعية<sup>(1)</sup> .

ولست في مقامي هذا أذكر وأعدد مناقب وأمجاد العلماء المسلمين السابقين والتفاخر بإنجازاتهم فحسب ، إنما أقف هنا - بحدود نزعة وثوقية أو دوغمائية - لاستجلاء تظهير العقلية الإسلامية ، المستمدة من روح النصر الديني ( قرآنا وسنة ) ومن خلال ذلك أبداع المسلمون في شتى المجالات والعلوم .

لقد شجع الخلفاء المسلمون تلك الحركة العلمية الشاملة ، بدافع من حبهم الشخصي للعلم ، وشعورهم بالمسؤولية تجاه الدين الذي يحث على طلب العلم ويرفع من منزلة العلماء . يقول الدكتور "فؤاد سيزكين" : « لا بد من فهم موقف الدين الإسلامي من العلم ، وموقفه هذا كان المحرك الكبير للحياة الدينية فحسب بل الحياة الإنسانية من جميع جوانبها ، وموقف الإسلام هذا هو الدافع الأكبر في السعي وراء العلوم ، وفتح الأبواب للوصول إلى المعارف الإنسانية ولولاه لانحصرت الترجمة في الأشياء الضرورية للحياة العلمية وحدها » .<sup>(2)</sup>

لقد انكب المسلمون على تحصيل العلوم منذ فجر الحركة العلمية ، فقد ذكر "حاجي خليفة" أن المنصور أرسل سفراء إلى القسطنطينية ، جلبوا كتب اقليدس وكتب الفيزياء ، ترجموها وقرؤوها بسرعة فائقة<sup>(3)</sup> .

كما أن الفلسفة قد ألفت بظلالها وانطلقت في وقت مبكر ، وأول الفلاسفة "أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي" في أوائل القرن التاسع ، الذي عاشت معه فلسفة "أرسطو" وبه انتشرت مع غيره من المفكرين من أمثال الفارابي الذي كرس الكثير من أعماله لكتب "أرسطو" ، كشرح كتاب البرهان وشرح كتاب الخطابة ، وشرح المقالة الثانية والثامنة من كتاب الجدل والمغالطة

(1) محمد العربي ، المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عند العرب ، ط 1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت 1994 ، ص 5

(2) فؤاد سيزكين ، أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، معهد التراث العلمي . جامعة حلب 1977 ، ص 48 .

(3) المرجع نفسه ، ص 49 .

والقياس وغيرها من الموضوعات<sup>(1)</sup>، وعلى خطاه سار "ابن سينا" فحاول التوفيق بين الدين والمذاهب الفلسفية الذي سار عليه "ابن رشد" بعد ذلك بنحو قرن من الزمن .

ومن أوائل العلوم التي عرفها المسلمون وأبدعوا فيها الكيمياء ، ولعل أبرز من ارتبط اسمه بالكيمياء "أبو موسى جابر بن حيان" ، الذي يعد من أوائل من صنفوا العلم ، وأبرز من قعد للمنهج التجريبي وهو الذي عرف كثيرا من العمليات الكيماوية ، ووصفها وصفا دقيقا كالتبخير والتقطير والتكليس والصهر والتبلور والتصعيد ويعود له الفضل في تحضير كثير من المواد الكيماوية ، والحموض ، كما ينسب إليه تحضير مركبات كيماوية ككربونات الصوديوم ، الكالسيوم والصودا الكاوية<sup>(2)</sup> .

وقد اتجه العرب نحو العلوم الرياضية ، فبرعوا في الحساب والجبر ، ولعل الفضل في ذلك يعود إلى "محمد موسى الخوارزمي" ، صاحب كتاب ( الجبر والمقابلة ) ، فقد حل المعادلات وأوضحها ، من غير أن يستعمل الرموز والحروف الأبجدية<sup>(3)</sup> ، وكذلك أدرك المسلمون العلاقة المتينة بين الجبر والهندسة ، فكانت أعمالهم سابقة في أصول الهندسة التحليلية<sup>(4)</sup> .

أما في الفيزياء ، فقد أضاف العلماء المسلمون الكثير من مكتشفاتهم فها هو ابن الهيثم البصري ، كان بلا شك أكبر فيزيائي مسلم ، فقد عارض في كتابه ( البصريات ) "أقليدس" و"بطليموس" ، في تصورهما الخاطئ بأن الشعاع البصري يخرج من داخل العين إلى الأشياء الخارجية ، كما درس انكسار الضوء ، وفي علم الحيل ( الميكانيك ) عرف مبدأ العطالة ، ولعل كتاب ( المناظير ) لابن الهيثم أساس جميع البصريات<sup>(5)</sup> .

وفي مجال علم الفلك ذو الأبعاد الإسلامية ، فقد وصل المسلمون إلى نتائج جليلة وعظيمة الأهمية ومنها :

أدركوا كروية الأرض وقاسوا محيطها وفسروا كيفية دوران الشمس "ثابت بن قرة الحراني" (ت 288 هـ ) ورصدوا الكواكب السيارة والنجوم واكتشف "أبو الوفاء البوزجاني 388 هـ" إحدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر سميت معادلة السرعة

(1) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، دط، دت ، ص 608-609 .

(2) قدرى حافظ طوقان ، مقام العقل عند العرب ، دار القدس للطباعة والنشر ، بيروت ، دط ، دت ، ص 37 .

(3) عمر فروخ ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 57 .

(4) قدرى حافظ طوقان ، المرجع السابق ص 38 .

(5) المرجع نفسه ، ص 82 وما بعدها



وتعرض المسلمون للكثير من أخطاء بطليموس فأصلحوها ، وبرز في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري "أحمد محمد السجستاني" الذي استنبط الاسطرلاب الزورقي المبني على افتراض أن الأرض متحركة. (1)

وفي الجغرافيا ، أبدع "الشريف الإدريسي" (493 هـ - 560 هـ) في وصف المدن في كتابه ( نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ) و"ابن بطوطة" ( 703 هـ - 779 هـ) في كتابه رحلة ابن بطوطة (2).

وقد أثبت المسلمون كروية الأرض وبرهنوا عليها كذلك ، ومنهم "المسعودي" (346 هـ) في كتابه ( التنبية والإشراف ) الذي قال فيه : ( جعل الله الفلك الأعلى وهو فلك الاستواء ، وما يشمل عليه من طبائع التدوير ، فأولها كرة الأرض يحيط بها فلك القمر (3) .  
ومن انجازات المسلمين كذلك ؛ حساب خطوط الطول وخطوط العرض ، وقياس محيط الأرض ، واكتشاف دوران الأرض حول نفسها (4).

وفي علم الطب ، برع العلماء المسلمون فيه وأجادوا ، ولم يقتصر الإبداع على علاج الأمراض فحسب ، بل تعداه إلى تأسيس منهج تجريبي أصيل ، انعكست آثاره على كافة جوانب الممارسة الطبية .

وعرف في الحضارة الإسلامية حشد من العبقريات الطبية النادرة التي كان لها الفضل الكبير ، ولعل من العباقرة في ميدان الطب ، " أبو بكر الرازي " و " الزهراوي " ( 403 هـ ) الذي تمكن من اختراع أدوات كالمشط والمقص الجراحي ، كما وضع أسس وقوانين الجراحة حتى قال فيه عالم وظائف الأعضاء "هالر" : « إن جميع الجراحين الأوربيين الذين ظهوروا بعد القرن 14 م ، قد نهلوا واستقوا من هذا المبحث» (5) .

ولقد برز في هذا الميدان ، "ابن سينا" (ت 428 هـ) ، والذي مازالت كشوفاته العلمية مطبقة إلى عصرنا الحاضر ، فهو من أسس علم الطفيليات الذي يحتل مرتبة عالية في الطب الحديث ، وقد

(1) عمر فاروق ، المرجع السابق ، ص 86

(2) محمد حبش ، المسلمون وعلوم الحضارة ، ط 1 ، دار المعرفة ، دمشق ، 1412 هـ ، 1996 م ص 65

(4) علي بن عبد الله الدفاع ، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية ، ط 2 ، دار الطليعة 1993 ، ص 57 وما

بعدها

(5) جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، تر : عادل زعيتير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، دت ، ص 591 .

وصف لأول مرة التهاب السحايا الأولى وفرقه عن التهاب السحايا الثانوي وغيره من الأمراض المماثلة ... كما تحدث أيضا عن طريقة استئصال ( اللوزتين ) وتناول في آرائه الطبية أنواعا من السرطانات كسرطان الكبد والثدي وأورام العقد الليمفاوية .... وغيرها (1).

ويعتبر "ابن سينا" أول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية ، وأول من قال بأن مركز البصر ليس في الجسم البلوري كما كان يعتقد من قبل ، وإنما هو في العصب البصري (2) . كما قام "ابن سينا" بعمليات جراحية دقيقة للغاية كاستئصال الأورام السرطانية ، وشق الخنجرة والقصبة الهوائية ، كما عالج البواسير بطريقة الربط ... إلى جانب أنه توصل إلى طريقة مبتكرة لعلاج الناسور الشرجي ، وتعرض لحصاة الكلى ، وشرح كيفية استخراجها ، والمحاذير التي يجب مراعاتها (3) إلى غير ذلك من كثير من الطرائق ، والاستخدامات الطبية ؛ التي عرف بها "ابن سينا" في عالم الطب .

وكذلك برز في العالم الإسلامي المئات من الرواد الذين تتلمذت عليهم البشرية قرونا طويلة .. ومن بينهم أيضا : "ابن النفيس" ( 687 هـ ) ، الذي عارض "جالينوس" في وصفه للدورة الدموية الصغرى ، وجاء بوصف لم يسبق إليه ، حيث أثبت أن الدم يمر عن طريق الشريان الرئوي إلى التحويف الأيسر ، وأن الشريان الوريدي الرئوي ذو طبقتين ، وهكذا فقد أتى "ابن النفيس" بوصف للدورة الدموية (4) .

ولقد اهتم الأطباء المسلمون بتسجيل الملاحظات اهتماما بالغا ، فكانوا يدونون ما يشاهدونه في الحالات المرضية المختلفة ، كما اهتموا بمحاولة تبرير هذه الملاحظات بما يستطيعون ، أو محاولة ابتكار العلاج المناسب لكل حالة ... وبذلك حدث المزج الرائع بين العلوم النظرية والعلوم العملية .... واستفادات البشرية .

ومما يذكر في عبقرية الحضارة الإسلامية في ميدان الطب ، ما ذكره "مصطفى السباعي" : أنه كانت توجد في بعض المدن الإسلامية أحياء طبية متكاملة ، فقد حدث "ابن جبير" في رحلته التي قام بها في سنة ( 586 هـ ) تقريبا أنه رأى في بغداد - عاصمة الخلافة العباسية - حيا كاملا من

(1) طوقان قدرى ، المرجع السابق ، ص 17 .

(2) حسن الشرقاوي ، المسلمون علماء وحكماء ، ط1 مؤسسة مختار 1978 ص 160

(3) ابن سينا ، القانون ، ج3 ، ص 165 .

(4) محمد الحاج قاسم ، الطب عند العرب والمسلمين ، ص 301.

أحيائها ، يشبه المدينة الصغيرة ، يتوسطه قصر فخم جميل ، تحيط به الحدائق والبيوت المتعددة ، وكان كل ذلك وقفا على المرضى ، وكان يؤمه الأطباء من مختلف التخصصات فضلا عن الصيادلة ، وطلبة الطب .... وكانت النفقة جارية عليهم من الدولة ، ومن الأوقاف التي يجعلها الأغنياء من الأمة لعلاج الفقراء وغيرهم<sup>(1)</sup> .

وهكذا فإن الإدعاء بأن المسلمين والعرب لم يكونوا إلا نقلة لكتب الإغريق ؛ افتراء محض على الحقيقة الناصعة ، التي تؤذيها إبداعات واكتشافات المسلمين ، الذين أدلوا بنواصيهم في شتى أنواع العلوم يدفعهم في ذلك الشموخ الواصل بهدايات السماء ، وروح الحضارة المبنية على أسس قيم الأخلاق .

عبد القادر القادر للعلوم الإسلامية

(1) مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، دار الصديقية ، الجزائر 1980 ، ص 99 .

## المبحث الثالث: تعريف تصنيف العلوم وأنواعه

- تمهيد

3-1- التعريف اللغوي للتصنيف

3-2- التعريف الاصطلاحي للتصنيف

3-3- التعريف العلمي والمنطقي للتصنيف

3-4- أسس عملية التصنيف

3-5- أنواع التصنيف

3-6- تصنيف العلوم

## تمهيد

عرف مصطلح "التصنيف" بتعاريف متنوعة ؛ حيث تناوله الباحثون من زوايا مختلفة تتعلق بطبيعة البحث والمنهج المتصل بالمنظومة المعرفية لدى كل باحث .

## 3-1- التعريف اللغوي للتصنيف :

التصنيف في اللغة التمييز والتنوع ، والتأليف ، يقال : صنف الشيء جعله أصنافا ميز بعضه بعضا ، ويقال : عنده صنف من الأمتعة أي نوع منها ، ويقال صنف الكتاب أي : ألفه ورتبه (1) .  
وفي لسان العرب : التصنيف هو : " تمييز الأشياء بعضها من بعض ، وتصنيفه جعله أصنافا " (2) .  
والأشياء تختلف عن بعضها من بعض في الوجود ، بالصفة أو التصنيف ، كتصنيف الأشياء من حيث الجودة ، أو من حيث الذوق ، أو من حيث الجمال . (3)

## 3-2- التعريف الاصطلاحي للتصنيف :

التصنيف هو أن نجعل الأشياء أصنافا وضروبا يسهل معه تمييزها بعضها من بعض (4) أو نرتب المعاني بحسب العلاقات التي تربطها ، وترتبط بعضها ببعض كعلاقة الجنس بالنوع أو الكل بالجزء (5) .

ويراد بكلمة تصنيف classification معنيان :

أولهما : أنه العملية الذهنية التي يتم من خلالها إدراك التشابه أو الوحدة ، وهذا هو المعنى المنطقي (6) .

وثانيهما : أنه " عملية ترتيب الأشياء الفعلية الواقعية بحيث الترتيب المجرد وهذا هو المعنى العلمي " (7)

(1) المنجد في اللغة والأعلام ، ط 26 ، دار المشرق ، بيروت ، دت ، ص 437

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ط 1 ، دار صادر ، بيروت ، 1997 ، مج 09

(3) المصدر نفسه ، ص 198 .

(4) أحمد بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة بيروت . دط . دت . ص 64 .

(5) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري 1978 ، ج 1 ، ص 279 .

(6) أحمد بدوي ، المصدر السابق ، ص 64 .

(7) جلال محمد موسى ، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،

ويقصد بالتصنيف في مناهج البحث عملية تصنيف البيانات إلى فئات لتسهيل وفهم هذه البيانات.<sup>(1)</sup>

فالتصنيف إذن هو ترتيب الحدود والأشياء والمعاني ؛ في نظام خاص ، وعلى أساس معين ومقصود، بحيث تتصل تلك الأشياء ببعضها البعض ، مثل تصنيف المعارف إلى عقلية وأخرى تجريبية ومعارف تأملية ، ومثل تصنيف العلوم إلى علوم نظرية ، وعلوم عملية ، وعلوم عقلية ، وعلوم شرعية ..... الخ .

### 3-3- التعريف العلمي والمنطقي للتصنيف :

التصنيف من الوجهة العلمية ؛ يقصد به البحث في أوجه الاختلاف والتشابه بين الأشياء ، وإدراك العلاقات القائمة بين الأشياء والموضوعات و الظواهر ، ثم ترتيبها منطقيا من الخاص إلى العام ، ومن العام إلى الخاص ، ويتبع المشترك بين الأشياء بواسطة استقراء الوقائع .  
فالتصنيف العلمي يعتمد غالبا على ملاحظة الصفات الظاهرة في الأشياء ، أو الموضوعات ، مثل الشكل أو الحجم في الأشياء ، أو الطعم أو الرائحة ، ويراعي عادة في التصنيف العلمي غاية علمية أو غرضا علميا<sup>(2)</sup> ، فتصنيف مجموعة من النباتات نجد لها تصنيفات مختلفة تقوم على أسس وأغراض علمية ، فيصنفها عالم الاقتصاد ويصنفها الطبيب ، ويصنفها الكيميائي ، ويصنفها عالم النبات .... الخ .  
ولكل هؤلاء غرض خاص من تصنيفه ووجهة نظر علمية معينة .

لكن ما تجدر به الإشارة العلمية أن لا يقال أن بعض هذه التصنيفات علمي ، والآخر غير علمي ، فكل تصنيف ما دام يحقق غرضا من الأغراض العلمية فهو تصنيف علمي.<sup>(3)</sup>

وفي المنطق : التصنيف هو ترتيب التصورات فيما بينها ، فهو عملية منطقية قائمة على مراعاة ترتيب الأجناس والأنواع ، تبعا لدرجة عموميتها<sup>(4)</sup> ونجد المناطقة إذا أرادوا معرفة النوع العالي الذي

(1) جلال محمد موسى ، المرجع السابق ، ص 55 .

(2) أبو العلاء عفيفي ، المنطق التوجيهي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1948 ، ص 47

(3) المرجع نفسه ، ص 48

(4) محمد السرياقوسي ، التعريف بالمنطق السوري ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، 1975 ، ص 139 .

تندرج تحته الأنواع الدنيا ، فهم يلجأون إلى هذه المعرفة عن طريق التصنيف<sup>(1)</sup> الذي هو عبارة عن تصور للمعرفة البشرية ، يوضع لشرح وتوضيح علاقات أجزاء المعرفة بعضها ببعض الآخر . والتصنيف أو التعميم من آليات عمل العقل ، فالعقل دوما يسعى لاختزال الكثرة والتعدد بالتصنيف والتعميم ، وبالتالي يسهل التعامل معها فكريا ، ويجب أن يراعى الهدف الذي وضع من أجله التصنيف .

وهناك طرق وأنواع للتصنيف ، حيث هناك أنواع لمستويات مختلفة من البنيات التي يمكن تصنيفها، فتصنيف البنيات الفيزيائية يلزمه التكميم المناسب ذي الدقة العالية جدا ، وهو مختلف عن تصنيف البنيات الحية ، والبنيات الحية والبنيات التكنولوجية ، أو البنيات الفكرية .

### 3-4- أسس عملية التصنيف:

تأسس عملية التصنيف على مجموعة من الأسس ؛ تتقوم بها العملية وتكتمل ، ومنها :  
أ) اكتمال عملية التصنيف<sup>(2)</sup> حيث لا يهمل أي عنصر ؛ تشتمله عملية التصنيف ، فكل العناصر مرتبطة في حركة دائرية تابعة للكل والمركز ، فإذا أردنا تصنيف الإنسان على أساس الجنس ؛ فإننا لا نهمل أي جنس من أجناس البشر .

ب) أن يقوم التصنيف على أساس واحد فقط ، فنحن نستطيع أن نصف الناس مثلا على أساس (الجنس) أو (اللون) أو المستوى الثقافي أو اللغة ، أما إذا جعلنا أساس التصنيف يقوم على كل هذه الأسس في وقت واحد ؛ فإن ذلك لا يجوز على الإطلاق ، ويكون التصنيف خاطئا<sup>(3)</sup>  
ج) مراعاة عدم تداخل الأنواع في بعضها البعض في عملية التصنيف ، فلا يوضع الشيء الواحد إلا في صنف واحد ، ومعناه العمل على منع دخول أفراد نوع معين تحت نوع آخر ، فمثلا لا يصلح تصنيف البشر إلى كائنات عاقلة ، وأخرى تمشي على رجلين ، وأخرى تبصر بعينين.<sup>(4)</sup>

(1) مهدي فضل الله ، مدخل إلى المنطق التقليدي ط2 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1979 ، ص 85 .

(2) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 280 .

(3) مهدي فضل الله ، مدخل إلى المنطق التقليدي ، المرجع السابق ، ص 86 .

(4) المرجع نفسه ، ص 86 .

## 3-5- أنواع التصنيف :

تباينت أنواع التصنيف وتعددت ، تبعا لموضوع التصنيف ومادته ، فالوحدة الموضوعية تفرض نفسها في كل نوع من أنواع التصنيف ، ويمكن إجمال هذه الأنواع في عناوين بارزة :

أ) التصنيف الصناعي :

وهي عملية نضعها بأنفسنا ، وذلك من أجل رد الكثرة إلى وحدة منسقة ومنظمة مبنية على غرض معين من الأغراض ... وهذا التصنيف (الصناعي) موجود في ترتيب المعاجم والأسماء ، وترتيب الحروف من الألف إلى الياء ،... فغاية هذا التصنيف عملية ، فهو يسهل علينا تذكر الأشياء المحيطة به (1).

فالتصنيف الصناعي لا يهتم بالمعرفة الدقيقة والجوهرية لمفهوم طبيعة الأشياء ، ولا حتى بيان صفاتها وخواصها الذاتية والعرضية إنما نستعمله لترتيب الأشياء ، ووضعها في نسق معين من أجل غاية عملية تساعدنا في معرفة طبيعة الأشياء (2).

## ب) التصنيف الطبيعي :

وفيه نجد التناسق (الوحدة) متحققا وموجودا في الأشياء ، وبواسطة ترتيب الأشياء على نظام ؛ أساسه معرفة صفاتها وعلاقتها الضرورية ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه التصنيف العلمي ، لأنه يبرز نظام الموجودات طبقا لصفاتها الجوهرية المستندة إلى الماهية ، كتصنيف العلوم حسب موضوعاتها ، وهو من أهم التصنيفات ، مثلما اعتبر المناطقة هذا النوع من التصنيف سر العلم وتقدمه (3) وفوق ذلك هناك تصنيفين أساسيين :

الأول : هو التصنيف البنيوي ، وهو تصنيف البنيات والأشياء.

الثاني : هو التصنيف الوظيفي ، وهو تصنيف الأدوار والوظائف لتلك البنيات .

كما أن لعملية التصنيف أنواعا وأوصافا تحدها ، نجد أن مرجع التصنيف أمر هام وحتمي ، فهو الأساس للتصنيف ، وهدف التصنيف يقرر طبيعة وخصائص التصنيف ، فتصنيف برغي أو عزقة

(1) جميل صليبا ، دروس الفلسفة (المنطق) ، مكتبة العلوم والآداب ، دمشق ، 1944 ، ج2 ، ص 281 .

(2) علي عبد المعطي محمد ، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، ط 2 ، دار المعرفة الجامعية ، بيروت ، 1984 ، ص4 .

(3) ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985 ، ص35 .



ذات سن فرنسي ، مع عزقة ذات سن إنكليزي (مع أنهما من نفس الحجم) لا يسمح باستعمال إحداها بدل الأخرى . إن دقة التصنيف هامة جدا لبناء الأحكام أو التنبؤات أو المعارف الدقيقة .

### 3-6- تصنيف العلوم

أُعتمد في تصنيف العلوم على الانتماء والتضمن ، وهو من التصنيفات الهامة والفعالة في بناء المعارف والأحكام ، وأُتبع هذا الطريق في تصنيف أغلب العلوم ، بناء على الانتماء أو تضمن البنيات لبعضها البعض (أي التحليل والتركيب) ، فتم البدء بالبنيات الفيزيائية ، وبتفاعلها مع بعضها تتشكل البنيات الكيميائية ، والبنيات الفيزيائية المعقدة الأخرى ، مثل الكواكب والنجوم ، ثم تتشكل من البنيات الكيميائية البنيات الفيزيولوجية ، ثم البنيات الحية ، ثم البنيات الاجتماعية ، ثم باقي أنواع ومستويات البنيات الأخرى وفي كل مستوى تكون بنياته متضمنة في المستوى الذي يليه ، أي بنيات المستوى الذي قبله ، فالبنيات الكيميائية متضمنة في البنيات الفيزيولوجية ، والبنيات الفيزيائية متضمنة في البنيات الكيميائية .

وكل بنية متضمنة هي آلة للمستوى الذي يليها ، فيما اصطلح عليها الفيلسوف "طه عبد الرحمان" بالـ"الآلية"<sup>(1)</sup> التي تكون خاصة إضافية ، تلحق كل علم يشترك في تحصيل غيره ، فيكون كل علم دخل في علم آخر ، بمتزلة آلة من آلاته ، فإذا كان دخول الحساب في الفقه يجعل منه آلة له ؛ فإن دخول التصوف في علم الأخلاق يجعله آلة لهذا الأخير ، وهكذا تكون الآلية صفة تعرض للعلوم من جهة استخدامها في غيرها ، بحيث لو صرف عنها هذا الاستخدام ؛ صارت علوما مقصودا لذاتها فيكون بذلك كل علم من جهة مقصودا لذاته ، ومن جهة أخرى آلة لغيره<sup>(2)</sup> .

إضافة إلى ما سبق ذكره من أسس التصنيف ، يجب أن يراعى أي تصنيف تام وفعال ؛ التمييز الواضح بين البنيات الفكرية التي تمثل الأشياء (أي الهويات أو الأسماء) من جهة ، والبنيات الفكرية الفعلية (الأفعال والآليات والتغيرات) من جهة أخرى ، كما يجب التمييز بين البنية الجزئية والبنية الشاملة لها .

ويجب أن يحدد في كل تصنيف المرجع والأساس الذي يُبنى عليه التصنيف وأن يحدد الهدف أو الدور (الوظيفة) لكل تصنيف وغايته .

(1) طه عبد الرحمان ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، ط2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، دت ، ص84 .

(2) المرجع نفسه ، ص 84 .

## المبحث الرابع : أهمية علم تصنيف العلوم وتاريخه

- تمهيد

4-1- ضرورة تصنيف العلوم

4-2- تاريخ تصنيف العلوم (نظرة عامة)

4-3- تاريخ تصنيف العلوم عند المسلمين

تمهيد :

إن تقسيم العلوم وتصنيفاتها ؛ من الأعمال المهمة التي لا يستغني عنها الفلاسفة والعلماء ، من أجل تنظيم بناهم الفكرية وآرائهم ، مثلما يحتاج إليه كتاب الموسوعات لكي يدونوا العلوم ويستفيد منها الآخرون ، وذلك لأن التنظيم والتقديم والتأخير وإعطاء الأولوية للخاص والعام ، بما في ذلك العلوم والمعارف البشرية من أعمال العقل الإنساني الذي ينشد الحضارة الإنسانية .

#### 4-1- ضرورة تصنيف العلوم :

مبحث تصنيف العلوم كان دائما مطلوباً ، لأنه - وكما ذكر سابقاً - يبين بذاته وحدة يطلبها عقل الإنسان . ولولا التصنيف فإننا نخلط بين المعارف والموضوعات والموجودات منقادين وراء النظرة السطحية القائمة على طابع التشابه فيما بينها ، ولعل هذا هو السبب العلمي الذي جعل فلاسفتنا يقفون على هذه الحقيقة ، ويخصصون لهذا العلم رسائل وكتباً لتصنيف العلوم والمعارف قصد تبيان الأساس المعرفي لكل علم ولكل معرفة<sup>(1)</sup>

ثم إن تصنيف العلوم يتأثر بالنظرة العلمية والفلسفية ، وبالعصر والزمان ، وبذلك نستطيع أن ندرك آراء واضعه وأفكاره وعقائده ، وكذا سيرورة الحركة العلمية في المكان والزمان . وبناء على ذلك فتصنيف المعارف البشرية تصنيفاً صحيحاً ؛ يتيح الوقوف على وحدة العلم ، كما يضع في متناول أيدينا الإدراك اللازم بكيفية تقسيمه إلى فروع مستقلة ، ومدى قرب الفروع بعض من بعض<sup>(2)</sup> وبالرغم من ذلك ما تزال هناك أسئلة جادة تطرح في مجال تصنيف العلوم ، فللمرء أن يتساءل : هل رفض التصنيف الهرمي للعلوم حقاً ؟ أليست وحدة العلوم ضرورية اليوم للوصول إلى الحقيقة ؟ هل العلوم الإنسانية متباينة مع العلوم الاجتماعية ؟ هل التصنيف المعمول به والمستند إلى آراء أرسطو كامل ولا اعتراض عليه ؟ ألا يمكن عرض طرح جديد لتصنيف العلوم ؟ يستند إلى مرجعية إلهية (القرآن) تنادي بالحقيقة ، وتهدي البشر للوصول إليها في اكتشاف طريقة لتصنيف العلوم .

إن مبحث تصنيف العلوم في نطاق البحث الفلسفي العام يقر بتدخل الأبعاد الإيديولوجية والأخلاقية التي تعكس كل الخصائص الفكرية والثقافية لمن تعاطى البحث والتأليف فيه . وبذلك

(1) عليش لعموري ، تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي عند "الغزالي" و"الفارابي" و"ابن خلدون" دراسة تحليلية نقدية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 1995-1996 ، ص 37 .

(2) حلال محمد موسى ، مرجع سابق ، ص 55 .

هو رسم منهجي لما ينبغي أن تؤول إليه المعرفة الإنسانية ، الأمر الذي يجعله تعبيراً شبه مباشر عن خصائص فكرية ثقافية ، باعتبار أن الثقافة تعني منهجية الإنسان في تحقيق حياته العقلية والعملية<sup>(1)</sup> والعلمية ، إذ إن تصنيف العلوم فيه معنى ذو غاية تعليمية واضحة ، عبر عنها "الفارابي" بدقة ، في بيانه لمنافع كتابه « إحصاء العلوم » فقال : « وينتفع لما في هذا الكتاب ، لأن الإنسان إذا أراد أن يتعلم علماً من هذه العلوم وينظر فيه علم على ماذا يقدم ؟ وفي ماذا ينظر ؟ وأي شيء سيفيد بنظره ؟ وما غناء ذلك ؟ وأي فضيلة تنال به ، ليكون إقدامه على ما يقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة ، لا عن غرور ، وبهذا الكتاب يقدر الإنسان على أن يقيس بين العلوم ، فيعلم أيها أفضل وأيها أنفع وأيها أتقن وأوثق وأقوى ، وأيها أوهن وأوهى<sup>(2)</sup> » ويقول في هذا "طاش كبرى زادة" :

« إن الفنون كثيرة وتحصيل كلها بل جعلها يسيرة ، مع أن مدة العمر قصيرة ، وتحصيل آلات التحصيل عسيرة ، فكيف الطريق إلى الخلاص من هذا المضيق ؟ فتأمل فيما قدمت إليك من العلوم اسماً ورسماً وموضوعاً ونفعاً ، وفيما اخترعت من التفصيل في طريق التحصيل<sup>(3)</sup> .»

ومما لا شك فيه أن علم تصنيف العلوم في البيئة الإسلامية ؛ قد شكل زاوية مهمة ، ولبنة أساسية في صياغة النسق الفكري الإسلامي ، فكان بحق عاملاً على بناء فكر إسلامي متقوم بروح العقيدة الإسلامية التي هي أساس كل اجتهاد في تصنيف العلماء المسلمين . وليس هذا بمتناقض مع تكوين الفكر على خصائص منهجية ثقافية في المعرفة بوجه عام ، بل هو تدعيم لذلك التكوين مع توجيهه الوجهة التي تبرز فيها صفات فكرية ثقافية متأينة بالداعي العقائدي الإسلامي ، وكفيلة في نفس الوقت ؛ بأن تمكن من استيعاب الحقيقة الإسلامية التي جاءت العلوم لشرحها<sup>(4)</sup> . ومن ثم السعي على ضوء تمثيلات تلك العقيدة وحقائقها ، والعمل بتوجيهاتها النظرية والعلمية على حد سواء .

(1) عبد المجيد النجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992 ، ص 14 .  
(2) أبو نصر الفارابي ، إحصاء العلوم ، تح ، عثمان أمين ، ط 2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1968 ، ص 53 .  
(3) طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، 1968 ، ج 1 ، ص 324 .  
(4) عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص 18 .

فلقد كان الجانب العلمي هو الشاغل الأساسي للفكر الإسلامي ، حتى إن العلم الذي لا يقترن بعمل ؛ لا يعد علما مرغوبا فيه إن لم يكن مذموما ، فكان العقل العملي بذلك أولى من العقل النظري باشتغال المشتغلين (1).

#### 4-2- تاريخ تصنيف العلوم :

نظرة عامة :

اهتم الفلاسفة والعلماء قديما بمبحث تصنيف العلوم ولا يزالون ، وقد أبدوا وجهات نظرهم منذ صدر التاريخ ، وعلى الرغم من أن هناك اقتراحات مختلفة في هذا الباب ؛ ابتداء باليونانيين على وجه الخصوص ، ثم العلماء المسلمين ، والفلاسفة الأوربيين ، الذين عرضوا وجهات نظرهم في كيفية تقسيم العلوم وتصنيفها ، فإن الباب لا يزال مفتوحا لدراسة مقترحات جديدة .

وينسب تصنيف العلوم الأول إلى اليونانيين ، وخاصة إلى "أفلاطون" و"أرسطو" ، وتصنيف هذا الأخير معروف ، فهو قد صنفها إلى ثلاث مجموعات :

الفلسفة النظرية والفلسفة العملية والعلوم الآلية .

ثم بعد ازدهار حركة الترجمة ؛ قام العلماء المسلمون كالكندي (252هـ) والفارابي

(339هـ)، وابن سينا (428هـ) والغزالي (505هـ) ، وغيرهم بإجراء أبحاث في تصنيف

العلوم ، وقد عنى بعض العلماء بجميع العلوم ، والبعض الآخر قصرُوا اهتمامهم على العلوم

الشرعية بسبب التزاماتهم الدينية فنظروا إلى سائر العلوم من الزاوية الدينية ، وثمة آخرون

استلهموا القرآن والعقائد الدينية ، وزاوجوا ذلك بما وصلنا من اليونان كما فعل "الفارابي" .

كما أن مؤلفي الموسوعات أولوا اهتمامهم لمسألة تصنيف العلوم ، ومن هؤلاء ابن النديم

(438هـ) وابن الأكفاني (749هـ) ، وحاجي خليفة (1067هـ) ، والتهانوي (1158هـ)

ووضع بعضهم قواعد للتصنيف كقاعدة العموم والخصوص ، وقاعدة التوقف والإناطة ، وقاعدة

الأشرفية .

وفي الغرب قام بعضهم مثل فرانسيس بيكون (1561 - 1652 م) بتصنيف العلوم بدءا بالعقل

الإنساني ، فصنفها على النحو التالي :

(1) طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مرجع سابق ، ص 326 .

فلقد كان الجانب العلمي هو الشاغل الأساسي للفكر الإسلامي ، حتى إن العلم الذي لا يقترن بعمل ؛ لا يعد علما مرغوبا فيه إن لم يكن مذموما ، فكان العقل العملي بذلك أولى من العقل النظري باشتغال المشتغلين (1).

#### 4-2- تاريخ تصنيف العلوم :

نظرة عامة :

اهتم الفلاسفة والعلماء قديما بمبحث تصنيف العلوم ولا يزالون ، وقد أبدوا وجهات نظرهم منذ صدر التاريخ ، وعلى الرغم من أن هناك اقتراحات مختلفة في هذا الباب ؛ ابتداء باليونانيين على وجه الخصوص ، ثم العلماء المسلمين ، والفلاسفة الأوربيين ، الذين عرضوا وجهات نظرهم في كيفية تقسيم العلوم وتصنيفها ، فإن الباب لا يزال مفتوحا لدراسة مقترحات جديدة .

وينسب تصنيف العلوم الأول إلى اليونانيين ، وخاصة إلى "أفلاطون" و"أرسطو" ، وتصنيف هذا الأخير معروف ، فهو قد صنفها إلى ثلاث مجموعات :

الفلسفة النظرية والفلسفة العملية والعلوم الآلية .

ثم بعد ازدهار حركة الترجمة ؛ قام العلماء المسلمون كالكندي (252هـ) والفارابي

(339هـ)، وابن سينا (428هـ) والغزالي (505هـ) ، وغيرهم بإجراء أبحاث في تصنيف

العلوم ، وقد عنى بعض العلماء بجميع العلوم ، والبعض الآخر قصرُوا اهتمامهم على العلوم

الشرعية بسبب التزاماتهم الدينية فنظروا إلى سائر العلوم من الزاوية الدينية ، وثمة آخرون

استلهموا القرآن والعقائد الدينية ، وزاوجوا ذلك بما وصلنا من اليونان كما فعل "الفارابي" .

كما أن مؤلفي الموسوعات أولوا اهتمامهم لمسألة تصنيف العلوم ، ومن هؤلاء ابن النديم

(438هـ) وابن الأكفاني (749هـ) ، وحاجي خليفة (1067هـ) ، والتهانوي (1158هـ)

ووضع بعضهم قواعد للتصنيف كقاعدة العموم والخصوص ، وقاعدة التوقف والإناطة ، وقاعدة

الأشرفية .

وفي الغرب قام بعضهم مثل فرانسيس بيكون (1561 - 1652 م) بتصنيف العلوم بدءا بالعقل

الإنساني ، فصنفها على النحو التالي :

(1) طه عبد الرحمن ، تحديد المنهج في تقويم التراث ، مرجع سابق ، ص 326 .

- 1- علوم تعتمد على الذاكرة وهي علوم التاريخ .
- 2- علوم تعتمد على الخيال ، وهي الفنون والشعر .
- 3- علوم تعتمد على الحكمة أو العقل وهي علوم الفلسفة (1).

أوغست كونت (1798-1857م) صنف العلوم بحسب كليتها المتنازلة والمفصلة وتعقيدها المتصاعدة ، أي كلما كانت الأحداث أبسط كانت أشمل كلية ، إذ إن هناك نسبة مباشرة بين البساطة والكلية (2) .

آندري آمير (1775-1873م) قسم العلوم إلى قسمين اثنين ؛ العلوم العالمية والعلوم العقلية ، وقسم كل منهما إلى أربع مجموعات .

هربرت سبنسر (1820-1903 م) الذي انتقد التصنيفات السابقة ، يقسمها إلى ثلاثة أقسام في الوهلة الأولى ، تحت أسماء العلوم المجردة ، والعلوم النصف مجردة والعلوم العينية (3).

أما دائرة المعارف البريطانية (ط15) فقد اتبعت أسلوب المراتب إلى حد ما ، يبدأ هذا التقسيم بالمادة والطاقة ، ومن ثم الأرض والحياة عليها وحياة الإنسان والمجتمع الإنساني ، والفن والتقنية ، والدين والتاريخ ، ويخصص الفصل الأخير لفروع العلم في الفكر والعقل الإنساني ، وفي تصنيف العلم البشري (4).

وفي الفصل العاشر يقسم العلم إلى خمسة أقسام ، يبدأ بالمنطق ، ثم الرياضيات ، ثم العلم الطبيعي ثم التاريخ والعلوم الإنسانية ، وأخيرا الفلسفة (5) .

(1) ناصر محمد السويديان ، التصنيف في المكتبات العربية دراسة مقارنة لأنظمة التصنيف العالمية ، دار المريخ للنشر ، الرياض 1982 ، ص 13

(2) جريل سيبي وبول جلنيه ، مشكلات ما بعد الطبيعة ، تر : يحي هويدي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1961 ، ص 201

(3) خالد الحديدي ، فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة العلوم ، ط 1 ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، 1969 ، ص 13 .

(4) knowledgeand guideto the new encyclopedia britannica propedeada

.10.britanica 1998 , Chicago , encyclopedia .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ما سبق طرحه بشأن تصنيف العلوم ؛ لا يعني بالضرورة بالرغم من أن فيه ما ينقصه ، لكن يلزم الالتفاف إلى أن جميع تلك الأطروحات هي من بنات أفكار الإنسان.

#### 4-3- تاريخ تصنيف العلوم عند المسلمين :

يتضح من خلال الدراسة التحليلية لتاريخ الحضارات القديمة أن العلوم والمعارف ازدهرت عند الفرس والرومان وعند الفراعنة والآشوريين والساميين وغيرهم ، وقد انتقلت هذه العلوم إلى العرب عن طريق العلماء المسلمين الذين ترجموا العديد من تلك الكتب .

ولقد شهدت الحضارة الإسلامية ازدهارا في جميع ميادين المعرفة ، ولعل السر في ذلك يكمن في نداءات النص الديني الإسلامي ؛ الذي خاطب العقل وحض على العلم والاجتهاد ، وأعطى الإنسان مجالا واسعا لحرية الفكر ، وكذا رفع من شأن العالم والمتعلم .

وإذا تحدثنا عن تصانيف المسلمين ؛ فإننا نبدأ بـ "الفارابي" (339هـ) ، إذا ما تجاوزنا محاولة "الكندي" (252هـ) المتواضعة في تصنيف العلوم<sup>(1)</sup> . "الفارابي" هو من أسبق العلماء المسلمين في إنشاء موسوعة في تصنيف العلوم أسماها (إحصاء العلوم)<sup>(2)</sup> ، وقد قسم فيها علوم زمانه إلى : اللغات - المنطق - الرياضيات - الطبيعيات - الإلهيات - الأخلاق السياسة ، وقد حاول أن يرتفع في موسوعته بالعلوم الشرعية إلى مستوى العلوم الفلسفية ؛ حيث إنه أراد أن يعد علمي الفقه والكلام صناعتين رائدتين ، وأن يجعل منهما علمين عامين للملئ جميعا ، لكن التوفيق لم يحالفه ، فما لبث أن ربط العلوم العلوية بالأخرويات أي بالدين ، وربط مباحث الإلهيات بعلم التوحيد<sup>(3)</sup> .

ولعل أقدم التصانيف للمسلمين هو تصنيف "جابر بن حيان" (160هـ) ، ذلك التصنيف الوارد في كتابه (الحدود) ، وقد اتخذ جابر لنفسه طريق القسمة الثنائية الأفلاطونية ، فهي على ضربين : علم الدين وعلم الدنيا ، فكان علم الدين فيها منقسما إلى قسمين : شرعي وعقلي ،

(1) عبد المجيد عمر النجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 17 نقلا عن المعجم الفلسفي ، ط :

دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1971 .

(2) الفارابي ، إحصاء العلوم ، المصدر السابق .

(3) بول غليونجي وآخرون ، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ، دار مطابع المستقبل ، دط ، دت ، ج 1 ، ص 61 .



وكان العقلي منها منقسما إلى قسمين : علوم معاني ، وعلوم حروف .. والعلوم الدنيوية تنقسم إلى شريفة ووضعية.<sup>(4)</sup>

أما إخوان الصفا (القرن 4هـ) فقد تجاوزا التقسيم الثنائي للعلوم ، فقسّموا رسائلهم إلى أربعة أقسام رئيسية للمعرفة : رياضية تعليمية وجسمانية طبيعية ونفسانية عقلية ، وناموسية إلهية ، وكان تأثرهم بالفيشاغورين واضحا في تصنيفهم للعلم ، والجديد في تصنيف " إخوان الصفا " ؛ هو اعتبارهم علم السياسة ضمن العلوم الإلهية <sup>(1)</sup>.

ولعل " ابن النديم " (438هـ) من العلماء الرائدین في إنشاء موسوعة يصنف فيها العلوم ، سماها (الفهرست) ، إذ إنه نشأ في عائلة بغدادية من الوراقين ، وكان أبوه تاجر كتب ، فأخذ المهنة عن أبيه وأبدع فيها ، وأخذ يطوف للحصول على نسخ صحيحة من الكتب النادرة ، ثم فكر في إعداد قائمة بكتب العلوم غير الفقهية ، وأصدر مسودته الأولى من (الفهرست) لزيائنه عام (368هـ) ، وكانت في أربع مقالات ، ولما وجد أن قائمته لقيت رواجاً زادها تدريجياً ، وجعلها تشمل العلوم الفقهية وغير الفقهية <sup>(2)</sup> فأصبحت عشر مقالات ، وكل منها في عدة فنون بدءاً بعلم الخط ، وانتهاء بالكيمياء والتكنولوجيا <sup>(3)</sup>.

وقد شمل (الفهرست) كتب العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند وأخبار مصنفيها. ولقد ركز (روزنتال) في كتابه (علم التاريخ عند المسلمين) على كتاب (الفهرست) وأورد منه نصوصاً كاملة منه <sup>(4)</sup>.

أما "الخوارزمي" (387هـ) فقد ألف دائرة معارف علمية إسلامية ، على غرار الموسوعات الإغريقية القديمة سماها (مفاتيح العلوم) قسم فيها العلوم إلى مقالتين : المقالة الأولى : وتشمل الفقه في الكلام والنحو والكتابة والشعر والعروض والأخبار ، أما المقالة الثانية : فتشمل الفلسفة والمنطق والطب وعلم العدد والهندسة وعلم النجوم والموسيقا والحيل والكيمياء <sup>(5)</sup>.

(4) نقلا عن : جلال محمد موسى ، منهج البحث العلمي عند العرب ، مرجع سابق ، ص 61 .

(1) جلال محمد موسى ، المرجع السابق ، ص 72 .

(2) موسوعة العلوم الإسلامية ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 471 .

(3) راجع : ابن النديم محمد بن إسحاق ، الفهرست ، (ج1) ، دار المعرفة ، بيروت ، دط ، 1398 هـ ، 1978 م .

(4) فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح العلي ، ط2 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ،

1983 ، ص 276-277

(5) محمد بن موسى الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دط ، دت ، ص2 .

بعد "الخوارزمي" ؛ جاء "ابن سينا" (428هـ) وألف كتابا موسوعيا سماه (الشفاء) ، ولو أن مادة الكتاب الأساسية ليست تصنيفا للمعرفة ، ولكنه في طريقة ترتيبه قسم فيه العلوم إلى ثلاثة أقسام<sup>(1)</sup>:

1- الطبيعيات : ويبحث علم النفس وعلم الحيوان .

2- الرياضيات : ويبحث في أصول الهندسة وجوامع علم الموسيقى وعلم الهيئة .

3- المنطق : ويبحث في المدخل والبرهان والسفسطة .

ثم تلاه "ابن حزم" (456هـ) وألف كتابا سماه (مراتب العلوم) حيث تجاوز فيه التقسيم الثنائي والثلاثي للعلوم ، واعتبر جميع العلوم واحدة شرط أن تكون مقبولة شرعا وعقلا<sup>(2)</sup> ، حيث لجأ "ابن حزم" في ذلك إلى التصنيف الدائري .

أما "أبو حامد الغزالي" (505هـ) فقد قسم الفلسفة إلى ستة أقسام : الرياضيات - المنطقيات - الطبيعيات - الإلهيات - السياسيات - الأخلاقيات، أما بالنسبة للعلوم الدينية الشرعية ؛ فيقسمها إلى علم المكاشفة ، وعلم المعاملة أو علم الشريعة وعلم الحقيقة<sup>(3)</sup> ، وقد صنف من أجل ذلك كتابه إحياء علوم الدين ، ورسالة فاتحة العلوم ، والمنقذ من الضلال ، والرسالة اللدنية، وكذا في جواهر القرآن ..

بعده جاء "الأبيوردي" (ت1189م) وألف كتابا سماه (طبقات العلوم) ، ثم "الرازي فخر الدين" (606هـ) ألف كتابا سماه (حدائق الأنوار في حقائق الأسرار) أورد فيه موضوعات ستين علما، ألفه للسلطان علاء الدين الخوارزمي ، ثم "ابن الساعي" (647هـ) الذي أنشأ كتاب (أخبار المصنفين) في ستة مجلدات<sup>(4)</sup> . أما "الأملي" (742هـ) فقد ألف كتابا سماه (نفائس الفنون في عرائس العيون) ذكر أنه ألف في كل فن تأليفا ، وأراد أن يجمعها في تأليف واحد ، فلم يزل يجمع حتى بلغ مئة وعشرين علما فألف هذا الكتاب<sup>(5)</sup> .

(1) (2) نقلا عن : المرعشي محمد بن أبي بكر ، ترتيب العلوم ، تحقيق محمد بن اسماعيل ، ط1 ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت 1988 ، ص 27 - 28 .

(3) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ط1 ، دار العلم ، بيروت ، دط ، دت ، مج 1 ، ص 8 .

(4) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تح : محمد شرف الدين بالفتايا ، ط3 ، المطبعة الإسلامية ،

طهران 1387 هـ ، 1967 م ، 336/1

(5) سيد حسين نصر ، العلوم في الإسلام ، ترجمة مختار الجوهري ، دار الجنوب تونس ، 1987 ، ص 42

بعد "الخوارزمي" ؛ جاء "ابن سينا" (428هـ) وألف كتابا موسوعيا سماه (الشفاء) ، ولو أن مادة الكتاب الأساسية ليست تصنيفا للمعرفة ، ولكنه في طريقة ترتيبه قسم فيه العلوم إلى ثلاثة أقسام<sup>(1)</sup>:

1- الطبيعيات : ويبحث علم النفس وعلم الحيوان .

2- الرياضيات : ويبحث في أصول الهندسة وجوامع علم الموسيقى وعلم الهيئة .

3- المنطق : ويبحث في المدخل والبرهان والسفسطة .

ثم تلاه "ابن حزم" (456هـ) وألف كتابا سماه (مراتب العلوم) حيث تجاوز فيه التقسيم الثنائي والثلاثي للعلوم ، واعتبر جميع العلوم واحدة شرط أن تكون مقبولة شرعا وعقلا<sup>(2)</sup> ، حيث لجأ "ابن حزم" في ذلك إلى التصنيف الدائري .

أما "أبو حامد الغزالي" (505هـ) فقد قسم الفلسفة إلى ستة أقسام : الرياضيات - المنطقيات - الطبيعيات - الإلهيات - السياسيات - الأخلاقيات، أما بالنسبة للعلوم الدينية الشرعية ؛ فيقسمها إلى علم المكاشفة ، وعلم المعاملة أو علم الشريعة وعلم الحقيقة<sup>(3)</sup> ، وقد صنف من أجل ذلك كتابه إحياء علوم الدين ، ورسالة فاتحة العلوم ، والمنقذ من الضلال ، والرسالة اللدنية، وكذا في جواهر القرآن ..

بعده جاء "الأبيوردي" (ت1189م) وألف كتابا سماه (طبقات العلوم) ، ثم "الرازي فخر الدين" (606هـ) ألف كتابا سماه (حدائق الأنوار في حقائق الأسرار) أورد فيه موضوعات ستين علما، ألفه للسلطان علاء الدين الخوارزمي ، ثم "ابن الساعي" (647هـ) الذي أنشأ كتاب (أخبار المصنفين) في ستة مجلدات<sup>(4)</sup> . أما "الأملي" (742هـ) فقد ألف كتابا سماه (نفائس الفنون في عرائس العيون) ذكر أنه ألف في كل فن تأليفا ، وأراد أن يجمعها في تأليف واحد ، فلم يزل يجمع حتى بلغ مئة وعشرين علما فألف هذا الكتاب<sup>(5)</sup> .

(1) (2) نقلنا عن : المرعشي محمد بن أبي بكر ، ترتيب العلوم ، تحقيق محمد بن اسماعيل ، ط1 ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت 1988 ، ص 27 - 28 .

(3) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ط1 ، دار العلم ، بيروت ، دط ، دت ، مج 1 ، ص 8 .

(4) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تح : محمد شرف الدين بالفتايا ، ط3 ، المطبعة الإسلامية ،

طهران 1387 هـ ، 1967 م ، 336/1

(5) سيد حسين نصر ، العلوم في الإسلام ، ترجمة مختار الجوهري ، دار الجنوب تونس ، 1987 ، ص 42

وقد جاء تصنيف "ابن الأکفاني" (749هـ) في كتابه (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم) ، واعتبر فيه العلوم آلیة وغير آلیة ، وتصنيفه للعلوم يمكن أن نعرفه من ثلاثة رؤوس لموضوعات هي: القول في حصر العلوم أولا ، والعلوم الحکمية النظرية ثانيا ، والعلوم الحکمية العملية ثالثا (1).

و"ابن خلدون" (858هـ) يصنف العلوم أساسا في مقدمة كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) مخصصا الباب السادس من المقدمة بأسره للبحث في العلوم وأصنافها ، وهو يقسم العلوم أساسًا إلى قسمين رئيسيين : علوم طبيعية وعلوم نقلية ، والعلوم الطبيعية عنده هي العلوم الفلسفية ، وسائر العلوم الطبيعية ، ويسميا أحيانا العلوم العقلية ، وهي التي يهتدي إليها الإنسان بمماركه ، والعلوم النقلية هي التي تستند إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل ؛ إلا إلحاق الفروع بالأصول بوجه قياس (2).

ولعل أبرز تصنيف هو ما أثر عن العلامة "طاش كبرى زادة" (986هـ) فصنف موسوعة أسماها (مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم) والتي صنف فيها العلوم تصنيفا موسعا واصطناعيا ، فجعل عدد موضوعاتها ثلاثمائة علم ؛ بتقسيم العلم الواحد في أحيان كثيرة إلى أقسام عديدة (...)(3)

وقد اعتمد "حاجي خليفة" (1067هـ) على هذه الموسوعة اعتمادا كبيرا في تصنيف موسوعته (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) ، ونقل منها فقرات كاملة (4) لكنه طور فيها وزاد عليها ببراعة ، ولم يرتب فيها العلوم ترتيب من سبقه ، بل رتب المؤلفات ترتيبا هجائيا ، وذكر تخصص مادة كل كتاب مذكور ، وإذا ورد علم ضمن هذا الترتيب الهجائي لتلك المؤلفات يذكره ويشرح ما هيته ، وأحيانا يذكر من ألف وصنف في هذا العلم (5).

(1) ابن الأکفاني محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم ، تحقيق عبد المنعم محمد عمر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دت ، ص79 وما بعدها .

(2) ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، ط4 دار الكتب العلمية بيروت ، 1398هـ ، ص430.

(3) راجع : أحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، مصدر سابق.

(4) موسوعة العلوم الإسلامية ، 126/1.

(5) راجع : حاجي خليفة ، المصدر السابق.

## خاتمة

إن الغاية المثلى التي تأسس من أجلها العلم ، هي الغاية التي تنشأ الخيرية للإنسان ونفعه ، فإذا كان العلم بالكون مما يراد به إلحاق الضرر أو السبب في الفساد مثل العلم ببعض العناصر لأغراض تدميرية ، كما هو واقع اليوم في بعض العلوم ، فإنه بمقياس التحضر الإسلامي لا يعد من العلم بالكون بل هو مستثنى مستبعد من دائرة العلم ، ولذلك فإن العديد من المصنفين الإسلاميين للعلوم ، نبهوا إلى قسم منها ووصفوه بالعلم المذموم ، وأخرجوه من دائرة العلم الكوني بالمفهوم الإسلامي<sup>(1)</sup> ، كما سنرى في الفصول اللاحقة .

(1) عبد الحميد النجار ، فقه التحضر ، مرجع سابق ، ص 98 .

## الفصل الثاني : تصنيف العلوم عند غير المسلمين

المبحث الأول : تصنيف العلوم في الفكر اليوناني

المبحث الثاني : أساس تصنيف العلوم في الفكر اليوناني

المبحث الثالث : تصنيف العلوم في الفكر الغربي

المبحث الرابع : خصائص تصنيف العلوم في الفكر الغربي

## المبحث الأول : تصنيف العلوم في الفكر اليوناني

- تمهيد

1-1- تصنيف العلوم عند أفلاطون

أ- نظرية المعرفة

ب- تصنيف أفلاطون للعلوم

1-2- تصنيف العلوم عند أرسطو

أ- نظرية المعرفة

ب- التقسيم الأرسطي للعلوم

تمهيد :

لقد ارتبط تصنيف العلوم بالفلسفة طوال عصور الفكر المختلفة بدءا من الفلسفة اليونانية ، حيث ظهرت بوادر التصنيف لدى أفلاطون ، واتضحت صورتها الكاملة عند أرسطو - الذي كان فيلسوفاً وكان مؤرخاً للعلم والفلسفة بقدر ما كان مصنفاً - وكذلك في الفلسفة الإسلامية عند تلاميذ أرسطو من المشائين وعند غيرهم .

وحقيقة القول أن الفلسفة الإسلامية هي امتداد للفلسفة اليونانية بكلها ؛ هو قول فيه شيء من التعميم ، صحيح أن البدايات كانت متأثرة بالفلسفة اليونانية ، لكن مسار الفلسفة الإسلامية اصطبغ بعد ذلك بالهوية الإسلامية ، وسنثبت ذلك لاحقا بشيء من التفصيل .

مقارن للعلوم الإسلامية



## 1-1- تصنيف العلوم عند أفلاطون :

قبل أن نقف على تصنيف العلوم عند أفلاطون ، يجدر بنا أن نتوقف عند بحث نظرية المعرفة عنده ، وذلك لإدراك أساسات التصنيف ، وحضورها في تفاصيل عمله التصنيفي .

## أ) نظرية المعرفة :

يعتبر أفلاطون أول باحث جاد في نظرية المعرفة<sup>(1)</sup> ، وتتوقف نظريته في المعرفة على نظريته في المثل، تلك المثل التي تدرك بالعقل لا بالتجربة ، التي تتميز بكثرة التحول ، فالمثل أزلية أبدية ، أما الظواهر الحسية فهي سريعة التغير ، ولا يقوم هذا العقل على انتزاع الماهيات من معطيات الحس ، بل يقوم على التأمل والتذكر ، أي يدرك الماهيات بحس الفكر من غير قدرة على رؤيته أو لمسها<sup>(2)</sup>.

لكن لِمَ افترض أفلاطون أن العالم المحسوس عالم متغير ؟ يبدو أن اهتمامه بالرياضيات البحتة قاده إلى هذا الفرض ، فقضايا الهندسة صادقة مطلقا وتتوصل إليها ببرهان ، وهي جديرة باسم المعرفة، بينما القضايا التجريبية ليست موضوع معرفة ، لأنها تحتمل الصدق والكذب والخداع<sup>(3)</sup>. لقد توصل أفلاطون من كل ذلك إلى أن ما يتوفر فيه الثبات المطلق والكمال هو موضوع المعرفة بالمعنى الدقيق ، وإذن فموضوع المعرفة هو عالم المثل ، ويدرك بالعقل ، ولذلك يكون أول من نادى بما يسمى النظرية العقلانية في المعرفة (Rationalisme).

## ب) تصنيف أفلاطون للعلوم :

إن تصنيف العلوم أو المعارف كان نتيجة الصراع الجدلي المتسم بالطابع الإيديولوجي الدائر على مستوى العلوم والمعرفة في عصره ، ما دفع بأفلاطون أن يحدد موقفه من علوم ومعارف عصره التي استبعدت كل ما هو ميتافيزيقي في نشأة العوالم والأشياء ، واعتبرت القيم والمبادئ ذات مصدر اجتماعي .

يتعرض أفلاطون في كتابه (الجمهورية) إلى تصنيف العلوم وتقسيم المعرفة ، وخاصة في الفصل السادس والفصل السابع من الكتاب ، يقول "أفلاطون" : « يوجد عالمان : العالم المنظور الذي

(1) محمود زيدان ، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين ، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، 1989 ، ص 17

(2) الربيع ميمون ، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية ، ش.و.ن. الجزائر 1980 ، ص 260

(3) المرجع السابق ، ص 20 .

تتناوله الباصرة ، والعالم العقلي الذي تتناوله البصيرة ، وفي كل منهما قسمان يتدرجان من الخفاء إلى الوضوح هكذا :

(أ) - العالم المنظور وفيه :

1- الصور أي الظلال والانعكاس .

2- الموضوعات ، أي الأشياء المادية الحية والجامدة .

(ب) - العالم العقلي وفيه :

1- المعرفة المحصلة بواسطة المقدمات ، وعليها تبني النتائج كافة ، ويستخدم لأجل إيضاحها الفرع الثاني من العالم المنظور كالمهندسة مثلا .

2- المعرفة التي ليس في أبحاثها أشياء مادية ، بل تقتصر على الصور الجوهرية ، التي تعالج الفروض للتوصل إلى مبدأ أولي مطلق نستخرج منه نتائج صحيحة ، ويقابل هذه الأقسام الأربعة حالات عقلية أربعة ، تتقدم من الخفاء إلى الوضوح هكذا :

أ- الظن      ب- الاعتقاد      ج- الفهم      د- الإدراك « (1) .

ويقول في نفس الكتاب :

« فافرض أنك أخذت خيطا مقسوما إلى قسمين غير متساويين ، يمثل أحد قسميه الموضوعات المنظورة ، والآخر العقلية ، ثم أقسم كلا منهما إلى قسمين على النسبة نفسها ، فإذا اتخذت طول القسمين مثلا متباينا في درجة الوضوح والخفاء ، فأحدهما الذي يمثل العالم المنظور يمثل (( بأحد القسمين )) الصور أعني بها أولا الظلال ، وثانيا : ما عكس عن سطح الماء المواد الصقلية اللامعة ، وما هو من نوعها إذا كنت قد فهمتني » . (2)

ويمكننا أن نستخلص من نظرية أفلاطون أن عالم المعرفة ينقسم عنده إلى قسمين :

القسم الأول : يمثل الموضوعات الحسية أو عالم المحسوسات .

القسم الثاني : هو عالم المثل أو المعقولات .

وعالم المحسوسات بدوره ينقسم إلى قسمين ، فالقسم الأول يمثل الموضوعات الحقيقية وهي

الموجودات الحية كالإنسان والحيوان والنبات وكذلك عالم الطبيعة والفن .

(1) أفلاطون ، جمهورية أفلاطون : تر : حناحياز ، ط2 دار القلم ، بيروت ، 1980 ، الكتاب السادس من الجمهورية ص

والقسم الثاني من الجزء الأول فهو شبيه بالصور الوهمية أو المتخيلة ، فهو يضرب لنا بهذه الصور الوهمية أو المتخيلة بالظلال الناتجة عن انعكاس المحسوسات ( عن سطح الماء والمواد الصقلية اللامعة<sup>(1)</sup> .

أما عالم المعقول فهو بدوره يقسمه إلى قسمين أيضا فيقول : « قسم منه يمثل ما تخطر النفس أن تدركه مستعينة اضطرابا بأقسام الخط الأول ؛ التي تستخدمها الصور مبتدئة من الفروض ومتجهة ليس إلى مبدأ أولي ، بل إلى نتيجة ، ويمثل القسم الآخر موضوعات النفس المرتقبة من الفروض إلى مبدأ أول ليس هو فرضا ، ولا مستعانا على إدراكه بالصور التي استخدمها القسم السابق وهي (( النفس )) نصوص تقدمها بمساعدة الصيغ الجوهرية الحقيقية ..... ويعني من هذا كله أن القسم الأول منه يشمل الرياضيات ، والقسم الثاني يشمل الإلهيات »<sup>(2)</sup> .

فالمعرفة الرياضية التي يطبق فيها المنهج الفرضي الاستنباطي هي معرفة تقوم على الفروض النظرية، وهي كالمهندسة والحساب ، ولا يبرهن فيها على المبادئ فيقول : « فيقصدوا أن يفهموا هذه الأشياء كفروض ومثل ، فلا يعلقون عليها أهمية في البحث لا لأنفسهم ولا للآخرين لأنها أمور بينة في ذاتها»<sup>(3)</sup> .

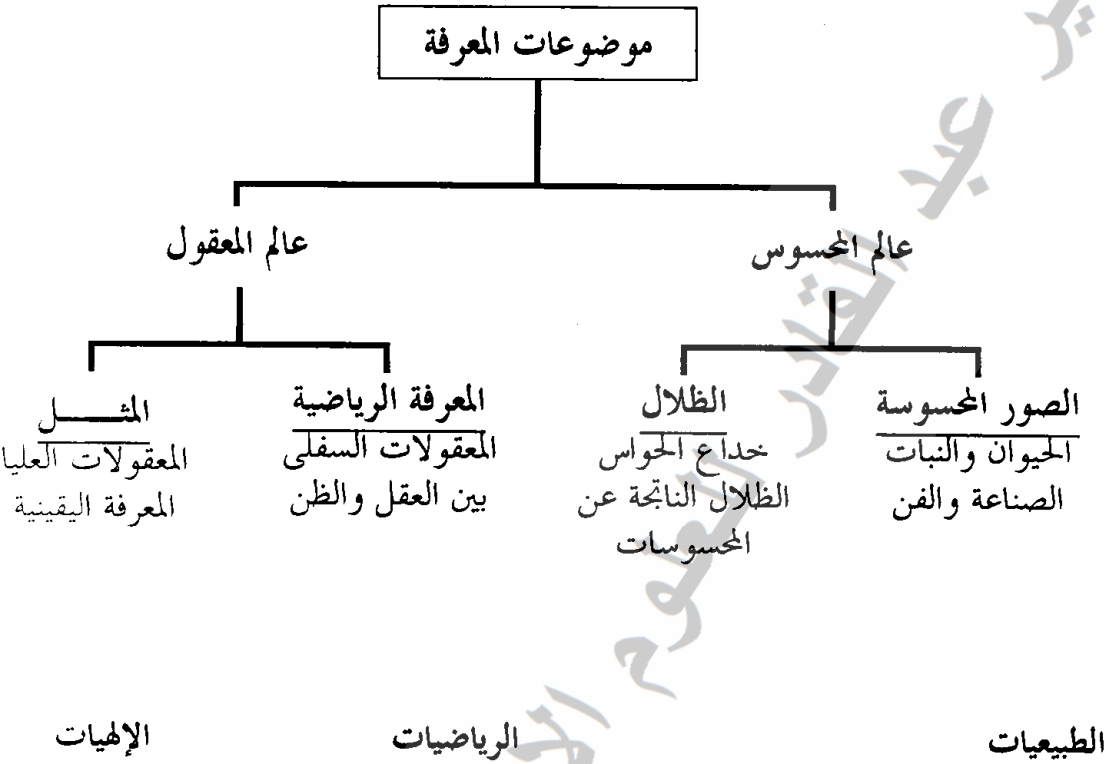
ويسميتها المعقولات السفلى ، لأنها معرفة وسط بين الظن والتعقل ، أو هو الجسر الذي تنتقل به من عالم المحسوس إلى عالم المعقول ، لأننا في الرياضيات نرسم مربعات ومثلثات محسوسة ، ومع ذلك فإننا نتم بالمثلثات والمربعات المعقولة والتي تدرك بالعقل ، يقول "أفلاطون" : « فلا يدرسون هذا المربع المرسوم أو ذلك القطر الذي رسموه ، بل يرمون بفكرتهم إلى المربع المطلق والقطر المطلق، وهكذا فإنهم مع استخدامهم هذه الأشكال والمجسمات كصور ، وهي أيضا أشباح معكوسة على المياه ، ولكنهم بالحقيقة يرمون إلى إدراك الحقائق المجردة التي إنما يدركها الإنسان بالفكر »<sup>(4)</sup> وهذا المعقول ذاته هو القسم الثاني من عالم المعقولات والذي يمثل المعرفة اليقينية ، ويسميتها المعقولات العليا ، أو عالم المثل أو عالم الصور المجردة ، وهو يمثل قسم الإلهيات .

(1) أفلاطون ، المصدر السابق ، ص 203 و 204

(2) المصدر نفسه ، ص 204 .

(3) (4) المصدر نفسه ، ص 204 .

فالمعرفة عند "أفلاطون" إذن قسمان : معرفة تمثل ( ظلال الماديات والسمويات ) وهي المعرفة الحسية ، ومعرفة تمثل الحقائق العليا<sup>(1)</sup> ، وهي المعرفة العقلية والتي يراها معرفة صحيحة ، ومن هنا فإن أفلاطون شأنه شأن كل الفلاسفة العظام الذي أتوا من بعده بقرون ، فاهتم بالعلم الكلي والكلي هو عالم المعقول ، والجزء الثاني هو عالم المحسوس الذي تدركه الحواس . ولعل اهتمام كبار فلاسفة اليونان بالجانب العقلي ؛ هو الدافع الأسمى الذي دفعهم إلى التقدم في العلوم المجردة كالفلسفة والرياضيات والفن ، ذلك عندما رأوا أن العلم لا يكون إلا بالكلية<sup>(2)</sup> . والشكل التالي يوضح لنا رأي أفلاطون في العلوم :



هذا الشكل يلخص لنا تقسيم المعرفة عند أفلاطون ويحدد لنا النتائج الآتية :

(1) أفلاطون ، المصدر السابق ، ص 204.

(2) حسام الألويسي ، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1980م ، ص 201.

النتيجة الأولى : أن العلوم والمعارف عند أفلاطون والمعارف عند أفلاطون ثلاثة وهي :

أ- العلوم السفلى : وتمثل العلوم الطبيعية

ب- العلوم الوسطى : وتمثل العلوم الرياضية

ج- العلوم العليا : وتمثل معرفة المبدأ الأول والمثل (( الإلهيات ))

النتيجة الثانية : إن أساس التقسيم في هذه العلوم هو المادية أو التغير والثبات ، فكلما كان موضوع العلم ماديا متغيرا كان أسفل .

النتيجة الثالثة : المعرفة الرياضية واسطة بين المادية والعقلية ، وهي دون العقلية .

النتيجة الرابعة : المعرفة الرياضية هي أول ما نبتدى به في التعليم .

النتيجة الخامسة : الحكمة أو العلم أو الفلسفة على الحقيقة هو النوع الثالث أي العقلية<sup>(1)</sup> .

وهكذا فإننا نجد أفلاطون قد نظر إلى العلوم المتعارف عليها بأنها علوم وسطية بين الرأي والعلم ، فلا الرياضيات ولا علم الفلك ولا علم الموسيقى ولا العلوم الطبيعية ..... كما هي معروفة في عصر أفلاطون يمكن أن تعتبر علوما حقيقية ، إذا ما بنيت على الأسس الميتافيزيقية التي تضعها فلسفة أفلاطون .

وإذا تساءلنا عن الأمر الذي يجعل هذه العلوم المتعارف عليها لا تصل إلى مرتبة العلم ، فإن "أفلاطون" يجيب عن هذا التساؤل في الكتاب السادس من الجمهورية .

فموضوع علم الهندسة الحقيقي يختلف عما يتصوره المشتغلون في عصر "أفلاطون" لأن هؤلاء يتناولون علم الهندسة بنظرة تطبيقية ، بينما في رأيه يطلب بهدف المعرفة في ذاتها أو الأمر نفسه بالنسبة لعلم الحساب والأعداد ، ففي رأي أفلاطون ، يجب أن نفكر في الأعداد في ذاتها وليس التفكير في الأعداد التي تمثل أشياء مرئية وملموسة<sup>(2)</sup> .

وكذلك علم الفلك كان يطبق في عصر "أفلاطون" بهدف توجيه نظر النفس نحو الأسفل ، لا نحو الأعلى ، ولهذا السبب لا يتوصل برأي أفلاطون إلى مرتبة العلم ، لكن علم الفلك في كل حال - كما يقول أفلاطون - يحمل النفس على النظر إلى ما فوق<sup>(3)</sup> .

(1) حسام الألوسي ، المرجع السابق ، ص 201 .

(2) أفلاطون ، المصدر السابق ، ص 204 .

(3) المصدر نفسه ، الكتاب السابع ، ص 219 .

والعلوم التي تجعل النفس تنظر إلى ما فوق ؛ هي العلوم التي موضوعها الأمور الحقيقية غير المنظورة، أو الوجود غير المرئي ، يقول "أفلاطون" : « فلا أرى علما يرفع نظر النفس إلى ما فوق إلا إذا تناول الأمور الحقيقية غير المنظورة»<sup>(1)</sup> .

وعلم الموسيقى أيضا ينظر إليه "أفلاطون" بأنه غير جدير بهذه التسمية ، لأن الموسيقى من عمل العقل لا من عمل الأذن ، ويرى " أفلاطون" إن أساتذة الموسيقى كالفلكيين ، يكتفون بقياس اللحن والإيقاع الذي تدركه الآذان ، الواحد ضد الآخر ، ولذلك يتعبون لغير جدوى ، لكنهم لا يحملون أنفسهم على فحص الأعداد ، لحنية وغير لحنية ، وعن سبب الاختلاف بينهما<sup>(2)</sup> .

(1) أفلاطون ، المصدر السابق ، الكتاب السابع ، ص 219 ، 220 .

(2) المصدر نفسه ، ص 221 - 224 .

## 1-2- تصنيف العلوم عند أرسطو :

يعد "أرسطو" ( 384 - 322 ق.م) أحد أهم أعمدة الفكر اليوناني ، الذين أسسوا لفلسفة رصينة بمختلف مباحثها ، تلك الفلسفة التي عرفت امتدادا لآراء صاحبها طيلة قرون طويلة ، وهي الفلسفة الأولى التي ترجمت في البيئة العربية الإسلامية ... وقبل أن نعرض لتصنيف "أرسطو" ، نورد بإيجاز نظريته في المعرفة .

## أ) نظرية المعرفة عند أرسطو :

عرف عن "أرسطو" رفضه للمنهج المعرفي عند أفلاطون ( السابق ) ، حيث رفض تصورات أستاذه في المعرفة ، وكان في اعتقاده أنه مذهب قاصر<sup>(1)</sup> . بيد أنه وعلى الرغم من أنه لم يقبل نظرية المثل فقد رأى أن المعرفة تكون دائما بالأشياء الثابتة ، وهي صور الأشياء المحسوسة ، وهذا تطوير لمذهب أفلاطون<sup>(2)</sup> .

لم يقل "أرسطو" إن الحواس خادعة ، أو أن العالم المحسوس موضوع للظن ، لكنه رأى أن العالم المحسوس موضوع معرفة ، بمعنى أن موضوع المعرفة هو الصور المنبثقة في المادة<sup>(3)</sup> . ويشرح ذلك بقوله : « إن المعرفة تتألف من إدراك العلاقات الأساسية بين الصور ، لكي نعرف شيئا يجب إدراجه تحت نوع وجنس ، ومن ثم تعرف ماهيته ، وهي صورته وعلته ، ولكي نعرف علته يجب البرهان على الماهية من مبادئ أولى ، ونعرف هذه المبادئ بنوع من الحدس ، ونرى صدقها في الأمثلة الحسية ، ومن الغباء أن تطلب البرهان على شيء ، فالمبادئ الأولى لا تقبل البرهان . »<sup>(4)</sup> وقد ميز "أرسطو" بين ثلاثة أنواع من التفكير :

النظري والعملي والمنتج ، هذه الأنواع الثلاثة من التفكير تقابل الفلسفة النظرية والعملية والصناعات الإنتاجية.<sup>(5)</sup>

(1) خالد الحديدي ، مرجع سابق ، ص 112

(2) محمود زيدان ، مرجع سابق ، ص 22 .

(3) (4) المرجع نفسه ، ص 23 .

(5) جلال محمد موسى ، المرجع السابق ، ص 58 ، نقل عن :

## (ب) التقسيم الأرسطي للعلوم :

لقد كان لأرسطو الفضل الأكبر في الفصل بين مجالات العلوم المختلفة ، ومن ثم استطاع أن يميز علم الطبيعة ، وأن يخصه بموضوع منفصل عن موضوع الميتافيزيقا . ولم يكن فلاسفة اليونان قبله يعرفون التمييز الواضح بين العلوم ، ولقد كان تقدما هاما في تلك الفترة أن يحاول "أرسطو" تمييز مجالات هذه العلوم ، ويضع الفروق الدقيقة بين كل منها بصورة نظرية واضحة المعالم.<sup>(1)</sup>

- يتعرض أرسطو لتصنيف العلوم في كتابه (الجدل) وخاصة في المقالة السادسة في الفصل السادس والثامن ، وكتاب (الأخلاق النيقوماخية) في المقالة السادسة في الفصل الثاني ، وفي كتاب (ما بعد الطبيعة) المقالة السادسة الفصل الأول ، وهو يميز في هذه الكتب بين العلوم النظرية ، والعلوم العملية ، والعلوم الإنتاجية<sup>(2)</sup> .

(أ) - العلوم النظرية :

العلم النظري ينتهي إلى مجرد المعرفة ، ويقع على الوجود من ثلاث جهات من حيث هو متحرك ومحسوس ، وهذا هو العلم الطبيعي ، ومن حيث هو مقدار ، وهذا هو العلم الرياضي ، ومن حيث هو وجود بالإطلاق ، وهذا هو ما بعد الطبيعة<sup>(3)</sup> . وبهذا فالعلوم النظرية تتفرع على :

الطبيعات والرياضيات والإلهيات (الميتافيزيقا) .

## (ب) - العلوم العملية :

المعرفة فيها ترمي إلى غاية متميزة منها ، وهذه الغاية هي تدبير الأفعال الإنسانية ، وذلك إما في نفسها ، وهذا هو العلم العملي بمعناه المحدود ، وإما بالنسبة إلى موضوع يؤلف ويصنع ، وهذا هو الفن ، ويدبر العلم العملي أفعال الإنسان بما هو إنسان من ثلاث نواح : في شخصه وهو الأخلاق بمعنى ضيق ، وفي الأسرة وهو تدبير المنزل ، وفي الدولة وهو السياسة<sup>(4)</sup> ، وبهذا فالعلم العملي يتفرع بدوره إلى ثلاثة فروع هي : الأخلاق وعلم الاجتماع والسياسة .

(1) مصطفى النشار ، نظرية العلم الأرسطية ، دراسة في منطق المعرفة العلمية عند أرسطو ، ط 1 ، دار المعارف ، القاهرة ،

1995 ، ص 38

(2) المرجع نفسه ، ص 38 .

(3) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت ، ص 118 .

(4) المرجع نفسه ، ص 118 .

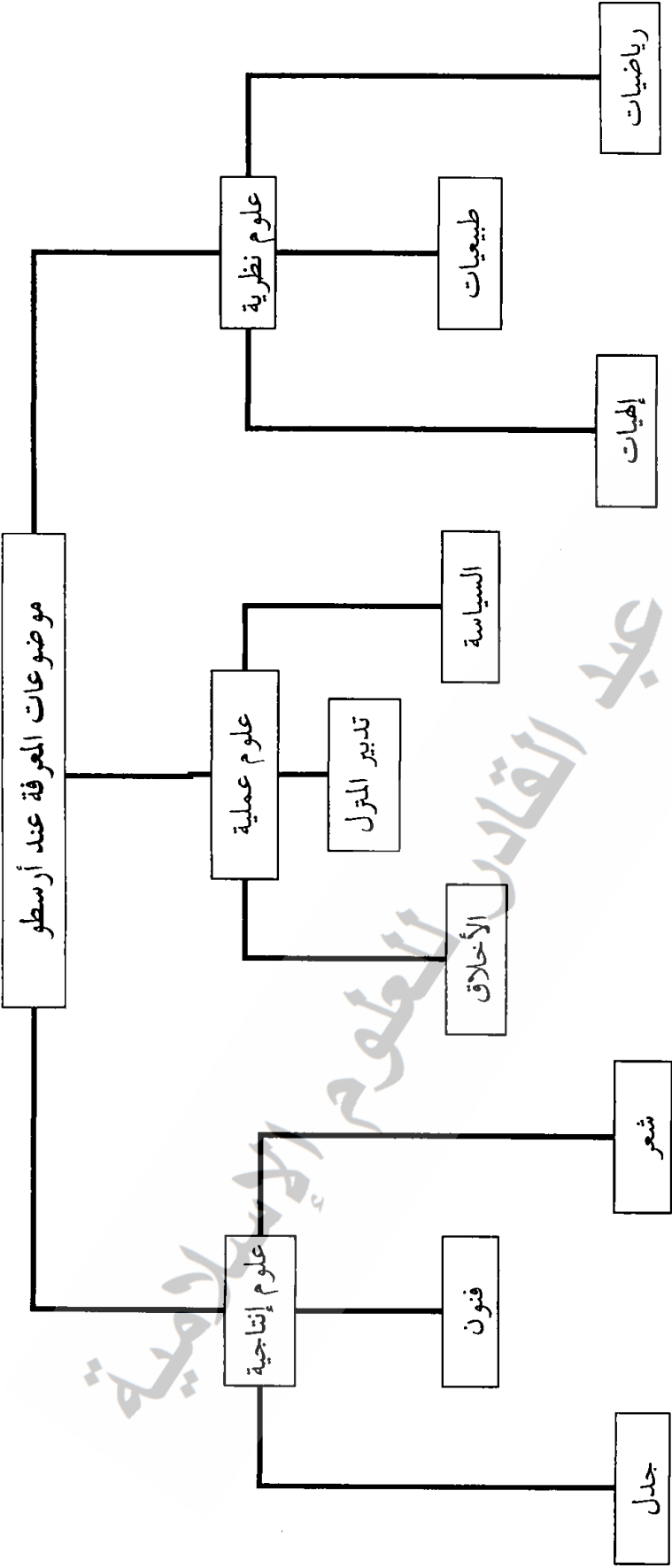


(ج) - العلوم الإنتاجية :

يدخل في العلوم الإنتاجية عامة الفنون والصناعات التي تهدف إلى إنتاج ما هو نافع أو جميل ، كعلوم الشعر والخطابة والجدل .  
 هذه العلوم الثلاثة عند أرسطو تستهدف كلها المعرفة ، لكن غاية هذه المعرفة ليست واحدة ، فالمعرفة النظرية غايتها المعرفة الخالصة ، والمعرفة العملية غايتها العمل ، والمعرفة الإنتاجية غايتها أن تحقق منتوجا .  
 وأساس التصنيف في العلم العملي هو إذا كان موضوع العلم ( الفرد ) أو (البيت) أو ( الدولة ) ، أما أساس التصنيف إلى علم نظري وعلم عملي ؛ هو إذا كان العلم مطلوبا لذاته أم لغاية أخرى غير العلم به (1) .  
 والملاحظ في التقسيم الأرسطي اعتباره المنطق آلة organon أو أداة ، أو مدخلا لكل العلوم ، وليس شعبة من الفلسفة (2) .

(1) حسام الألويسي ، مرجع سابق ، ص 203 .

(2) جلال محمد موسى ، مرجع سابق ص 59 .



امعة الإمبراطورية

عبد القادر العظم

## المبحث الثاني : أساس تصنيف العلوم في الفكر اليوناني

- تمهيد -

- أسس ومنطلقات تصنيف العلوم في الفكر اليوناني .

جامعة الأمير  
عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

مما لا شك فيه أن المناقشات الحديثة والمعاصرة حول نظرية العلم ؛ لم تكن تخطر على ذهن أفلاطون أو أرسطو والمفكرين القدماء بصفة عامة ، ولكن آراءهما كان لها الحضور الواضح ، والإسهام الكبير في وضع أسس هذه النظرية في إطار العصر العلمي الذي عاشا فيه .

## 2-1 أسس ومنطلقات تصنيف العلوم في الفكر اليوناني :

بوجه عام فإن أفلاطون قد أقام فلسفته في تصنيف العلم على أسس ثلاثة :<sup>(1)</sup>

الأول : تمييزه الواضح بين المحسوسات والمعقولات ، ومعرفة خصائص كل منهما والأسباب التي دفعته إلى التأكيد على المعقولات .

الثاني : هو المبادئ والأفكار المنطقية التي استخدمها في بناء النظرية ، باعتبارها تمثل الطريقة المنطقية في عملية البناء .

الثالث : فهو المثل التي يسعى إليها العلم ، باعتبارها تمثل العالم الثابت الواحد لكل العوالم المتغيرة المتعددة ، فهي ( أي المثل ) غاية العلم في وحدة المعرفة على اختلاف أنواعها .

وجاء إسهام "أرسطو" في نظرية العلم وتصنيفه للعلوم ، رغم ما كان بها من مؤثرات قديمة عليه ، إلا أن "أرسطو" تجاوز هذا التأثير ، ورفض أن تكون نظرية المثل جواهر مطلقة ، لها استقلالية عن المحسوسات ، وجاء رفضه بالبديل وهو الواقعية ، واعتبر الجوهر الأول هو المحسوسات أو العالم الواقعي ، بينما الجوهر الثاني هو عالم المثل أو عالم المعقول.<sup>(2)</sup>

إن المثل الأفلاطونية في تحليل أرسطو هي جوهر ثانوي ، لأنها كلييات وأنواع ، فلها وجود ثانوي ، بينما المحسوسات هي الجوهر الأول لأنها جزئيات ومفردات .

إن الجوهر في نظر "أرسطو" هو المادة المحسوسة الملموسة في عالمنا الحسي الواقعي الذي نعيشه ، ولذلك فهو جزئي وليس كلي مادي ، وليس مثالي ، فالجوهر الأرسطي يشير إلى مفردات العالم الحسي ، إن المفرد أو الجزئي هو الوجود الحق المركب من صورته ومادة<sup>(3)</sup> .

(1) ياسين خليل ، منطق المعرفة العلمية ، (الجزء الأول من نظرية العلم) ، منشورات الجامعة اللبنانية ، 1971 ، ص 39 .

(2) نوال صراف الصايغ ، المرجع في الفكر الفلسفي (نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقي والتفكير العلمي) ، دار الفكر

العربي ، بيروت ، دط ، دت ، ص 86

(3) محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي (أرسطو والمدارس المتأخرة) ، ط 3 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،

بيروت ، 1976 ، ص 30 .

غير أن الصورة والمادة ليسا شيئين مجتمعين آليا ليكونا شيئا واحدا ، إن الصورة هي ماهية الشيء ( الشكل) الذي يحدد الشيء ، أما المادة فهي إمكانية وجود الشيء الذي يصبح حقيقة .  
 إن المادة والصورة يمكن أن يفضلنا ذهنيا ، ولكن ليس واقعيًا ، وهذا ما يفسر لنا النظرية الأرسطية التي يلتقي فيها بأفلاطون ، حيث يراها أفلاطون صورة مستقلة عن وجود الأشياء في العالم المادي، بينما يراها أرسطو منفصلة عن الماديات والفرديات لأنها لا توجد في ذاتها بل بمادتها .  
 لكن الحقيقة أن "أرسطو" قد استهدف في منطقته ما لم يستهدفه "أفلاطون" بوضوح ، فقد أراد أن يصل إلى جوهر العلم ، أن يبني نظرية في العلم ... فقد كان الهدف من منطقته أصلا هدفا منهجيا ... فالمطلب الأساسي للبحث العلمي والمعرفة العلمية هو استنتاج الأحكام الجزئية من الكلية. (1)

إن الرفض الأرسطي للنظر الميتافيزيقي الأفلاطوني الذي يبحث في الوجود فيما يجب أن يكون، فإنه مبني على نظر علمي مخالف له يبحث في الوجود على ما هو عليه فعلا ، فالنظر الأرسطي مؤسس على فلسفة واقعية ، فإذا كان "أفلاطون" يرى بأن العالم الحقيقي هو عالم الصورة المجردة أو عالم المثل ، فإن "أرسطو" العالم الحقيقي عنده هو عالم واحد وهو عالمنا الحقيقي الذي نعيش فيه (2) .  
 من هذا المنظور الواقعي العلمي استلهم "أرسطو" بناء تصنيفه للمعرفة وهو في هذا قد اعتمد المنهج الاستقرائي المتبع في أجزاء العلم ، يقول "أرسطو" : «... لا يمكننا أن نستقرئ إذا لم يكن ثمة حس ، لأن الحس هو للأشياء الجزئية ، فإنه لا يمكن أن نتناول العلم بالجزئي ، لأنه لا يستخلص من الكليات بدون الاستقراء ، ولا يستخلص بالاستقراء بدون الإحساس» . (3)  
 والعلم الحقيقي عند "أرسطو" هو العلم بالكلي ، وإن كان يحتاج في بدايته إلى العلم بالجزئيات عن طريق الحواس ، يقول "أرسطو" عن ضعف البرهان عن طريق الحس :  
 « إنه لا سبيل إلى قبول العلم بالحس ... وذلك أن الحس قد يلزم للأوحاد وللأشياء الجزئية ، وأما العلم لشيء كلي ... إذا تصدينا الكلي كنا نقتني برهاننا ، إذا كان الكلي يظهر من جزئيات كثيرة» . (4)

(1) مصطفى النشار ، مرجع سابق ، ص 21 .

(2) عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1981 ، ص 109 .

(3) أرسطو ، منطق أرسطو ، تحقيق عبد الرحمان بدوي ، ط1 ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ج02 ، ص 385 .

(4) المصدر نفسه ، ص 418 .

فالنقد الذي يوجهه أرسطو للمعرفة الحسية ؛ لم يجعله ينظر إليها على أنها وهم كما ينظر إليها "أفلاطون"، بل نظر إليها باعتبارها مرحلة ضرورية للمعرفة بل مستوى من مستوياتها ... وإن شأها بعض القصور فإن الخطأ يزول والظن يتأكد صدقه من كذبه إذا استخدمنا العقل في البرهنة والحكم والاستنتاج على ما تقدمه لنا الحواس ، ومن هنا يبرز دور العقل في المعرفة الإنسانية ، وتؤكد موضوعيته وأهميته في الوصول إلى اليقين العلمي.<sup>(1)</sup>

والحق يقال أن "أفلاطون" قد شارك في وضع حجر الأساس لدراسة الجانب النقدي لنظرية العلم، إلى الجانب الايجابي بنظريته عن مستويات المعرفة ، التي كانت تعني لديه التدرج المنطقي للأفكار والقضايا من ناحية العمومية والتجريد ، فتكون لدينا أفكار وقضايا من مستوى واطئ ، وأخرى من مستوى عال ، بينهما مستويات مختلفة تبعا لقرئها أو بعدها من المستوى الواطئ والمستوى العالي.<sup>(2)</sup>

وأخير لا بد أن ننوه بأن النظرية الأرسطية قد قامت بتأثير واسع في كثير من الفلاسفة والمفكرين والعلماء ، وذلك ما جعلها تساهم في تطوير الفكر العلمي ، وابتناء كثير من الأنساق الفلسفية والعلمية على الفكر الأرسطي ، وعلى المنطق الأرسطي الذي تظهر تماثله حتى في العصر الحالي .

(1) مصطفى النشار ، نظرية المعرفة عند أرسطو ، ط1 ، دار المعارف 1985 ، ص 79 .

(2) ياسين خليل ، منطق المعرفة العلمية ، مرجع سابق ، ص 179-180 .

### المبحث الثالث : تصنيف العلوم في الفكر الغربي

3-1- مدخل عام

3-2- نماذج من تصانيف فلاسفة الغرب للعلوم :

1- فرنسيس بيكون

2- رينيه ديكارت

3- أندريه آمبير

4- أوغست كونت

5- هربرت سبنسر

## 3-1- مدخل عام :

قبل أن نتحدث عن تصنيف العلوم في الفكر الغربي ، لابد أن نمر على حالة العلوم في التاريخ الأوروبي ، وكذا الظروف المصاحبة لتطورها .

فقد كان العلم اليوناني - الذي تركزت فيه جميع جهود الحضارات السابقة كالمصرية القديمة والبابلية - في حوالي القرن الثاني الميلادي قد بدأ ينهار ، ولكن بالرغم من ذلك بقي له نفوذ ما في مدارس أثينا ، وفي جامعة الإسكندرية ، استمر بعد ذلك الوقت قرنين من الزمان<sup>(1)</sup> ، أما السبب في ذلك الانحدار للعلم والفلسفة اليونانيين ؛ فهو بلا شك ذلك الوسط الذي يسيطر عليه الرومان ورجال الاكليروس ، ثم الدين المسيحي ذاته ، كما فسره هؤلاء ( رجال الاكليروس ) وفرضوه<sup>(2)</sup> ، حتى خفت صوت العلم ، بل انقطع وخيمت على أوروبا عصور من الظلام الدامس ، وسيطر هؤلاء على الفكر الأوروبي قرابة خمسة عشر قرنا ، وكبلوه بقيود من حديد لم يستطع أن يتخلص منها إلا في أواخر القرن التاسع عشر<sup>(3)</sup> .

فعارض آباء الكنيسة العلوم الدنيوية معارضة شديدة ، واعتبروها من العوارض الزائلة التي لا تجدي نفعا ، ولم يعترفوا إلا باللاهوت .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، صحت أوروبا من سباتها العميق ، واجتاحها إعصار النهضة بكل ما يحتويه من مذاهب وتيارات فكرية ، وراح يقتلع كل رواسب القرون الوسيطة ، باذرا بذورا جديدة للعلم والمعرفة<sup>(4)</sup> .

وقد كان تحول الفكر الغربي من الفلسفة المسيحية إلى العلوم ، بعد ظهور وتبلور مفهوم العلم التجريبي ، الذي ابتكره المسلمون عاملا هاما في الاضطراب الذي أصاب الغرب ، والتقمه الغرب متجردا من روحه ، المتمثل في ربانية منهجه وقد جاء هذا كله في مرحلة متقدمة من عصر النهضة الذي بدأ بانتقال مفهوم المنهج التجريبي الإسلامي إلى الغرب ، منفصلا عن البعد الأخلاقي والمسؤولية الفردية والجزاء الأخروي<sup>(5)</sup> .

(1) جلال مظهر ، الحضارة الإسلامية أساس التقدم الحديث ، مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 47 .

(2) المرجع نفسه ، ص 48 .

(3) المرجع نفسه ، ص 50 .

(4) خالد الحديدي ، مرجع سابق ، ص 13 .

(5) أنور الجندي ، الفكر الغربي ، دراسة نقدية ، ط1 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، 1407هـ ،



وقد جاء هذا الفصل بين العلم ، وبين مفهوم البعد الإلهي ؛ نتيجة للخلاف الذي وقع بين الكنيسة ، وبين علماء التجريب والذي وصل إلى مرحلة خطيرة انتهت بالقضاء الكامل على العلاقة بين العلم والدين ، ثم الانطلاق في الجانب الآخر ، وهو بناء تصور فلسفي لعلاقات المجتمع نشأ عنه مفهوم الفلسفة المادية والإيديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية<sup>(1)</sup> .

وهنا بدأ تحول النفوذ العلمي ، ذلك التحول التاريخي الذي أدى إلى إنشاء منهج فلسفي يحاول أن يقدم بديلا عن الدين ، ومع الأسف كان هذا البديل ماديًا خالصًا . إذا استثنينا الفيلسوف "كانط" ففي كتابه ( نقد العقل العملي ) 1778 ، أشار إلى أن البشر وهبوا طبيعة تجعلهم لا يستقيمون إلا بافتراض وجود إله ..... بعبارة أخرى افترض "كانط" مفهوم الإله الذي لا يمكن الاستغناء عنه حتى يمكنه بناء نظام أخلاقي<sup>(2)</sup> .

(1) أنور الجندي ، المرجع السابق ، ص 113 .

(2) مراد هوفمان ، مرجع سابق ، ص 28 .

3-2- نماذج من تصانيف فلاسفة الغرب للعلوم :

وينتدئ برائد الفلسفة الإنجليزية الحديثة ( فرنسيس بيكون )<sup>(1)</sup>.

### 1- تصنيف العلوم عند فرنسيس بيكون :

وضع "بيكون" (1561 - 1652 م) تقسيما للمعرفة ، حاول فيه تصنيف العلوم بحسب قوى الإنسان العارفة .

وجاء تصنيفه في كتابه ( الإصلاح الكبير ) تصنيفا ابستمولوجيا قسم فيه المعرفة إلى ثلاثة أقسام:<sup>(2)</sup> أول هذه الأقسام يعتمد على الذاكرة ( طاقة الإنسان الأولى ) وهي علوم التاريخ ، وثانيها علوم تعتمد على الخيال ، طاقة الإنسان الثانية وهي الفنون والشعر ، وثالثها يردده إلى الحكمة أو العقل ثالث الطاقات الإنسانية وأكبرها وهي علوم الفلسفة.<sup>(3)</sup>

ثم يعود "بيكون" ، فيقسم هذه العلوم إلى فروع ثلاثة ، فالتاريخ ينقسم إلى تاريخ طبيعي وتاريخ إنساني وتاريخ للآداب ، .... والفنون تنقسم إلى دراما وقصة وفنون وصفية.<sup>(4)</sup>

ثم تناول علوم العقل (الفلسفة) ، وقسمها حسب موضوعاتها : الله والطبيعة والإنسان ، أي الفلسفة الإلهية ، والفلسفة الطبيعية ؛ التي تدرس الظواهر المادية ثم الميكانيكا والسحر ، وثالثا: الفلسفة الإنسانية التي تتفرع إلى الفسيولوجيا والتشريح وعلم النفس ثم العلاقات الاجتماعية والسياسية<sup>(5)</sup>.

ثم يعود "بيكون" فيقسم هذه الأقسام التسعة إلى أقسام أخرى أكثر خصوصية ، فالتاريخ الطبيعي ينقسم إلى وصف للظواهر السماوية والأرضية ، وإلى وصف للمسوخ التي تكشف عن القوى الخفية ، وإلى وصف للفنون التي تستخدم قوى الطبيعة ، والتاريخ الإنساني ينقسم إلى تاريخ

(1) عباس محمود العقاد ، فرنسيس باكون ، مجرب العلم والحياة ، المكتبة العصرية بيروت ، دط ، دت ، ص 06

(2) ناصر محمد السويدان ، التصنيف في المكتبات العربية ، دراسة مقارنة لأنظمة التصنيف العالمية ومدى صلاحيتها لتصنيف

العلوم العربية والإسلامية ، دار المريخ للنشر ، الرياض 1403 ، 1982 ، ص 13

(3) عبد الرحمن محمد العيسوي وعبد الفتاح محمد العيسوي ، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث ، دار

الراتب الجامعية ، 1996 ، ص 159

(4) ناصر محمد السويدان ، المرجع السابق ، ص 13 .

(5) خالد الحديدي ، مرجع سابق ، ص 16 .

3-2- نماذج من تصانيف فلاسفة الغرب للعلوم :

وينتدئ برائد الفلسفة الإنجليزية الحديثة ( فرنسيس بيكون )<sup>(1)</sup>.

### 1- تصنيف العلوم عند فرنسيس بيكون :

وضع "بيكون" (1561 - 1652 م) تقسيما للمعرفة ، حاول فيه تصنيف العلوم بحسب قوى الإنسان العارفة .

وجاء تصنيفه في كتابه ( الإصلاح الكبير ) تصنيفا ابستمولوجيا قسم فيه المعرفة إلى ثلاثة أقسام:<sup>(2)</sup> أول هذه الأقسام يعتمد على الذاكرة ( طاقة الإنسان الأولى ) وهي علوم التاريخ ، وثانيها علوم تعتمد على الخيال ، طاقة الإنسان الثانية وهي الفنون والشعر ، وثالثها يردده إلى الحكمة أو العقل ثالث الطاقات الإنسانية وأكبرها وهي علوم الفلسفة.<sup>(3)</sup>

ثم يعود "بيكون" ، فيقسم هذه العلوم إلى فروع ثلاثة ، فالتاريخ ينقسم إلى تاريخ طبيعي وتاريخ إنساني وتاريخ للآداب ، ..... والفنون تنقسم إلى دراما وقصة وفنون وصفية.<sup>(4)</sup>

ثم تناول علوم العقل (الفلسفة) ، وقسمها حسب موضوعاتها : الله والطبيعة والإنسان ، أي الفلسفة الإلهية ، والفلسفة الطبيعية ؛ التي تدرس الظواهر المادية ثم الميكانيكا والسحر ، وثالثا: الفلسفة الإنسانية التي تتفرع إلى الفسيولوجيا والتشريح وعلم النفس ثم العلاقات الاجتماعية والسياسية<sup>(5)</sup>.

ثم يعود "بيكون" فيقسم هذه الأقسام التسعة إلى أقسام أخرى أكثر خصوصية ، فالتاريخ الطبيعي ينقسم إلى وصف للظواهر السماوية والأرضية ، وإلى وصف للمسوخ التي تكشف عن القوى الخفية ، وإلى وصف للفنون التي تستخدم قوى الطبيعة ، والتاريخ الإنساني ينقسم إلى تاريخ

(1) عباس محمود العقاد ، فرنسيس باكون ، مجرب العلم والحياة ، المكتبة العصرية بيروت ، دط ، دت ، ص 06

(2) ناصر محمد السويدان ، التصنيف في المكتبات العربية ، دراسة مقارنة لأنظمة التصنيف العالمية ومدى صلاحيتها لتصنيف

العلوم العربية والإسلامية ، دار المريخ للنشر ، الرياض 1403 ، 1982 ، ص 13

(3) عبد الرحمن محمد العيسوي وعبد الفتاح محمد العيسوي ، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث ، دار

الراتب الجامعية ، 1996 ، ص 159

(4) ناصر محمد السويدان ، المرجع السابق ، ص 13 .

(5) خالد الحديدي ، مرجع سابق ، ص 16 .

كنسي وتاريخ مدني ، والتاريخ المدني ينقسم إلى مذكرات وآثار وتراجم ، وتاريخ سياسي ، والتاريخ الأدبي ينقسم إلى تاريخ الأدب وتاريخ الفن.<sup>(1)</sup>  
وقد كان "يكون" يرى أن:<sup>(2)</sup>

الميتافيزيقا لها وظيفتان ، أولاهما أن تكشف الصور الخالدة ، وثانيهما أن تصل إلى النهائيات ، وأن الرياضيات فرع من الميتافيزيقا ، لأن الرياضيات هي علوم الكم ، والكم واحد من الخواص المجردة ، بل هو أكثر خواص المادة تجريدا ، والرياضيات - حسبه - لها أكبر الأثر في علوم الميتافيزيقا والسحر والميكانيكا .

أما عن فلسفة الإنسان ذاته ، فهي تنقسم إلى علوم الإنسان من جهة ، وعلوم الإنسان في حياته ضمن من حوله من جهة أخرى ، فأما علوم الإنسان نفسه وجسده فتشمل علم النفس وعلم الفراسة العقلية ، وتفسير الأحلام والطب والرياضة البدنية ، وعلوم التجميل واللذة ، وأما علومه في علاقته مع غيره فتشمل العلوم السياسية<sup>(3)</sup> .

(1) خالد الحديدي ، المرجع السابق ، ص 17 .

(2) المرجع نفسه ، ص 15 .

(3) المرجع نفسه ، ص 16 .

كنسى وتاريخ مدني ، والتاريخ المدني ينقسم إلى مذكرات وآثار وتراجم ، وتاريخ سياسي ، والتاريخ الأدبي ينقسم إلى تاريخ الأدب وتاريخ الفن.<sup>(1)</sup>  
وقد كان "يكون" يرى أن:<sup>(2)</sup>

الميتافيزيقا لها وظيفتان ، أولاهما أن تكشف الصور الخالدة ، وثانيهما أن تصل إلى النهائيات ، وأن الرياضيات فرع من الميتافيزيقا ، لأن الرياضيات هي علوم الكم ، والكم واحد من الخواص المجردة ، بل هو أكثر خواص المادة تجريدا ، والرياضيات - حسبه - لها أكبر الأثر في علوم الميتافيزيقا والسحر والميكانيكا .

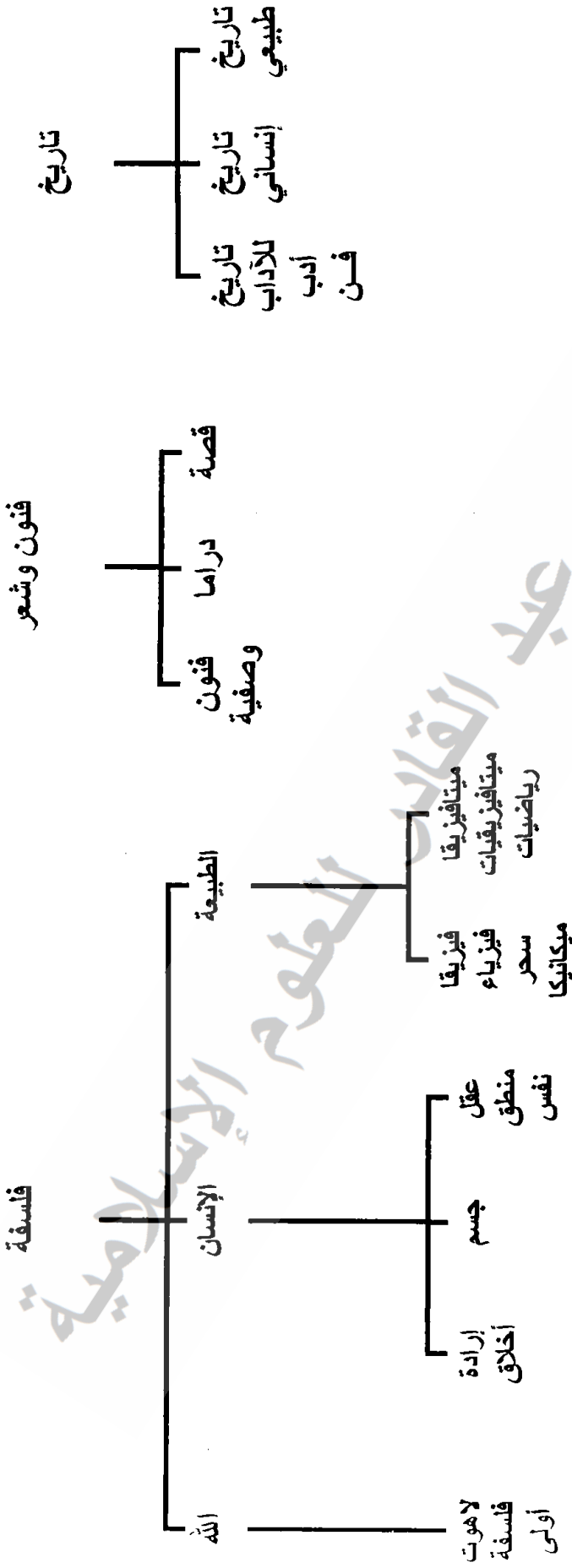
أما عن فلسفة الإنسان ذاته ، فهي تنقسم إلى علوم الإنسان من جهة ، وعلوم الإنسان في حياته ضمن من حوله من جهة أخرى ، فأما علوم الإنسان نفسه وجسده فتشمل علم النفس وعلم الفراسة العقلية ، وتفسير الأحلام والطب والرياضة البدنية ، وعلوم التجميل واللذة ، وأما علومه في علاقته مع غيره فتشمل العلوم السياسية<sup>(3)</sup> .

(1) خالد الحديدي ، المرجع السابق ، ص 17 .

(2) المرجع نفسه ، ص 15 .

(3) المرجع نفسه ، ص 16 .

## موضوعات المعرفة عند بيكون



## 2- تصنيف العلوم عند رينيه ديكارت :

قدم "ديكارت" (ت 1650م) تصنيفه للعلوم في كتابه ( مبادئ الفلسفة ) ، وقد وضع الفارق بين الفلسفة القديمة والحديثة ، والميزات التي توجد في فلسفته ، وفضلها في تقدم المعارف البشرية: " إن الفلسفة هي دراسة الحكمة والحكمة علم واحد كلي ، هي تفسير جامع للكون أو هي نظام شامل للمعرفة البشرية ، وليست الفلسفة مجرد مجموعة معارف جزئية خاصة ، وإنما هي علم المبادئ العامة ، يعني أنها علم للأصول التي هي أساس ما في العلوم " .<sup>(1)</sup>

وبذلك ينبغي أن يدرس المنطق " الذي يعلم المرء توجيه عقله ، لاكتشاف الحقائق التي يجهلها ، ثم مسائل الرياضيات ... ثم يبدأ في الإقبال على الفلسفة الحقبة التي جزؤها الأول هو الميتافيزيقا ، التي تحتوي على مبادئ المعرفة ، ومن بينها تفسير أهم صفات الله ، ولا مادية النفوس ، وجميع المعاني الواضحة البسيطة المودعة فينا ، والثاني هو الفيزيقا ، ويبحث فيها على العموم بعد أن يكون المرء قد وجد المبادئ الحقبة للأشياء المادية عن ماهية الكون كله... " <sup>(2)</sup> لكي يستطيع المرء بعد ذلك أن يجد العلوم الأخرى التي فيها منفعة له .

وفي تقسيمه للمعرفة ، كان مبدأ "ديكارت" أن العلم كالشجرة ، جذورها الميتافيزيقا ، وساقها الطبيعيات ، وفروعها سائر العلوم الأخرى .

فالفلسفة بأسرها أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقا ، وجذعها الفيزيقا ، والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى التي تنتهي إلى ثلاثة علوم رئيسية هي : (( الطب ، والميكانيكا ، والأخلاق )) .<sup>(3)</sup>

ويضيف "ديكارت" : " ومن حيث أن المرء لا يجني الثمرات من جذور الأشجار ولا جذوعها ، بل من أطراف فروعها ، فكذلك أكبر منفعة للفلسفة تعتمد على أجزائها التي لا يستطيع تعلمها إلا في آخر الأمر " <sup>(4)</sup> ، وهذا ما يبين لنا الهدف العملي والنفعي الذي قدم له ديكارت مبادئه في الفلسفة ، وهو ما يعبر عنه دائما بالأفكار النافعة وبذور الأفكار <sup>(5)</sup> .

(1) ديكارت ، مبادئ الفلسفة ، تر . عثمان أمين ، دار النهضة المصرية القاهرة ، 1960 ، ص ص 13 - 14

(2) ديكارت ، المصدر السابق ، ص 18-19 .

(3) المصدر نفسه ، ص 71 .

(4) المصدر نفسه ، ص 73 .

(5) ديكارت ، مقال عن المنهج لإحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم ، تر: محمود محمد الحصري المطبعة السنقرية ومكاتبها ، القاهرة ، 1930 ، مقدمة المترجم ، ص 130 .

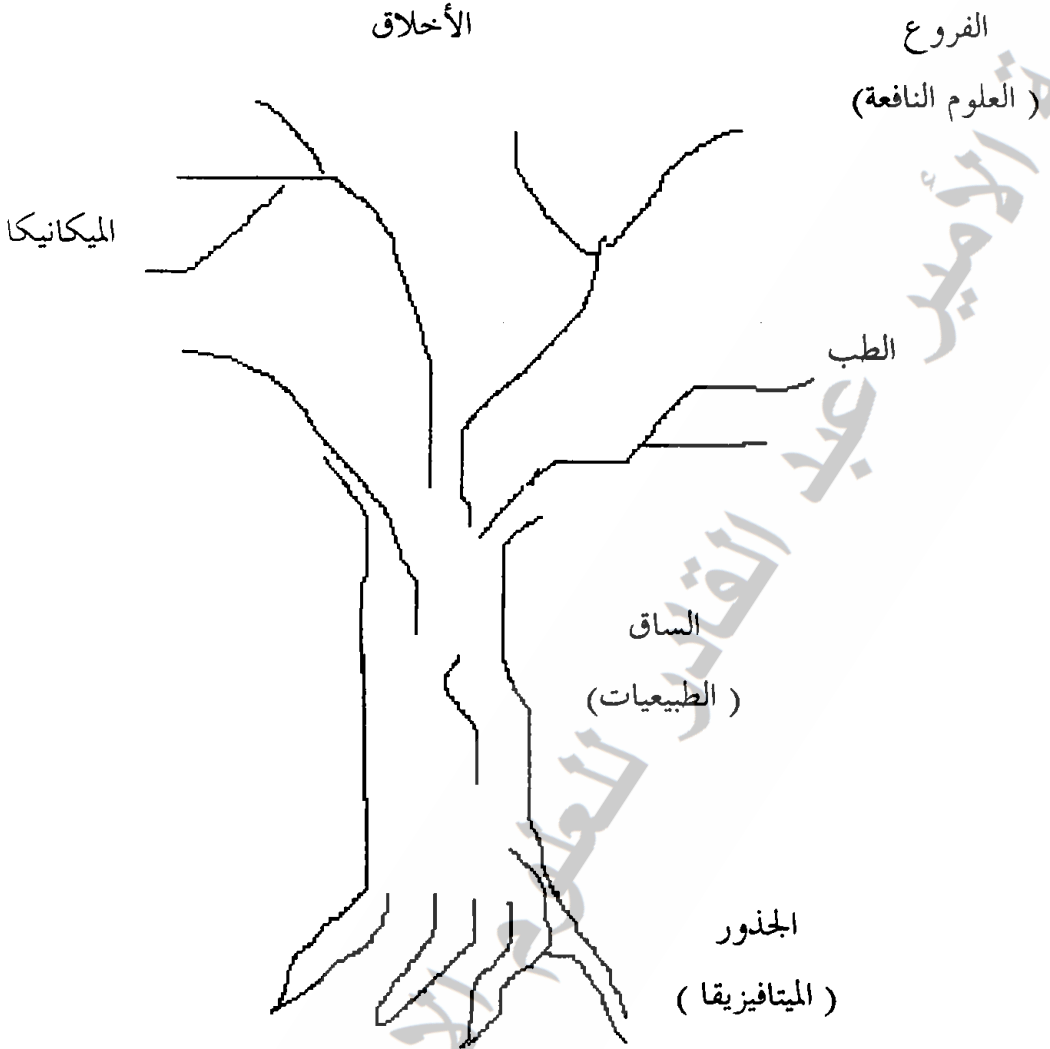
فديكارت كان يقول في أقسام المعرفة إن قسمها الأول هو الميتافيزيقا ، وهي التي تشتمل على مبادئ المعرفة التي منها تفسير الروحانيات ، والقسم الثاني هو العلم الطبيعي ، وفيه نبحت عن تركيب العام على العموم ، ثم عن طبيعة الأرض وجميع الأجسام على الخصوص ، سيما طبيعة الإنسان ، حتى ينسى لنا استكشاف سائر العلوم النافعة له .

وعلى ذلك فالمعرفة عند ديكارت كما قلنا كالشجرة ، جذوعها الميتافيزيقا وجذعها العلم الطبيعي وأغصانها باقي العلوم ، وهذه الأغصان ترجع إلى ثلاثة كبرى ، أعني الطب والميكانيكا والأخلاق .

وكما أنه لا يجني الثمر إلا من أطراف الأغصان وليس من الجذور أو السيقان ، فكذلك تتعلق المنفعة الرئيسية للفلسفة بمنافع أقسامها التي لا تتعلم إلا أخيرا .

عبد القادر للعظم الإسلامية





تمثيل ديكرات للمعرفة

## 3- تصنيف العلوم عند أندريه أمبير :

وجد الفيلسوف الطبيعي الفرنسي " أمبير " ( ) أنه يمكن تقسيم المعرفة بالطريقة الثنائية ، فوضع تقسيمه لا على أساس موضوعي ، وإنما على أساس شكلي ، وهو التقسيم الشكلي للمعرفة . فالمعرفة عند " أمبير " يمكن تقسيمها إلى مملكتين كبيرتين : العلوم الكونية أو المادية ، والعلوم الروحية ، أو عالم المحسوس وعالم المعقول اللذين نادى بهما "أفلاطون".<sup>(1)</sup>

وتنقسم كل مملكة من هاتين إلى بايين ، وينقسم كل باب إلى فصلين ، وينقسم كل فصل بعد ذلك إلى جنسين ، وكل جنس يعود فينقسم إلى علمين وهكذا ...

فالعلوم المادية ( الكونية ) تنقسم إلى كونيات غير عضوية ، وماديات عضوية ، والكونيات غير العضوية تنقسم بدورها إلى فصلين : مجموعة العلوم المادية؛ التي تعتمد على الملاحظة كفصل ، وهي الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والفلك والمناجم والصناعات ، ومجموعة العلوم المادية التي لا تعتمد على الملاحظ كفصل آخر ، وهي الماثيماتا والحساب والهندسة والجبر والميكانيكا<sup>(2)</sup> .

وأما الماديات العضوية فتقسم أيضا إلى فصلين : مجموعة الأحياء كالحيوان والنبات والزراعة ، وتربية الحيوان والسلالات ، ومجموعة العلوم التي تتصل بما يعتور هذه الحياة من تغيرات ، كالطب والصحة العامة والوقائية في الإنسان أو الحيوان ، والمملكة الثانية كذلك ، وهي مملكة العلوم الروحية تنقسم إلى بايين ، علوم روحية بحتة وعلوم اجتماع<sup>(3)</sup> .

ثم تنقسم العلوم الروحية البحتة إلى فصلين : مجموعة تختص بعلوم الفلسفة ، وهي التي تبحث في الفكر الإنساني ذاته ، من فلسفة وعلم نفس ومنطق وأخلاقيات وميتافيزيقا ، ومجموعة تدرس الوسائل التي يستعملها الإنسان للوصول إلى هذا الفكر ، وهي علم الجدل وقواعد اللغة والأدب والجمال وتنشئة الأطفال<sup>(4)</sup> .

كما تنقسم علوم الاجتماع بدورها إلى فصلين : مجموعة تدرس المجتمع الإنساني ذاته ، من ماضيه وحاضره ، وتشمل علوم التاريخ والآثار والجغرافيا الاقتصادية ، ومجموعة أخرى تدرس العلوم

(1) خالد الحديدي ، مرجع سابق ، ص 27 .

(2) المرجع نفسه ، ص 28 .

(4) نفسه ص 29 .

المنظمة للمجتمع الإنساني ، وهي ما نسميه بالعلوم السياسية من قانون وتشريع ، واقتصاد سياسي ، ودساتير<sup>(1)</sup> .

وهكذا تنقسم المعرفة لدى " أمير " إلى قسمين كبيرين ، ينقسمان بدورهما إلى أربعة أبواب ، لتتنقسم إلى ثمانية فصول ثم إلى ستة عشر جنسا ، ثم إلى اثنين وثلاثين علما من الدرجة الأولى ، ثم إلى أربعة وستين علما من الدرجة الثانية ، ثم في النهاية إلى مائة وثمانية وعشرين فرعا للعلوم المختلفة ، أو العلوم من الدرجة الثالثة .

(1) خالد الحديدي ، المرجع السابق ، ص 29 .

## المعارف الإنسانية

### علوم كونية

#### علوم غير عضوية

تعتمد الملاحظة

طبيعة

كيمياء

جيولوجيا

فلك

المناجم

والصناعات

لا تعتمد

حساب

حجر

هندسة

ميكانيكا

#### علوم عضوية

أحياء

حيوان

نبات

تربية حيوان

زراعة

سلالات

ما يعترض

طب

صحة عامة

صحة ووقاية

#### علوم روحية

فلسفة

فلسفة

نفس

منطق

أخلاق

ميثاقيزيقا

تنصل بالفكر

جدل

قواعد لغة

أدب

جمال

تنشئة أطفال

#### علوم اجتماعية

الاجتماع

تاريخ

آثار

تطور ديانات

جغرافيا

#### العلوم السياسية

قانون عام

قانون خاص

تشريع

جغرافيا

اقتصاد

## 4- تصنيف العلوم عند أوغست كونت :

ارتبط تصنيف " أوغست كونت " (ت 1857م) بفلسفته الوضعية ، حيث يربط تصنيفه للعلوم بقانونه الثلاثي في مراحل التفكير البشري الذي يبدأ بالمرحلة الأسطورية اللاهوتية ، ثم المرحلة الفلسفية الميتافيزيقية ، وأخيرا المرحلة العلمية الوضعية التي تهتم بالدراسة الحسية للظواهر .  
ويؤدي تصنيفه للعلوم - القائم على استخلاص الخصائص الموضوعية للظواهر - إلى إيجاد نظام بينها وبين موضوعاتها ، قائم على وجود تدرج بينها ، واعتماد كل منها على الآخر<sup>(1)</sup> ، كما يؤدي إلى إيجاد سلم تطوري ، يوجد فيه العلم الأكثر تجريدا وعمومية في أول السلم ، وينظر إليه على أنه شرط وأساس للعلم الأكثر تعقيدا وخصوصية ، والذي يوجد تحته مباشرة .  
وفي تصنيفه للعلم ؛ يضع ( كونت ) العلوم الرياضية في أول السلم ، لأن جميع العلوم تفترضها ، ولأن الرياضيات تمتاز بأنها أكثر العلوم بساطة ، ثم يلي الرياضيات في السلم العلوم الأخرى التي تتدرج بحسب ازدياد درجة تعقيدها ، وقلّة درجة عموميتها ، فيلي الرياضيات علم الفلك فالطبيعة فالكيمياء فعلم الحياة ، وأخيرا يأتي العلم الذي وضع ( كونت ) اسمه وهو علم الاجتماع<sup>(2)</sup> ، الذي قال عنه أنه علم الحياة بالنسبة للمجتمعات أو " الفيزياء الاجتماعية " ، وجعله يشمل علم الاقتصاد والأخلاق ، وفلسفة التاريخ ومعظم علم النفس ، علاوة على فلسفة المجتمع<sup>(3)</sup>.

وبهذا التقسيم الخطي ، وطبقا لنظرية " أوغست كونت " فإن علم الاجتماع هو أحدث العلوم وأكثرها تعقيدا ، لأن العلوم عنده تنحدر من العام إلى الخاص ، ومن السهل إلى المعقد ، وكل علم لاحق يأخذ من سابقه .

وبهذا يخلص " كونت " من كل ذلك إلى أن علم الاجتماع من العلوم البحتة ، ويجعل من حقائقه علمية ، تخضع لقوانين عامة كقوانين الفيزياء والكيمياء وعلم الحياة .

(1) عبد الحليم عطية ، تصنيف العلوم عند العرب ، مرجع سابق ، ص 20 .

(2) جبريل سيبي ، وبول جلنيه ، مشكلات ما بعد الطبيعة ، مرجع سابق ، ص 201 .

(3) خالد الحديدي ، مرجع سابق ، ص 31 .

## 4- تصنيف العلوم عند أوغست كونت :

ارتبط تصنيف " أوغست كونت " (ت 1857م) بفلسفته الوضعية ، حيث يربط تصنيفه للعلوم بقانونه الثلاثي في مراحل التفكير البشري الذي يبدأ بالمرحلة الأسطورية اللاهوتية ، ثم المرحلة الفلسفية الميتافيزيقية ، وأخيرا المرحلة العلمية الوضعية التي تهتم بالدراسة الحسية للظواهر .  
ويؤدي تصنيفه للعلوم - القائم على استخلاص الخصائص الموضوعية للظواهر - إلى إيجاد نظام بينها وبين موضوعاتها ، قائم على وجود تدرج بينها ، واعتماد كل منها على الآخر<sup>(1)</sup> ، كما يؤدي إلى إيجاد سلم تطوري ، يوجد فيه العلم الأكثر تجريدا وعمومية في أول السلم ، وينظر إليه على أنه شرط وأساس للعلم الأكثر تعقيدا وخصوصية ، والذي يوجد تحته مباشرة .  
وفي تصنيفه للعلم ؛ يضع ( كونت ) العلوم الرياضية في أول السلم ، لأن جميع العلوم تفترضها ، ولأن الرياضيات تمتاز بأنها أكثر العلوم بساطة ، ثم يلي الرياضيات في السلم العلوم الأخرى التي تتدرج بحسب ازدياد درجة تعقيدها ، وقلّة درجة عموميتها ، فيلي الرياضيات علم الفلك فالطبيعة فالكيمياء فعلم الحياة ، وأخيرا يأتي العلم الذي وضع ( كونت ) اسمه وهو علم الاجتماع<sup>(2)</sup> ، الذي قال عنه أنه علم الحياة بالنسبة للمجتمعات أو " الفيزياء الاجتماعية " ، وجعله يشمل علم الاقتصاد والأخلاق ، وفلسفة التاريخ ومعظم علم النفس ، علاوة على فلسفة المجتمع<sup>(3)</sup>.

وبهذا التقسيم الخطي ، وطبقا لنظرية " أوغست كونت " فإن علم الاجتماع هو أحدث العلوم وأكثرها تعقيدا ، لأن العلوم عنده تنحدر من العام إلى الخاص ، ومن السهل إلى المعقد ، وكل علم لاحق يأخذ من سابقه .

وبهذا يخلص " كونت " من كل ذلك إلى أن علم الاجتماع من العلوم البحتة ، ويجعل من حقائقه علمية ، تخضع لقوانين عامة كقوانين الفيزياء والكيمياء وعلم الحياة .

(1) عبد الحلیم عطية ، تصنيف العلوم عند العرب ، مرجع سابق ، ص 20 .

(2) جبريل سيبي ، وبول جلنيه ، مشكلات ما بعد الطبيعة ، مرجع سابق ، ص 201 .

(3) خالد الحديدی ، مرجع سابق ، ص 31 .



تقسيم أوغست كونت للمعرفة

## 5- تصنيف العلوم عند هربرت سبنسر :

لا يخفى أن "هربرت سبنسر" (1820 - 1903) من أشد المتأثرين بنظرية ( داروين 1982م ) في النشوء والارتقاء ، وكتابه ( أصل الأنواع ) الذي يلخص فيه أن الحياة تسير وفق قوانين نشئية ارتقائية .

قسم "هربرت سبنسر" العلوم أيضا تقسيما وضعيا مثل ( كونت ) لكنه خالفه في ذلك ، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: (1)

الأول : العلوم المجردة ، أو الصور الفارغة ، وهي القواعد التي ليس لها موضوع خاص ، ولكنها قابلة لأن تطبق على موضوعات مثل المنطق والرياضيات .

القسم الثاني : العلوم المجردة المشخصة أي علوم الظواهر الطبيعية وهي : الميكانيكا والطبيعة والكيمياء .

القسم الثالث : العلوم المشخصة ، أو علوم الموجودات : علم الفلك والجيولوجيا ، وعلم الحياة والنفوس والاجتماع .

فالعلوم عند " سبنسر " علوم بحتة وعلوم تطبيقية ، وعلوم بين هذه وتلك .

وقد لاقى فكرته نجاحا كبيرا في أواخر القرن التاسع عشر عند أولئك الذين تأثروا بعلم الأحياء الدارويني ، حتى لقد كان ( داروين ) يطلق عليه فيلسوفنا العظيم . (2)

(1) عبد الحليم عطية ، مرجع سابق ، ص 21 .

(2) خالد الحديدي ، المرجع السابق ، ص 35 .



### البحث الرابع : خصائص تصنيف العلوم في الفكر الغربي

4-1- أساس تصنيف العلوم في الفكر الغربي

4-2- خصائص فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الغربي

جامعة الأمير  
بيلال  
فقدان للعلوم الإسلامية

### المبحث الرابع : خصائص تصنيف العلوم في الفكر الغربي

4-1- أساس تصنيف العلوم في الفكر الغربي

4-2- خصائص فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الغربي

جامعة الأمير  
بيلال  
فقدان للعلوم الإسلامية

## 4-1- أساس تصنيف العلوم في الفكر الغربي :

تجلى أساسات فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الغربي ، وتتمظهر في شكل يكاد يكون نسقيا بين مختلف منصفي العلم ، ونبدأ من حيث انتهينا : فلقد استعرض "سبنسر" العلوم التطبيقية ( البيولوجية والاجتماعية ) ، وربطها بفكرة فلسفية عامة عن التطور ، باعتباره فكرة تضم أشتات تلك العلوم في وحدة .

لم يذكر "هربرت سبنسر" في تصنيفه للعلوم شيئا عن الإلهيات ، أو ما بعد الطبيعة ( الميتافيزيقا) ، هذا العلم الذي يطلق عليه الفلاسفة تاج المعارف .

ونلاحظ أن " سبنسر" قد سار على نفس الدرب الذي سار عليه " كونت" من قبله حين قسم العلوم على أساس المعنويات والماديات ، وهو تصور فيه قصور ، ذلك أن كل العلوم تستخلص معنوياتها من ماديات ملموسة ، كما أن العلوم المادية كلها تحتوي على مبادئ معنوية في تعميماتها .

ويلاحظ في تصنيف " سبنسر" أنه لا يرتب العلوم بحسب ارتباطها بعضها ببعض الآخر ، وهو كذلك يجمع العلوم التجريبية والعلوم الفلسفية ، دون تمييز واضح بينها ، ويلاحظ من ناحية أخرى أن تقسيماته لا تتسم بطابع التجريد ، حيث نجد بعض العلوم مختلطة متداخلة في بعضها الآخر .

ويلاحظ على تصنيف "أوغست كونت" أنه لم يشتمل على سائر العلوم ، فأغفل عددا كبيرا منها، وأهمل جميع الفنون والعلوم التطبيقية ، فلم يعط المنطق ولا علم النفس ولا الأخلاق ما تستحقه من عناية ... وحتى الفلسفة كعلم قائم أغفلها " كونت" ، وقاطع كلية الحديث عن الميتافيزيقا .

## 4-1- أساس تصنيف العلوم في الفكر الغربي :

تجلى أساسات فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الغربي ، وتتمظهر في شكل يكاد يكون نسقيا بين مختلف منصفي العلم ، ونبدأ من حيث انتهينا : فلقد استعرض "سبنسر" العلوم التطبيقية ( البيولوجية والاجتماعية ) ، وربطها بفكرة فلسفية عامة عن التطور ، باعتباره فكرة تضم أشتات تلك العلوم في وحدة .

لم يذكر "هربرت سبنسر" في تصنيفه للعلوم شيئا عن الإلهيات ، أو ما بعد الطبيعة ( الميتافيزيقا) ، هذا العلم الذي يطلق عليه الفلاسفة تاج المعارف .  
ونلاحظ أن " سبنسر" قد سار على نفس الدرب الذي سار عليه " كونت" من قبله حين قسم العلوم على أساس المعنويات والماديات ، وهو تصور فيه قصور ، ذلك أن كل العلوم تستخلص معنوياتها من ماديات ملموسة ، كما أن العلوم المادية كلها تحتوي على مبادئ معنوية في تعميماتها .

ويلاحظ في تصنيف " سبنسر" أنه لا يرتب العلوم بحسب ارتباطها بعضها ببعض الآخر ، وهو كذلك يجمع العلوم التجريبية والعلوم الفلسفية ، دون تمييز واضح بينها ، ويلاحظ من ناحية أخرى أن تقسيماته لا تتسم بطابع التجريد ، حيث نجد بعض العلوم مختلطة متداخلة في بعضها الآخر .

ويلاحظ على تصنيف "أوغست كونت" أنه لم يشتمل على سائر العلوم ، فأغفل عددا كبيرا منها، وأهم جميع الفنون والعلوم التطبيقية ، فلم يعط المنطق ولا علم النفس ولا الأخلاق ما تستحقه من عناية ... وحتى الفلسفة كعلم قائم أغفلها " كونت" ، وقاطع كلية الحديث عن الميتافيزيقا .

## 4-2- خصائص فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الغربي :

لا شك أن الثورات العلمية التي قادها المفكرون ، وفلاسفة العلم الأوربيين في عصرهم قد آتت أكلها ، وجاءت بنظرة جديدة إلى الوجود مخالفة للنظرة المسيحية آنذاك ، فحواها أن عالم الطبيعة عالم ميت خال من أي خصائص روحية أو شبه بشرية .

لكنهم في المقابل اتجهوا إلى المعرفة للحصول على القدرة ، كي يتمكنوا من السيطرة على الأشياء الطبيعية المادية ، وكذلك الفرد والمجتمع ، بعكس خصائص المعرفة الإسلامية التي تتألف من القيم الدينية والأخلاقية ، تلك المعرفة التي تكون من أجل الحياة ، مستضاءة بالعقل الإلهي ، وعلى اعتماد الخلق على الخالق .

كذلك اتجهت المعرفة في الغرب على الاعتماد الكبير على الإنسان ( باعتبار أن الإنسان هو أهم وسيلة لاكتساب العلم ) ، وعلى الحس ( باعتباره المعيار النهائي للتمييز بين الصحيح والخطأ ) ، وعلى ذلك فالعلم يدور حول الإنسان ، وليس إنسانيا ، وذلك لأن العلم الإنساني الحقيقي يقوم على العقل الإلهي ، لا العقل الإنساني ، وفي علم كهذا يكون ( الله ) ( لا الإنسان ) هو القاضي ، والمعيار النهائي لكل شيء .

لقد عمم العلم الحديث القوانين الطبيعية في كل زمان ، وفي كل مكان ، فهو يحيل العمليات التي تقع على امتداد الزمان ، يحيلها العلم الحديث إلى مجرد وقائع ( faits ) ، تخضع لقوانين عامة ، تلك القوانين التي يكتشفها الإنسان بالمشاهدة والتحقيق والدراسة .

ثم إن تسميته التي أطلقها على علم الاجتماع لم تكن بدعا ، فهو لم يخترع العلم ذاته ، فقبله وأكثر منه ابن خلدون ، الذي خاض في حياة المجتمع ، وأصل أصول علم الاجتماع ، ووضع الخطوط العريضة لنظرياته . مع أننا نعترف أن الفضل يرجع لكونت في إلقاء الأضواء على العلاقة بين علم الحياة وعلم المجتمع.<sup>(1)</sup>

وجاء تقسيم " أمبير " للمعرفة ؛ تقسيما شكليا خالصا ، إذا قسم المعرفة بالطريقة الثنائية ، لا على أساس موضوعي ( العلوم الكونية - العلوم المادية ) ، وهذا التقسيم الشكلي هو التقسيم الذي نادى به أفلاطون ( عالم المحسوس وعالم المعقول ) مما يجعل تقسيم " أمبير " امتدادا لتقسيم

(1) خالد الحديدي ، المرجع السابق ، ص 31 .

"أفلاطون"، وإن كان التقسيم الثنائي بني على أساس أن منبع المعارف أصلان أساسيان : أحدهما مادي والآخر روحي .

أما "ديكارت" فإن تصنيفه للعلم قد ظهر فيه مبدأ واحدية العلم ، فهو لا يقسم العلم ابتداء كما فعل أرسطو ، بل يسعى إلى تحقيق توحيد المعارف الإنسانية في نسق واحد ، كما يظهر في نموذج ( الشجرة ) ... لكن مشكلته هي كيف يستطيع أن يوفق بين العلم ونظريته الميكانيكية ، وبين الله والروح والحرية .

كان "ديكارت" يتصور أن الميتافيزيقا والعلم شيء واحد من حيث الأساس ، وكل الأحداث الطبيعية ، بما في ذلك التغيرات التي تحدث في جسم الإنسان ؛ تتحكم فيها نفس القوانين الفيزيقية<sup>(1)</sup> ، لكن نقطة البداية عنده هي الميتافيزيقا ، فهي جذور المعرفة الإنسانية ويقصد بذلك عمل الفكر الإنساني .

وقبل أن نعدد ملامح فلسفة التصنيف في الفكر الغربي وأبرز خصائصها في إطار المنظومة المعرفية الغربية ، لا بد أن نشير إلى أن الإنسان في موقف العلوم<sup>6</sup> عديم القيمة وناتج عرضي ، أو حيوان اجتماعي ، أو كموضوع للدراسة ، وبنفس الوسائل التي تدرس فيها المظاهر الأخرى في العالم بصورة موضوعية .

ومن هنا يجب أن نحكم على تلك الفلسفة :

1- تعتبر العلوم في الفكر الغربي العالم المادي موجود ككل ، ولا ترى حيزا أو مجالا لله في النظام الطبيعي .

2- ترضى العلوم في الفكر الغربي بالتخصص والتنوع الناتج للعلوم ، ومن هنا تفصل الميادين المختلفة للعلوم بعضها عن الأخرى ، وتفصل أيضا العلوم الدينية أو الشرعية .

3- تقيّد العلوم في الفكر الغربي نفسها بالعالم العقلاي ، لذلك تعتبر الحقائق الروحية إما غير واقعية أو ناقصة بالنسبة للمادة .

4- وبذلك تخلو العلوم في الفكر الغربي عن القيم الحيادية ، التي تحدد مسؤولية العالم في جميع مراحل الحياة ، ويحدث ذلك في الأسس الميتافيزيقية للعلوم ، وفي تصور الفكر الغربي غالبا ما يلعب علم الأخلاق دورا منفعا ، وإهمال القيم الأخلاقية في التفاسير العلمية جزئيا يعود إلى إهمال الأهداف والغايات في العلوم الدنيوية الحديثة .

(1) ديكارت ، مقال عن المنهج ، مصدر سابق ، مقدمة الكتاب .

5- وفوق ذلك ؛ في البيئة الغربية تبحث العلوم من أجل السيطرة ومناورة الطبيعة والمجتمع ، فهي بذلك لا تستطيع العلوم أن تقدم صورة شاملة للعالم ، إنما تستجيب إلى مسائل وأمر محددة . هذه هي بعض سمات ومميزات الفكر العلمي الغربي بصفة عامة ، والذي ظهرت تمثلاته في فلسفة تصنيف بعض النماذج التي رأيناها ... والهدف في ذلك هو إلقاء نظرة شاملة لمفهوم العلم وخصائص التفكير العلمي عند غير المسلمين ... حتى نستطيع بلورة المفاهيم الجزئية والشاملة حول المشروع الإسلامي العلمي وآلياته التي نطبقها في فلسفة التصنيف العلمي الإسلامي .

عبد الأمير  
عبد القادر للعالم الإسلامي

## الفصل الثالث : فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي وأداؤها الوظيفي

المبحث الأول : تصنيف العلوم عند المدرسة الفلسفية التقليدية

وأساس تصنيفها .

المبحث الثاني : تصنيف العلوم عند المدرسة الدينية التأصيلية

وأساس تصنيفها .

المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند المدرسة العلمية

وأساس تصنيفها .

المبحث الرابع : الآثار الوظيفية لفلسفة تصنيف العلوم عند المسلمين



## المبحث الأول : تصنيف العلوم عند المدرسة الفلسفية التقليدية

- تمهيد

1-1- تصنيف العلوم عند الكندي

1-2- تصنيف العلوم عند الفارابي

1-3- تصنيف العلوم عند ابن سينا

1-4- تصنيف العلوم عند إخوان الصفا

1-5- أساس التصنيف في المدرسة الفلسفية التقليدية

## المبحث الأول : تصنيف العلوم عند المدرسة الفلسفية التقليدية

- تمهيد

1-1- تصنيف العلوم عند الكندي

1-2- تصنيف العلوم عند الفارابي

1-3- تصنيف العلوم عند ابن سينا

1-4- تصنيف العلوم عند إخوان الصفا

1-5- أساس التصنيف في المدرسة الفلسفية التقليدية

تمهيد

مما لاشك فيه أن البواكير الأولى للفكر الإسلامي قد شيدت مع مطلع الرسالة المحمدية ؛ التي جاءت لتقويم فكر الإنسان وصناعة حضارته ، وفق تعاليم سماوية خاطبت العقل الصريح بأسس دينية ومنطقية ؛ كان لها الأثر الواضح في ترشيد العمل الإسلامي بمختلف أشكاله القيمة منه والعلمية .

وكان لابد للمشتغلين بالفكر الإسلامي في بواكيره الأولى؛ أن يؤسسوا للمنهج الفكري العلمي الإسلامي المنوط يبحث مختلف أشكال العلوم وأنماط التفكير في مناهجها وأنساقها ، تلك العلوم التي كانت سائدة إلى وقت قريب في الحضارة اليونانية ، والتي عكف عليها المسلمون بالبحث والترجمة ومن ثم نقلها بعد تمحيصها .

وقد كان رواد الفكر العلمي في البيئة الإسلامية أقرب إلى العقلية اليونانية في تناول مختلف العلوم، فهم من الناحية التاريخية أسبق ظهوراً من كل وجهة فكرية ظهرت بعد ذلك ، وكان تصنيفهم للعلوم مواكبا لظهور التركة الفلسفية التقليدية في الفكر الإسلامي ، التي كانت بداياتها على يد الكندي ، ثم تدعمت بالفارابي وابن سينا ثم إخوان الصفا، وآخرون .

وسوف نعرض في مبحثنا هذا تصنيف العلوم عند كل من : الكندي والفارابي ، وابن سينا وإخوان الصفا ، في شكل المدرسة الفلسفية التقليدية .

## 1-1- تصنيف العلوم عند الكندي : ( أبو يوسف يعقوب بن إسحاق)

يقسم الكندي في رسائله<sup>(3)</sup> الفلسفة إلى علم وعمل ، أو فلسفة نظرية وعملية - كما فعل أرسطو - فهو يقسم العلم النظري إلى قسمين كبيرين هما : علم الأمور الإلهية ، وعلم الأشياء المصنوعة المخلوقة ، ويستدل بترتيب الخالق للموجودات بين الغليظ اللطيف على التدرج من علم المحسوسات إلى علم الإلهيات .

وقد اختلف عن أرسطو في تقسيمه للعلم النظري فقسمه إلى علم الأمور الإلهية ، وعلم الأشياء المصنوعة أو المخلوقة<sup>(4)</sup> ، أثناء تربيته لكتب أرسطو .

ولم يضع الكندي خطة عامة مفصلة في تصنيف العلوم ، مثل من جاء بعده ، لكن والحق يقال أن محاولة الكندي كانت هي الخطة المعتمدة للمفكرين المسلمين الذين جاءوا بعده وأفردوا التصنيف بمباحث خاصة .

يبدأ تصنيف الكندي بالرياضيات التي تعد مدخل العلوم ، وهو في هذا متأثر تماما بالفكر اليوناني حيث يضع العلم الرياضي في الأول<sup>(5)</sup> .

لكن الكندي يبين في تقسيمه أن منزلة العلم الرياضي في الطبع وسط ، ويجعل الطبيعيات من حيث التصنيف في المنزلة الثانية ، إلا أن منزلتها في الطبع سفلى ، ويجعل علم الربوبية في المرتبة الثالثة ، مع الاحتفاظ لهذا العلم بالمنزلة العليا في الطبع<sup>(6)</sup> .

(1) ناصر محمد السويدان ، التصنيف في المكتبات العربية ، مرجع سابق ، ص 14 .

(2) عبد المجيد النجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، نقلا عن المعجم الفلسفي ، ط دار الكتاب اللبناني ، 1971 ،

(3) الكندي ، الرسائل ، تح : محمد عبد الهادي أبوريدة ، طبعة القاهرة ، 1950 ، ص 363 .

(4) حسن الشرقاوي ، مسلمون علماء وحكماء ، مرجع سابق ، ص 110 .

(5) محمد بن أبي بكر المرعشي ، ترتيب العلوم ، مصدر سابق ، ص 15 .

(6) الكندي ، المصدر السابق ، ص 364 .

## 1-1- تصنيف العلوم عند الكندي : ( أبو يوسف يعقوب بن إسحاق )

يقسم الكندي في رسائله<sup>(3)</sup> الفلسفة إلى علم وعمل ، أو فلسفة نظرية وعملية - كما فعل أرسطو - فهو يقسم العلم النظري إلى قسمين كبيرين هما : علم الأمور الإلهية ، وعلم الأشياء المصنوعة المخلوقة ، ويستدل بترتيب الخالق للموجودات بين الغليظ اللطيف على التدرج من علم المحسوسات إلى علم الإلهيات .

وقد اختلف عن أرسطو في تقسيمه للعلم النظري فقسمه إلى علم الأمور الإلهية ، وعلم الأشياء المصنوعة أو المخلوقة<sup>(4)</sup> ، أثناء ترتيبه لكتب أرسطو .

ولم يضع الكندي خطة عامة مفصلة في تصنيف العلوم ، مثل من جاء بعده ، لكن والحق يقال أن محاولة الكندي كانت هي الخطة المعتمدة للمفكرين المسلمين الذين جاءوا بعده وأفردوا التصنيف بمباحث خاصة .

يبدأ تصنيف الكندي بالرياضيات التي تعد مدخل العلوم ، وهو في هذا متأثر تماما بالفكر اليوناني حيث يضع العلم الرياضي في الأول<sup>(5)</sup> .

لكن الكندي يبين في تقسيمه أن منزلة العلم الرياضي في الطبع وسط ، ويجعل الطبيعيات من حيث التصنيف في المنزلة الثانية ، إلا أن منزلتها في الطبع سفلى ، ويجعل علم الربوبية في المرتبة الثالثة ، مع الاحتفاظ لهذا العلم بالمنزلة العليا في الطبع<sup>(6)</sup> .

(1) ناصر محمد السويدان ، التصنيف في المكتبات العربية ، مرجع سابق ، ص 14 .

(2) عبد المجيد النجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، نقلا عن المعجم الفلسفي ، ط دار الكتاب اللبناني ، 1971 ،

(3) الكندي ، الرسائل ، تح : محمد عبد الهادي أبوريدة ، طبعة القاهرة ، 1950 ، ص 363 .

(4) حسن الشرقاوي ، مسلمون علماء وحكماء ، مرجع سابق ، ص 110 .

(5) محمد بن أبي بكر المرعشي ، ترتيب العلوم ، مصدر سابق ، ص 15 .

(6) الكندي ، المصدر السابق ، ص 364 .

ويقسم الرياضيات إلى أصنافها الدقيقة ؛ إلى علم العدد والتأليف والهندسة والتنجيم في بعض الأحيان ، وفي وجه آخر يقسمها إلى علم العدد والهندسة والفلك والموسيقى<sup>(1)</sup> .  
وقد كان في ذلك يصنف تارة من حيث الكمية ، فيقول : « إن البحث عن الكمية صناعتان صناعة العدد ، وهي تبحث عن الكمية المفردة ، أعني كمية الحساب وجمع بعضه إلى بعض ، وفرق بعضه من بعض ... الخ ».

وتارة أخرى يصنف من حيث كيف فيقول : « والباحث عن الكيفية صناعتان أيضا ، أحدهما علم الكيفية الثابتة ، وهو علم المساحة المسمى هندسة ، والأخرى علم الكيفية المتحركة ، وهو علم هيئة الكل في الشكل والحركة ، وهذا هو المسمى علم التنجيم »<sup>(2)</sup> .  
ثم ينتقل الكندي بعد الرياضيات إلى المنطق ، وقد تابع أرسطو في ذكر أجزاء المنطق التي تُولف " الأورجانون " وهي : المقولات ، العبارة ، القياس ، البرهان ، الجدل ، السفسطة لكن الكندي يضيف كتابي الخطابة والشعر .  
يقول الكندي : « أما المنطقيات فثمانية<sup>(3)</sup> :

- الأول منها : المسمى قاطوغورياس وهو على المقولات ، أعني الحامل والمحمول ، والحامل - يقصد الموضوع - هو ما سمي جوهرًا ، والمحمول هو ما سمي عرضًا محمولًا في الجوهر .  
الثاني : بارمنياس ، ومعناه على التفسير ، يعني تفسير ما يقال في المقولات لتكون قضايا موضوع ومقول ( محمول ) .  
الثالث : أنولوطيقي الأولى .  
الرابع : فالسمى أنالوطيقي الثانية ، وهي المخصوص باسم أفوذقطيقا ومعناه الإيضاح .  
الخامس : فهو المسمى طوييكا ، ومعناه المواضع ، يعني مواضع القول .  
السادس : هو المسمى سوفسطيكا ومعناه المنسوب في السوفسطائية .  
السابع : ريطوريقا ومعناه البلاغي .  
الثامن : بوئيطيكا ومعناه الشعري » .

(1) الكندي ، المصدر السابق ، ص 365 .

(2) المصدر نفسه ، ص 366 .

(3) المصدر نفسه ، ص 367 .

ينتقل الكندي بعد ذلك إلى العلوم الطبيعية في معرض حديثه عن كتب أرسطو ، وإن كان يخالف أرسطو في تقسيمه للعلوم الطبيعية .

فهو يقسم العلوم الطبيعية إلى قسمين<sup>(1)</sup> :

الأول : ما كان مركبا من مادة وصورة وهي الأجسام .

والثاني : ما كان مستغنيا عن الطبيعة ؛ قائما بذاته غير محتاج إلى الأجسام ، ومع ذلك يوجد في الأجسام مواصلاهما بأحد أنواع المواصلة : ( الكتب النفسانية) .

والعلوم الطبيعية سبعة أنواع:<sup>(2)</sup>

السماء والكون والفساد ، العالم العلوي ( الآثار العلوية ) والمعادن والنبات والحيوان ، ثم يذكر الكتب النفسية .

ويتناول الكندي ثلاثة من الطبيعيات الصغرى التسعة والثلاثة هي : الحس والمحسوس ، النوم واليقظة ، وطول العمر وقصره.<sup>(3)</sup>

ثم يتحدث عميالا يحتاج إلى الأجسام ، ولا يتصل بالأجسام أي ما بعد الطبيعة ، فيشير إليه إشارة عابرة موجزة في شكل ذكر اسم الكتاب فقط .<sup>(4)</sup>

ينتقل الكندي بعد هذا إلى الحديث عن كيفية الاستفادة من العلم ، أو ثمرة العلم بهذه الكتب

المنتخبة ( كتب أرسطو ) وهي كتبه في الأخلاق ؛ أخلاق النفس وسياستها حتى تقوم على

الفضيلة الإنسانية وتتحد بها منها كتاب " الأخلاق إلى نيقوماخوس " .<sup>(5)</sup>

فالكندي يتناول العلوم من حيث غائيتها ؛ فهي تفهم بالغايتها منها ( أغراضها ) بعد عرض كل

علم يقول : « فإذا قدمنا ما قمنا من البحث على أغراض كتب أرسطو طاليس ؛ لما في ذلك من

العون على فهمها ، فإن العلم بالغايتها التي يقصد إليها يجمع قوته في السلوك إليها وفكره فلا يثبط

عزمه في السلوك » .<sup>(6)</sup>

(1) الكندي ، المصدر السابق ، ص 373 .

(2) المصدر نفسه ، ص 374 .

(3) نفسه ، ص 376 .

(4) نفسه ، ص 377 .

(5) نفس المصدر ، ص 378 .

(6) نفسه ، ص 378 .

وفي ختام رسالته يضع الكندي تصورا عاما ، كنموذج لترتيب العلوم وتقسيمها ؛ حيث يقول :  
 « فقد ينبغي لمن أراد علم الفلسفة أن يقدم استعمال كتب الرياضيات على مراتبها التي حددنا ،  
 والمنطقيات على مراتبها التي حددنا أيضا ، ثم الكتب على الأشياء الطبيعية ، ثم ما فوق  
 الطبيعيات ، ثم كتب الأخلاق ، وسياسة النفس بالأخلاق المحمودة ، ثم ما بقي من العلوم مركب  
 من الذي حددنا ، فيصبح ويتم بعلم ما قدمنا » .<sup>(1)</sup>  
 وعلى هذا الأساس النظري الذي قدمه الكندي في تصنيف العلوم ، كانت محاولته هي البادرة  
 الأولى في نطاق تصنيف العلم في البيئة الفكرية الإسلامية .

(1) الكندي ، المصدر السابق ، ص 383 .



## 1-2- تصنيف العلوم عند الفارابي ( محمد بن محمد أوزلغ بن طرخان أبو نصر ) (ت339هـ)

اهتم "الفارابي" بتصنيف العلوم اهتماما كبيرا ، فكان عمله في ذلك رائدا ، حيث ألف كتابه (( إحصاء العلوم )) واسع الشهرة ، وكذا كتابيه (( تحصيل السعادة )) و (( التنبيه على سبيل السعادة )) .

قسم "الفارابي" العلوم إلى علوم نظرية وعلوم عملية ، وهذا ما نجده عند الفيلسوف اليوناني "أرسطو" .

العلوم النظرية - عند الفارابي - على ثلاثة أصناف :

علوم التعاليم ( الرياضيات ) - والعلم الطبيعي - وعلم ما بعد الطبيعة ، ويطلق عليه اسم الفلسفة الأولى يقول "الفارابي" : « صناعة الفلسفة صنفين ، صنف تحصل به معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها ، وهذه تسمى النظرية ... والفلسفة النظرية تشتمل على ثلاثة أصناف من العلوم ، أحدها علم التعاليم ، والثاني العلم الطبيعي ، والثالث ما بعد الطبيعيات » .<sup>(1)</sup>

أما العلوم العملية فهي صنفان عند "الفارابي" ، وتشمل الأخلاق وعلم السياسة ، وإن كانت عند أرسطو على ثلاث شعب ( كما رأينا سابقا ) أخلاق ، وتديبر المترل ، والسياسة .

يقول "الفارابي" عن العلوم العملية : " هي صنف تحصل به معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل ، والقوة على فعل الجميل منها ، وهذه تسمى الفلسفة العملية " .<sup>(2)</sup>

ويسمى بالعلوم المدنية ، والمقصود بها في لغة العصر العلوم الإنسانية التي تعالج قضايا الإنسان والمجتمع ؛ من زوايا سلوكية محضة كالاجتماع والسياسة والأخلاق .

والفلسفة المدنية عنده " صنفان أحدهما يحصل به علم الأفعال الجميلة والأخلاق التي تصدر عنها الأفعال الجميلة ، والقدرة على أسبابها ( وبه تصير ) الأشياء الجميلة لنا ، وهذه تسمى الصناعة الخلقية ، والثاني : يشتمل على معرفة الأمور التي بها تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن ... وهذه تسمى الفلسفة السياسية " .<sup>(3)</sup>

(1) الفارابي ، كتاب التنبيه على سبيل السعادة ، تح : جعفر آل ياسين ، دار المناهل للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان

1405هـ ، 1985م ، ص 76 .

(2) المصدر نفسه ، ص 76 .

(3) المصدر نفسه ، ص 77 .

فالحكمة في تصور "الفارابي" هي شقان : منها ما يعلم ليعتقد به ، وهو المتمثل في الحكمة النظرية ، ومنها ما يعلم ، ليعمل به وهو الحكمة العملية ... وهذا ما جعل بعض الدارسين يقولون أن تصنيف الفارابي للعلوم هو تصنيف مستمد من فلسفة تصنيف العلوم عند "أرسطو" .<sup>(1)</sup>

ونجد "الفارابي" في رسالته " التنبيه على سبيل السعادة " يصنف الصنائع إلى صنفين : صنف مقصوده الحصول على النافع ، وصنف مقصوده الحصول على الجميل ، فالصنف الأول : ليس منه شيئا يسمى بالحكمة ، بينما الصنف الثاني هو الذي يسمى بالفلسفة أو يسمى بالحكمة على الإطلاق.<sup>(2)</sup>

### الفارابي وإحصاء العلوم :

أما في كتابه " إحصاء العلوم " فنجد "الفارابي" يقدم لنا إطار نظريته في تصنيف العلوم ، وهو كتاب يوضح فيه منهجه ومعاله التي سلك بها في تحديد مفهوم كل علم ، وما يترتب عليه من نتائج عملية أو نظرية ، وعلاقة كل علم بالعلوم الأخرى ، قصد الوصول إلى وحدة العلم ونسقه . ابتداء "الفارابي" بالعلوم النظرية ، وانتهى بالعلوم العملية ، وهذا ما يدل عليه ظاهر النص . يقول "الفارابي" : « قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علما علما ، ونعرف جمل ما يشتمل عليه في كل واحد منها ، وأجزاء كل ماله منها أجزاء ، وجمل ما في كل واحد من أجزائه ، ونجمله في خمسة فصول :

الأول : في علم اللسان وأجزائه .

الثاني : في علم المنطق وأجزائه .

الثالث : في علوم التعاليم .

الرابع : في العلم الطبيعي وأجزائه ، وفي العلم الالهي وأجزائه .

الخامس : في العلم المدني وأجزائه ، وفي علم الفقه و علم الكلام .»<sup>(3)</sup>

(1) جلال محمد عبد الحميد موسى ، منهج البحث العلمي عند العرب ، مرجع سابق ، ص 63 .

(2) الفارابي ، المصدر السابق ، ص 75 .

(3) الفارابي ، إحصاء العلوم ، تح : عثمان أمين ، ط 1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1949م ، ص 02

وأجزاء العلوم العملية والنظرية في منطق "الفارابي" كما حدده بنفسه في كتابه "إحصاء العلوم" هي كالتالي :

الفصل الأول : وضعه لعلوم اللسان وهو على ضربين :

الضرب الأول : هو حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما ، وعلم ما يدل عليه شيء بشيء منها<sup>(1)</sup> ، فالأمم تختلف عن بعضها البعض بالمدلول والمدلول .

والضرب الثاني : يتمثل في علم قوانين تلك الألفاظ والمراد بهذه القوانين الأطر المعرفية ، والمنهجية التي تتحدد بها نظم الصناعات العملية والنظرية ، وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم إلى سبعة أجزاء في نظر "الفارابي" وهي :

1- علم الألفاظ المفردة : ويبحث في اللفظ ومدلوله ، وهو ما يسمى اليوم بعلم اللغة .

2- علم الألفاظ المركبة : وهو علم يبحث في الفنون الأدبية واللغوية كالشعر والخطابة والنثر والبلاغة .

3- علم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة : وهو علم الصرف .

4- علم قوانين الألفاظ عندما تتركب : ويتناول علم النحو وعلم المعاني والبيان .

5- علم قوانين الكتابة : المتمثل في الخط .

6- قوانين تصحيح القراءة المتمثل في الشكل وقواعد الإملاء .

7- علم الأشعار : وما يشمل على العروض والقوافي ( أوزان الشعر ) .

فيشمل إذن علم اللسان على العلوم التالية : علم اللغة والشعر والخطابة والنثر ( البلاغة ) وعلم الصرف ، وعلم النحو ، وعلم المعاني وعلم البيان والخط والشكل وقواعد الإملاء وعلم العروض ( القوافي ) .

والفصل الثاني من كتاب ( إحصاء العلوم ) يخصصه لعلم المنطق ؛ الذي يجبر عنه بالجملة على ما فيه عرضاً وجوهراً من تعريف حده ومدلول عنوانه ، وذكر العلوم التي تناسبه ، وإيضاح منفعتها ، وفائدته ومضرة الجهل بعدم معرفته ، وإحصاء أجزائه ، وجمل ما في كل واحد منها<sup>(2)</sup> .

(1) الفارابي ، المصدر السابق ، ص 5-11 .

(2) المصدر نفسه ، ص 11-32 .

وقوانين المنطق عند "الفارابي" هي قوانين عامة ؛ تقوم العقل البشري وتشحذه وتسدده نحو الصواب ونحو الحق<sup>(1)</sup> ، وهي مدخل لكل معرفة ولكل علم ، ولا بد من مراعاتها حتى نصل إلى الحق اليقين<sup>(2)</sup> .

فهو يرى أن كل علم أسسه المعرفية قائمة على قوانين المنطق ، التي هي بمثابة منهج يقيم مبادئه ، ولهذا فهي ضرورية لكل من أراد أن يدرك الحقيقة العلمية والفلسفية لأي من العلوم أو معرفة من المعارف .

ويرى الفارابي أن فائدة المنطق تتمثل في :

الفائدة الأولى : هي في كل ما نلتمس تصحيحه عند غيرنا .

الفائدة الثانية : هي فيما نلتمس تصحيحه عند أنفسنا .

الفائدة الثالثة : هي فيما يلتمس غيرنا تصحيحه عندنا<sup>(3)</sup> .

هذه الفوائد التي ذكرها الفارابي هي لب الأسس المعرفية التي يقوم عليها أي منهج سليم في تصحيح المفاهيم ، وتتعلق بالتداخل الوظيفي بين الحضارات .

أما أجزاء المنطق عند الفارابي فهي كالتالي :<sup>(4)</sup>

المقولات - القياس - البرهان - الجدل - الحكمة المموهة - الخطابة - الشعر .

والفصل الثالث من كتاب ( إحصاء العلوم ) وضعه "الفارابي" لعلم التعاليم ( الرياضيات )

وهذا العلم في رأيه ينقسم إلى سبعة أجزاء هي :

أولاً : علم العدد :

وهو علمان أحدهما عملي ، والثاني نظري .

فعلم العدد العملي : " يفحص عن الأعداد من حيث هي أعداد معدودات تحتاج إلى أن يضبط

عددها من أجسام وغيرها ... وهي التي يتعاطاها الجمهور في المعاملات السوقية ، والمعاملات

المدنية " .<sup>(5)</sup>

(1) الفارابي ، المصدر السابق ، ص 11 .

(2) عباس محمود العقاد ، أعلام الإسلام الفارابي ، دائرة المعارف الإسلامية ، دط ، دت ، ص 89 .

(3) الفارابي ، المصدر السابق ، ص 13 .

(4) المصدر نفسه ، ص ص 28-32 .

(5) المصدر نفسه ، ص ص 34-35 .

وعلم العدد النظري : " يفحص عن الأعداد بإطلاق على أنها مجردة في الذهن من الأجسام".<sup>(1)</sup>  
ثانيا : علم الهندسة :

وهو علمان أحدهما عملي ، والثاني نظري .

فعلم الهندسة العملي : " ينظر في خطوط وسطوح جسم خشب إن كان الذي يستعملها نجارا أو في جسم حديد إن كان الذي يستعملها حدادا ، أو في جسم حائط إن كان الذي يستعملها بناء".<sup>(2)</sup>

وعلم الهندسة النظري : ينظر في خطوط وسطوح وأجسام على الإطلاق والعموم .<sup>(3)</sup>  
ثالثا : علم المناظر : " وهو علم يفحص عما يفحص عنه علم الهندسة من الأشكال و الأعضام ، والترتيب والأوضاع ، والتفاضل وغير ذلك لكن على أنها في خطوط وسطوح ومجسمات لا على الإطلاق".<sup>(4)</sup>

رابعا : علم النجوم :

علم النجوم علمان : أحدهما علم أحكام النجوم ، والثاني علم النجوم التعليمي ، فعلم أحكام النجوم هو : " علم دلالات الكواكب على ما سيحدث في المستقبل وعلى كثير مما هو الآن موجود ، وعلى كثير مما تقدم" وعلم النجوم التعليمي : هو : " الذي يعد في العلوم وفي التعليم ... ويفحص في الأجسام السماوية ، وفي الأرض".<sup>(5)</sup>

خامسا : علم الموسيقى :

وهو علمان : علم الموسيقى العملية وعلم الموسيقى النظري .

علم الموسيقى العملية : " هي التي شأنها أن توجد أصناف الألحان محسوسة في الآلات التي لها أعدت إما بالطبع وإما بالصناعة".<sup>(6)</sup>

(1) الفارابي ، المصدر السابق ، ص 35 .

(2) المصدر نفسه ، ص 35 .

(3) المصدر نفسه ، ص 38 .

(4) المصدر نفسه ، ص 40 .

(5) نفسه ، ص ص 43 - 44 .

(6) نفسه ، ص 47 .

وعلم الموسيقى النظري : وهو العلم المعقول ، وينقسم بدوره إلى خمسة أجزاء :  
 1- المبادئ 2- الأصول 3- مطابقة ما تبين في الأصول بالأقاويل والبراهين  
 4- الإيقاعات الطبيعية 5- تأليف الألحان.<sup>(1)</sup>

سادسا : علم الأتقال :

يرى "الفارابي" أن أمر الأتقال على شيئين ، إما على النظر في الأتقال من حيث تقدر أو يقدر بها ، وهو الفحص عن أصول القول في الموازين .

والثاني .... النظر في الأتقال التي تحرك أو يحرك بها ، وهو الفحص عن أصول الآلات التي ترفع بها الأشياء الثقيلة ، وتنقل من مكان إلى مكان .<sup>(2)</sup>

سابعا : علم الحيل :

" فإنه علم وجه التدبير في مطابقة جميع ما يبرهن وجوده في التعاليم التي سبق ذكرها ، ويتفرع علم الحيل إلى عدة علوم أخرى ، منها الحيل العددية ؛ تسمى عند أهل زمانه بالجبر والمقابلة ، والحيل الهندسية وهي كثيرة " .<sup>(3)</sup>

والفصل الرابع : من كتاب (إحصاء العلوم) وضعه "الفارابي" للعلم الطبيعي والعلم الإلهي .

أولا : العلم الطبيعي :

" ينظر في الأعراض التي قوامها في هذه الأجسام ، ويعرف الأشياء التي عنها والتي بها ، والتي لها توجد هذه الأجسام والأعراض التي قوامها فيها ، ويرى الفارابي أن الأجسام منها صناعية ومنها طبيعية " .<sup>(4)</sup>

والعلم الطبيعي ينقسم إلى ثمانية أجزاء:<sup>(5)</sup>

فالأول : هو الفحص عما تشترك فيه الأجسام الطبيعية كلها البسيطة منها والمركبة من المبادئ والأعراض التابعة لتلك المبادئ .

(1) الفارابي ، المصدر السابق ، ص 48

(2) المصدر نفسه ، ص 49 .

(3) المصدر نفسه ، ص 51 .

(4) نفسه ، ص 53 .

(5) نفسه ، ص 58 - 60

الثاني : الفحص عن كون الأجسام البسيطة هل هي موجودة ، فإن كانت موجودة فأى أقسام هي ، وكم عددها ، ثم الفحص بعد ذلك عن اسقطسات (1).

الثالث : الفحص عن الأجسام الطبيعية وفسادها على العموم ، ومن جميع ما يلتزم به الفحص كيف يكون الاسقطسات وفسادها وكيف يكون عنها الأجسام المركبة وإعطاء مبادئ جميع ذلك.

الرابع : الفحص عن مبادئ الأعراض والانفعالات التي تخص الاسقطسات وحدها دون المركبات عنها .

الخامس : النظر في الأجسام المركبة عن الاسقطسات ، وأن منها ما هي مشابهة الأجزاء ، ومنها ما هي مختلفة الأجزاء ، وأن المتشابهة منها ما هي أجزاء ركبت منها المختلفة الأجزاء.

السادس : النظر فيما تشترك فيه الأجسام المركبة والمتشابهة الأجزاء التي ليست أجزاء المختلفة الأجزاء ، وهي الأجسام المعدنية كالحجارة وأصنافها ...

السابع : النظر فيما تشترك فيه أنواع النبات ...

الثامن : النظر فيما تشترك فيه أنواع الحيوان ...

ثانيا : العلم الإلهي : ينقسم إلى ثلاثة أجزاء : (2).

الأول : يفحص فيه عن الموجودات والأشياء التي تعرض لها بما هي موجودة.

الثاني : يفحص فيه عن مبادئ البراهين في العلوم النظرية الجزئية ، وهي التي ينفرد كل علم منها بالنظر في موجود خاص مثل المنطق ، والهندسة ، والعدد وباقي العلوم الأخرى .

الثالث : يفحص عن الموجودات التي ليست بأجسام ، ولا في أجسام عنها ، وهل هي موجودة أم لا .

والفصل الخامس من كتاب إحصاء العلوم خاص بالعلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام .  
أولا : العلم المدني :

يرى "الفارابي" أن هذا العلم يفحص عن أصناف الأفعال والسنن الإرادية وعن الملكات ، والأخلاق والسجايا والشيم ، وعن الغايات التي لأجلها تفعل وكيف ينبغي أن تكون موجودة في

(1) الأسقطس المقصود به الأصل ، أو العنصر البسيط الذي تتألف منه الأجسام .

(2) الفارابي ، المصدر السابق ، ص 60 - 64 .

الإنسان ، وكيف يكون الوجه في ترتيبها فيه على النحو الذي ينبغي أن يكون وجودها فيه والوجه في حفظها<sup>(1)</sup>.

وفي هذا النص السابق نجد الفارابي يحدد السلوك النموذجي للإنسان ، ويطرح في هذا العلم قضايا المجتمع والإنسان بأطروحات مثالية<sup>(2)</sup> ؛ تهدف إلى وضع نظام مثالي أو الإنسان والمدينة الفاضلة<sup>(3)</sup> ، وفي موضع آخر يستبدل الفارابي مصطلح العلم المدني بالفلسفة المدنية وهي جزءان<sup>(4)</sup>:

الجزء الأول : يشتمل على تعريف السعادة ، وتمييز ما بين الحقيقة منها والمظنون به ، وعلى إحصاء الأفعال والسير والأخلاق والشيم الإدارية الكلية التي شأنها أن توزع في المدن والأمم تمييز الفاضل منها من غير الفاضل.

الجزء الثاني : يشتمل على وجه ترتيب الشيم ، والسير الفاضلة في المدن والأمم، وعلى تعريف الملكية التي بها يمكن للسير والأفعال ترتيب أهل المدن .

ثانيا : علم الفقه :

هو العلم الذي بواسطته : " يقتدر الإنسان على أن يستنبط تقدير شيء مما لم يصرح واطع الشريعة بتحديدته على الأشياء التي صرح فيها بالتحديد والتقدير " .<sup>(5)</sup>  
وهي على جزئين : جزء خاص بالآراء وجزء خاص بالأفعال.<sup>(6)</sup>

ثالثا : علم الكلام :

وهو "علم يقتدر به الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة؛ التي صرح بها واضع الملة ، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل " .<sup>(7)</sup>

(1) الفارابي ، المصدر السابق ، ص 64 .

(2) المصدر نفسه ، ص 65 .

(3) المصدر نفسه ، ص 66 .

(4) المصدر نفسه ، ص 67 .

(5) نفسه ، ص ص ، 69-70 .

(6) نفسه ، ص 70 .

(7) نفسه ، ص 70 .



وينقسم علم الكلام إلى قسمين : قسم في الآراء وقسم في الأفعال<sup>(1)</sup> ، ويرى "الفارابي" أن علم الكلام غير علم الفقه ، لأن رجل الفقه يسلم بالآراء والأفعال الصادرة من النصوص النقلية، ثم يستنبط منها أحكاما لمعضلات أو مسائل جديدة .

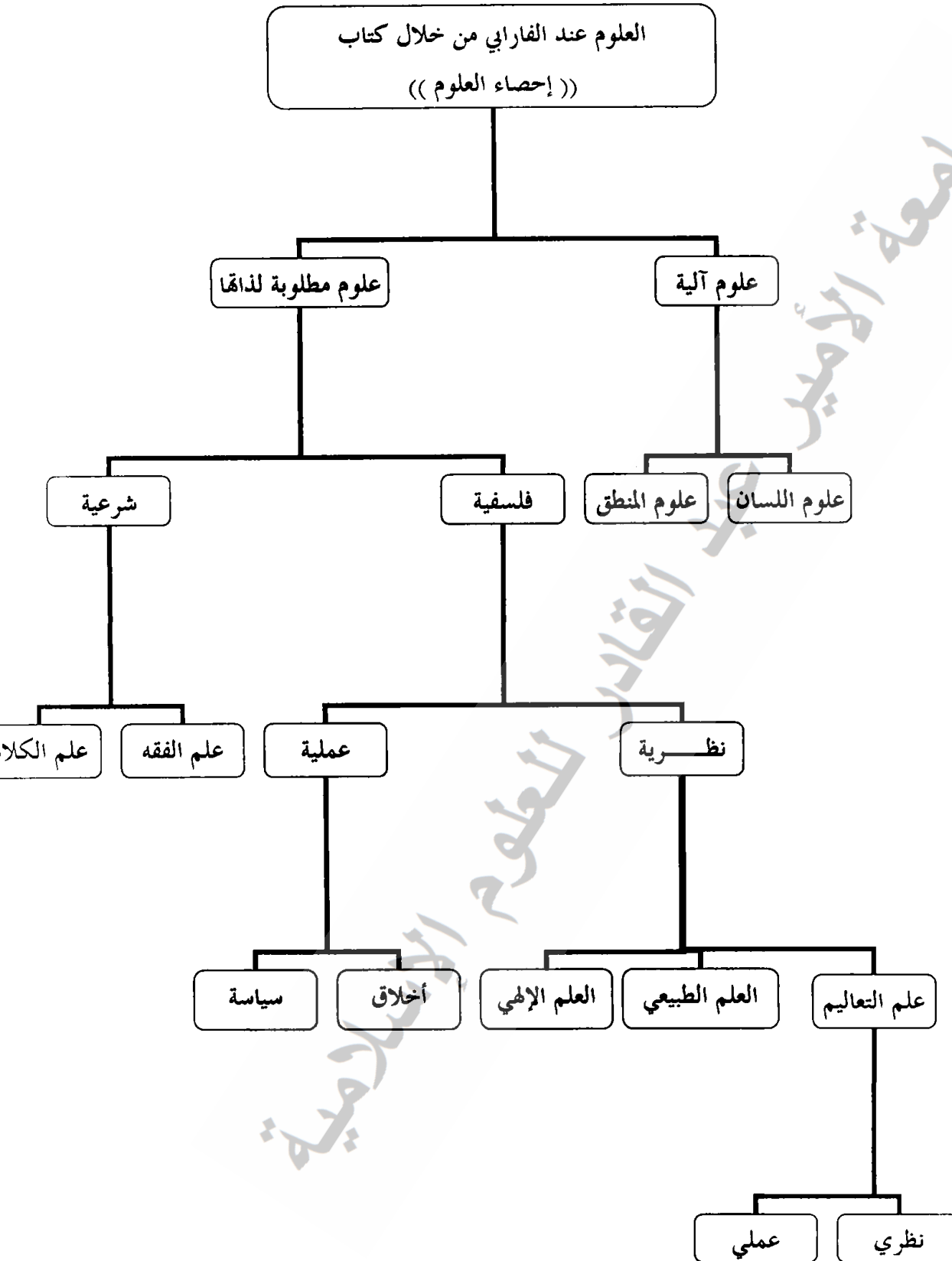
بينما رجل الكلام هو رجل مذهبي ؛ يقبل على المسلمات الفقهية ويدافع عنها ويتنصر لها؛ دون أن تكون له الإمكانية والقدرة على الاستنتاج أو الاشتقاق .

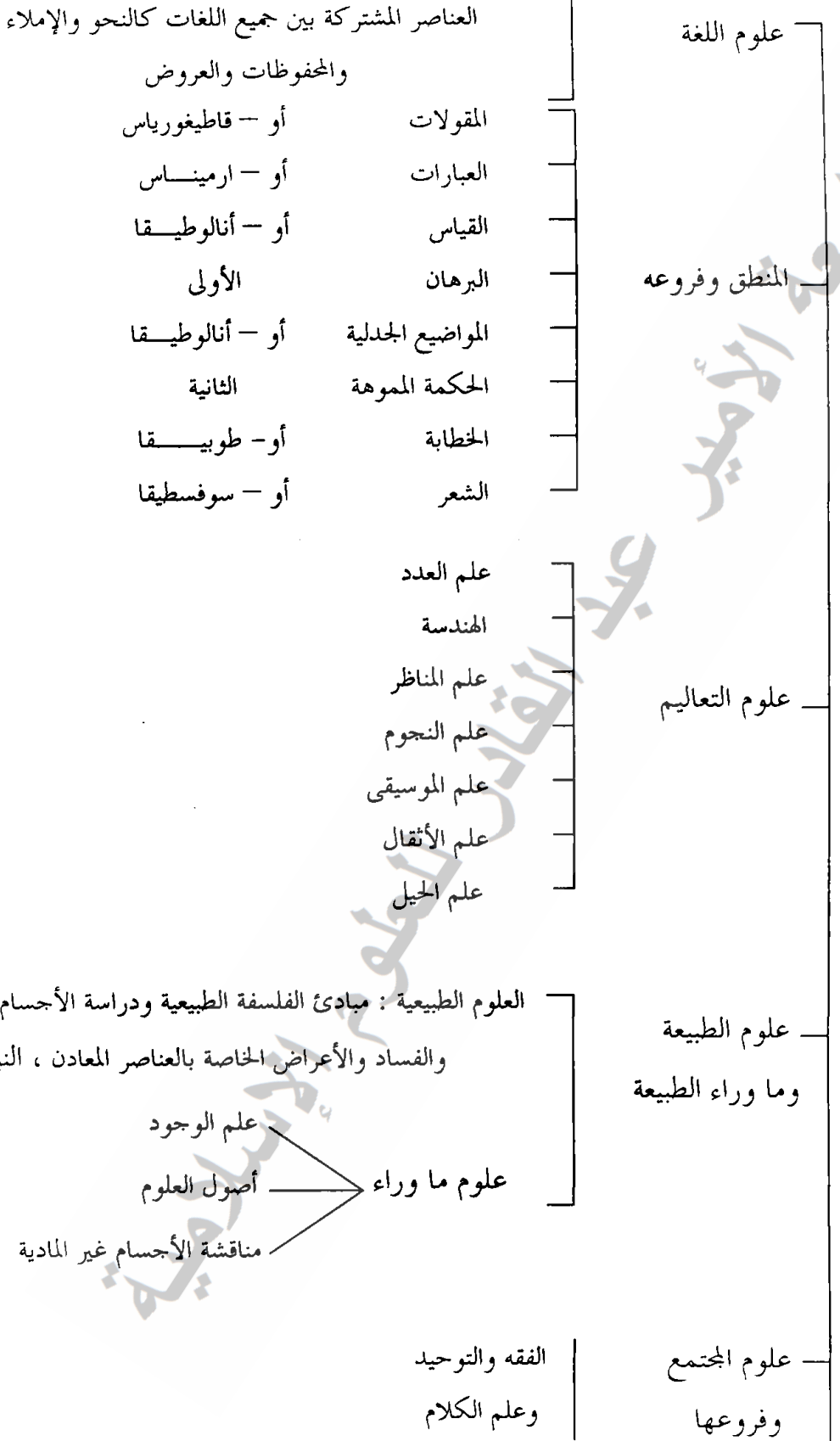
يقول "الفارابي": « وهي غير الفقه يأخذ الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلمة ، ويجعلها أصولا فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنها ، والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولا من غير أن يستنبط عنها أشياء أخرى»<sup>(2)</sup>.

وبهذا العلم يحتتم الفارابي كتابه (( إحصاء العلوم )) .

(1) الفارابي ، المصدر السابق ، ص 71 .

(2) المصدر نفسه ، ص 71 - 72 .





### 1-3- تصنيف العلوم عند ابن سينا ( أبو علي الحسين بن عبد الله )

سطع نجم الشيخ الرئيس ابن سينا ( ت 428 هـ ) في تاريخ الحضارة الإسلامية بموسوعيته التي جمعت بين الفلسفة والدين والعلم ، وكان من أكبر الفلاسفة المشائين في المشرق الذين أثروا المكتبة الإسلامية والعالمية .

ألف ( ابن سينا ) كتابا ضخما سماه ( الشفاء )<sup>(1)</sup> ، وضمنه علوم عصره ، وألف رسالة في أقسام العلوم العقلية ؛ أبان فيها عن محاولته في التصنيف توسع فيها أكثر في ( الشفاء ) .

وقد كانت فلسفته في تصنيف العلوم تابعة من مزيج شخصيته الثقافية ؛ إذ هي مركبة من دراسات متعمقة للفلسفة المشائية ، مع تأملات الصوفية ، وجدل المتكلمين ، وتأثير اجتماعي بما حوله من علوم الدين الإسلامي - وإن لم يكن يعباؤها كثيرا -<sup>(2)</sup> .

مع خلاصة للمعارف والعلوم التي اجتمعت في عصره وازدهرت ؛ من طب وفلك وعلوم طبيعية وغيرها ، فكانت خطته في تصنيف العلوم تحكي صورة هذا المزيج كله .

والشفاء هو كتاب ضخم تناول فيه ابن سينا العلوم ، في أربعة أجزاء ، ضم كل جزء عدة مجلدات ، تضمنت عنوانا وتفصيلا لكل علم .

الجزء الأول : ضم كتب المنطق وهي :

- مج1 - المدخل
- مج2 - المقولات
- مج3 - العبارة
- مج4 - القياس
- مج5 - البرهان
- مج6 - الجدل
- مج7 - السفسطة
- مج8 - الخطابة
- مج9 - الشعر

(1) ابن سينا ، الشفاء ، طبعة طهران ، 1303 هـ .

(2) عبده فراج ، معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1389 ص 103 .

### 1-3- تصنيف العلوم عند ابن سينا ( أبو علي الحسين بن عبد الله )

سطع نجم الشيخ الرئيس ابن سينا ( ت 428 هـ ) في تاريخ الحضارة الإسلامية بموسوعيته التي جمعت بين الفلسفة والدين والعلم ، وكان من أكبر الفلاسفة المشائين في المشرق الذين أثروا المكتبة الإسلامية والعالمية .

ألف ( ابن سينا ) كتابا ضخما سماه ( الشفاء )<sup>(1)</sup> ، وضمنه علوم عصره ، وألف رسالة في أقسام العلوم العقلية ؛ أبان فيها عن محاولته في التصنيف توسع فيها أكثر في ( الشفاء ) .

وقد كانت فلسفته في تصنيف العلوم تابعة من مزيج شخصيته الثقافية ؛ إذ هي مركبة من دراسات متعمقة للفلسفة المشائية ، مع تأملات الصوفية ، وجدل المتكلمين ، وتأثير اجتماعي بما حوله من علوم الدين الإسلامي - وإن لم يكن يعباؤها كثيرا -<sup>(2)</sup> .

مع خلاصة للمعارف والعلوم التي اجتمعت في عصره وازدهرت ؛ من طب وفلك وعلوم طبيعية وغيرها ، فكانت خطته في تصنيف العلوم تحكي صورة هذا المزيج كله .

والشفاء هو كتاب ضخم تناول فيه ابن سينا العلوم ، في أربعة أجزاء ، ضم كل جزء عدة مجلدات ، تضمنت عنوانا وتفصيلا لكل علم .

الجزء الأول : ضم كتب المنطق وهي :

- مج1 - المدخل
- مج2 - المقولات
- مج3 - العبارة
- مج4 - القياس
- مج5 - البرهان
- مج6 - الجدل
- مج7 - السفسطة
- مج8 - الخطابة
- مج9 - الشعر

(1) ابن سينا ، الشفاء ، طبعة طهران ، 1303 هـ .

(2) عبده فراج ، معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1389 ص 103 .

الجزء الثاني : تناول العلوم الطبيعية

مج1) - في مناقشة موضوعات مشتركة بين العلوم

مج2) و مج3) و مج4) - عن السماء والعالم ، الكون والفساد ، الأفعال والانفعالات .

مج5) - المعادن والآثار العلوية

مج6) - النفس

مج7) - طبائع الحيوان

مج8) - النبات

الجزء الثالث : العلوم الرياضية ، وفيه أربعة مجلدات على التوالي :

الأول : تناول أصول الهندسة .

والثاني : الحساب .

والثالث : جوامع الموسيقى

والرابع : علم الحياة .

الجزء الرابع : في العلوم الإلهية

وهو الجزء الأخير ؛ تناول فيه ابن سينا مواضيع تتعلق بالميتافيزيقا .

وفي رسالته أقسام العلوم العقلية ؛ قدم للعلوم كرد على من سأله في ذلك ، يقول "ابن سينا" :

" فقد التمسست مني أن أشير إلى أقسام العلوم العقلية إشارة إلى الإيجاز والكمال وإلى التبويب

والترتيب ، فبادرت إلى مساعدتك ونزلت عند اقتراحك ."<sup>(1)</sup>

ابتدأ "ابن سينا" في رسالته ببيان ماهية الحكمة التي جعلها تتضمن نوعين من المعرفة : النظرية

والعملية . فيقول في تعريف الحكمة : «.. صناعة نظر يستفيد منها الإنسان لتحصيل فاعلية

الوجود كله في نفسه ، وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه ، وتصير

عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة

الإنسانية..»<sup>(2)</sup>.

(1) أبو علي الحسين ابن سينا ، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات والإلهيات ، طبعة القاهرة ، 1326هـ - 1908 م الرسالة

الخامسة ص 71 .

(2) المصدر نفسه ، ص 72 .

## 1) العلوم النظرية

- يقسم "ابن سينا" العلوم النظرية إلى ثلاثة أقسام : العلم الطبيعي والعلم الرياضي والعلم الإلهي ، ويقسم العلوم العملية إلى ثلاثة أقسام : علم الأخلاق ، وعلم تدبير المنزل أو علم السياسة .
- 1- فالعلم الطبيعي الذي يبحث في الأمور المخالطة للمادة المبينة ، المتعلقة بالجسمانية والحركة ، مثل الإنسانية في الإنسان والعظمية في العظم ، والحركة مثل أجرام الفلك والعناصر الأربعة ، وما يتكون منها ، وما يوجد من الأحوال خاصا بها مثل الحركة والسكون ، والتغير والاستحالة ، والكون والفساد والنشوء.<sup>(1)</sup>
- 2- العلوم الرياضية وتبحث أيضا في العلوم المخالطة للمادة ؛ دون أن تكون خاصة بمادة معينة ، بل إن كل مادة تصلح لأن تحالطها ما لم يمنع مانع ؛ كالثلاثية والثنائية تصلحان للعظم والإنسان وغيرهما من الموجودات ، وكالتربيع والتدوير يصلحان في أجسام مختلفة ، وتشمل هذه العلوم الحساب والفلك والهندسة والموسيقى.<sup>(2)</sup>
- 3- العلم الإلهي يبحث في أمور لا تصلح للمادة والحركة ، مفتقرة لأن تحالطهما إما من الذوات ؛ فمثل ذات الأحد الحق ، أو من الصفات ؛ مثل الهوية والوحدة والكثرة والعلة والمعلول والجزئية والكلية والتمامية والنقصان.<sup>(3)</sup>
- 4- العلم الكلي يبحث في أمور قد تحالط المادة وقد لا تحالطها ، فتكون موجودة فيما يخالط المادة وفيما لا يخالطها ، كالوحدة والكثرة والكلي والجزئي والعلة والمعلول.<sup>(4)</sup>
- أما العلم الطبيعي . فأقسامه عند "ابن سينا" ثمانية:<sup>(5)</sup>
- أولها : مختص بالأمور العامة لجميع الطبيعيات ، مثل المادة والصورة والحركة والطبيعة والإنسان ، وتعلق الحركات بالمحركات ، وإثباتها إلى محرك أول واحد غير متحرك ، وغير متناهي القوة ، لا جسم ولا في جسم ( ويشتمل عليه كتاب السماع الطبيعي ) .
- الثاني : السماء والعالم ، والأجرام والصور والحركات الأولى في عالم الطبيعة .

(1) أبو علي الحسين ابن سينا ، المصدر السابق ، ص 72 .

(2) المصدر نفسه ، ص 73 .

(3) المصدر نفسه ، ص 73 .

(4) أبو علي الحسين ابن سينا ، منطق المشركين ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، 1910 ، ص 06 .

(5) ابن سينا ، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ، المصدر السابق ، ص 74 .

الثالث : الكون والفساد ، وأحوال الأجسام التي لا تفسد والتي تفسد ، وهي ذلك بسيطة ومركبة .

الرابع : العناصر التي تتكون منها الأجسام والكيفيات الأولى وانفعالاتها .

الخامس : المعادن وامتزاج العناصر ببعضها وأصولها .

السادس : كتاب النبات كعنصر من العناصر .

السابع : كتاب الحيوان ، وهو تجوهر الذوات عن صورة هي النفس ، ومادة هي الجسم والأعضاء .

الثامن : يشمل معرفة النفس والقوى الداركة .

بعد ذلك يخصص "ابن سينا" للعلوم الفرعية عن العلم الطبيعي وهي: (1)

الطب : وغرضه معرفة مبادئ البدن الإنساني وأحواله من الصحة والمرض ، وأسبابهما ودلائلهما لدفع المرض وحفظ الصحة .

أحكام النجوم : وهو علم تخميني ، الغرض منه الاستدلال من أشكال الكواكب بقياس بعضها إلى بعض ، وقياسها إلى التروج ، وقياس جملة ذلك إلى الأرض ، وما يكون من أحوال أدوار العالم والملك والممالك والبلدان والمواليد والاختيارات والمسائل .

علم الفراسة : الغرض منه الاستدلال من الخلق على الخالق .

علم التعبير : الغرض منه الاستدلال من التخيلات الحكيمة على ما شاهده النفس من علم الغيب، فخيالته القوى المخيلة بمثال غيره .

علم الطلسمات : الغرض منه تخريج القوى السمائية بقوى بعض الأجرام الأرضية ليتألف من ذلك قوة تفعل فعلا غريبا في علم الأرض .

علم الترنجيات : الغرض منه تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ؛ ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب .

علم الكيمياء : الغرض منه سلب الجواهر المعدنية ، خواصها وإفادتها خواص غيرها ، وإفادة بعضها خواص بعض ليتوصل إلى اتخاذ الذهب والفضة من غيرها من الأجسام .

(1) ابن سينا ، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات ، المصدر السابق ، ص 75 .



القسم الثاني : هو العلم الرياضي وفروعه هي :

علوم العدد والهندسة والهيئة ( الفلك ) والموسيقى وهي العلوم الرئيسية ، ويتفرع عنها في العدد : علم الجمع والتفريق وعلم الجبر والمقابلة ، ومن فروع الهندسة : علم المساحة ، وعلم الحيل المتحركة ، وعلم جر الأثقال ، وعلم الأوزان والموازين وعلم الآلات الجزئية ، وعلم المناظر والمرايا ، وعلم نقل المياه . ومن فروع علم الهيئة : عمل الزيجات والتقويم ، ومن فروع علم الموسيقى اتخاذ الآلات العجيبة الغريبة .

القسم الثالث : هو العلم الإلهي ، وأقسامه خمسة هي :<sup>(1)</sup>

الأول : النظر في معرفة المعاني العامة لجميع الموجودات ؛ من الهوية والوحدة والكثرة والوفاق والخلاف والتضاد والقوة والفعل والعلة والمعلول .

الثاني : النظر في الأصول والمبادئ ، مثل علم الطبيعيين والرياضيين وعلم المنطق .

الثالث : النظر في إثبات الحق الأول وتوحيده ، والدلالة على تفرده وربوبيته ، وامتناع مشاركة موجود له .

الرابع : هو النظر في الجواهر الأولى الروحانية التي هي مبدعاته ، وأقرب مخلوقاته منزلة عنده ، والدلالة على كثرتها واختلاف مراتبها وطبقاتها .

الخامس : في تسخير الجواهر الجسمانية السماوية والأرضية لتلك الجواهر الروحانية .

## 2) علوم الحكمة العملية

تناولها "ابن سينا" بعد حديثه عن الحكمة النظرية ، قبل تفصيل الحديث في الأقسام الأصلية والفرعية للعلوم الطبيعية والرياضية والإلهية .

وعلوم الحكمة العملية على ثلاثة أنواع :<sup>(2)</sup>

أ) الأخلاق : يعرف بها الإنسان كيف ينبغي أن تكون أخلاقه وأفعاله ، حتى تكون حياته الأولى والأخرى سعيدة ، ويشتمل عليه كتاب أرسطو في الأخلاق .

ب) تدبير المنزل : ويعرف فيه الإنسان كيف ينبغي أن يكون تدبيره لمنزله المشترك بينه وبين زوجته وولده ومملوكه ، حتى يكون حاله منتظمة ، مؤدية إلى التمكين من كسب السعادة ويشتمله كتاب أرونس .

<sup>(1)</sup> ابن سينا ، المصدر السابق ، ص 78 .

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه ، ص ص 73 - 74 .

ج) السياسة أو المدنية ويعرف بها أصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والودية ، وكل ما يتعلق بالملك ، فيشمل عليه كتاب "أفلاطون" ، و"أرسطو" في السياسة ، وما كان من ذلك يتعلق بالنبوة والشريعة فيشمل كتابان هما ( السياسة ) و (النواميس) .

المنطق :

يورد "ابن سينا" علم المنطق باعتباره العلم الذي يسع الحكمتين النظرية والعملية ، فهو آلة موصلة إلى كسبهما .

يقول "ابن سينا" : « وإذا قد أتى وصفنا على الأقسام الأصلية والفرعية للحكمة ؛ فقد آن لنا أن نعرف أقسام العمل الذي هو آلة للإنسان ، موصلة إلى كسب الحكمة النظرية والعملية ، واقية عن السهو والغلط في البحث والرواية ، مرشدة إلى الطريق الذي يجب أن يسلك في كل بحث»<sup>(1)</sup> .

ثم يأتي "ابن سينا" إلى أقسام المنطق<sup>(2)</sup> :

الأول : يبحث في الألفاظ والمعاني وهل كلية أو جزئية ، أي المدخل إلى صناعة المنطق أو ما ورد بكتاب فروريوس المسمى ايساغوجي .

الثاني : يبحث في المقولات العشر كما وردت في كتاب "أرسطو" قاطيغورياس أو المقولات ، وهي الجوهر والكم والإضافة والكيف والأين والمتى والوضع والملك والفعل والانفعال .

الثالث : وهو العبارة ؛ يبحث في تأليف المعاني البسيطة تأليفا موجبا أو سالبا ، يكون قضية أو ينتج عنه حكم صادق أو كاذب ، وهو ما جاء بكتاب (باري أرمينياس) لأرسطو .

الرابع : هو التحليل بالقياس أو أنوليطيقا ، وهو الذي يبحث في تأليف القضايا بحيث نصل إلى معرفة جديدة عن طريق القياس .

الخامس : هو البرهان أو أنولوطيقا الثانية كما يسميه "أرسطو" ، وهو الذي يبحث في الشروط الضرورية لكي تؤلف المقدمات قياسا ذا نتيجة منطقية .

السادس : يحدد القياسات النافعة للذين لا يستطيعون فهم البراهين ومعرفتها ، أو الجدل الذي يسميه "أرسطو" ديالقطيقا .

(1) ابن سينا ، منطق المشركين ، مصدر سابق ، ص 07

(2) المصدر نفسه ، ص 08 .

السابع : يبحث في نقائص البراهين وفي المجاز ، وفي جميع أخطاء القياسات أو ما يسميه "أرسطو" بالسوفسطيقا .

الثامن : يحدد قياسات الخطاب وكل ما يحتاج إليه الخطيب من وسائل الإقناع، وهو موضوع كتاب ريوطوريقا .

التاسع : يدرس الأشعار ومواطن الضعف فيها وهذا ما يدرسه "أرسطو" في كتاب بيوطيقا<sup>(1)</sup>.

وعلى ذكر المنطق يأتي "ابن سينا" على ختام تصنيفه للعلوم .

(1) ابن سينا ، المصدر السابق ، ص 81 .

#### 1-4- تصنيف العلوم عند إخوان الصفا

كان "إخوان الصفا" (الذين تكونت جمعيتهم في القرن الرابع الهجري والعاشر ميلادي) يدعون أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة الإسلامية فقد حصل الكمال<sup>(1)</sup>، وكانوا يعتقدون أن العلم هو طريق تهذيب النفس؛ لذلك كتبوا رسائلهم في شتى أنواع المعارف . وقد جاء تصنيف "إخوان الصفا" في رسائلهم التي ألفوها ، والرسالة الخاصة للتصنيف هي الرسالة السابعة في الصنائع العلمية ( فصل في أجناس العلوم ) .<sup>(2)</sup>

وقد قسم "إخوان الصفا" العلوم إلى أربعة أقسام هي : العلوم الرياضية ، والعلوم الشرعية ، والعلوم الطبيعية ، والعلوم الفلسفية الحقيقية ، وذلك تبعاً لتقسيم رسائلهم الواحدة والخمسين فقسموها إلى أربعة أقسام:<sup>(3)</sup> الرسائل الرياضية أو علوم التعاليم ، وهي أربع عشرة رسالة . والرسائل الجسمانية الطبيعية ، وهي سبع عشرة رسالة . والرسائل النفسانية العقلية ، وهي عشرة رسائل . والرسائل الناموسية الإلهية والشرعية والدينية ، وهي إحدى عشر رسالة . فالعلوم الرياضية عندهم هي أول العلوم ، والمقصود بها علوم المعاملات والمعاش ، والرياضة عند "إخوان الصفا" تعني السعي والمجاهدة ، وهو معنى يقترب من المعنى الصوفي للرياضة ، لكن في مجال الحياة والعمل وليس مجال الدين العبادة.<sup>(4)</sup>

فالعلوم الرياضية تشتمل على علوم العدد والهندسة وعلم النجوم والموسيقى ، إضافة إلى الجغرافيا والمنطق.<sup>(5)</sup>

والطبيعيات : تبحث في كل الموجودات من جماد وحيوان ونبات ، وقد رتبوا هذه الكائنات إلى مراتب ، أدناها الجماد ثم النبات ثم الحيوان فالإنسان فالأفلاك ، وإن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النباتات ، وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان ، كما أن أول المرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء.<sup>(6)</sup>

(1) خالد الحديدي ، مرجع سابق ، ص 65 . (\*) وقد قصدوا بذلك مداواة الضلالات المنتشرة وتطهيرها بالفلسفة .

(2) إخوان الصفا وخلان الوفا ، الرسائل ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت 1957 ، مج 1 ، ص 266 .

(3) المصدر نفسه ، ص 267 .

(4) أحمد عبد الحليم عطية ، تصنيف العلوم عند العرب ، مرجع سابق ، ص 110 .

(5) إخوان الصفا وخلان الوفا ، المصدر السابق ، ص 267 .

(6) المصدر نفسه ، ص 271 .

ثم العقليات وهي تبحث في الشؤون الخلقية ، والمدرجات العقلية ، ونواميس الكون ومنشأ الأخلاق .<sup>(1)</sup>

ثم الغيبات وتبحث الأمور الغيبية ، وتحقق في هذا الباب فلسفة إخوان الصفا.<sup>(2)</sup> وقد كان إخوان الصفا في رسائلهم يتمثلون بمقالات عديدة وبراهين هندسية ؛ كما كان يفعل الفيثاغوريون في النظر إلى علوم الموجودات وكيفية نشوئها .

فقد اعتبروا بعلم العدد وقالوا عنه : « إنه جذر العلوم وعنصر الحكمة ومبدأ المعارف وأسطقس المعاني والأكسير الأول ، والكيمياء الأكبر ».<sup>(3)</sup>

وكان "إخوان الصفا" يتدرجون من علم العدد إلى علم الطبيعيات إلى العلوم العقلية إلى العلوم الإلهية ؛ مستعينين بالفيثاغورية حيناً وبالأفلاطونية حيناً آخر .

وقد ابتدأ "إخوان الصفا" مشروعهم في تصنيف العلوم بعنوان : « وإذ قد فرغنا من ذكر ماهية العلوم وأنواع السؤالات ، وما يقتضي كل واحد من الأجوبة ، فنريد أن نذكر أجناس العلوم ، وأنواع تلك الأجناس ، ليكون دليلاً لطالبي العلم إلى أغراضهم ، وليهتدوا إلى مطلوباتهم ، لأن رغبة النفوس في العلوم المختلفة وفنون الآداب كشهوات الأجسام للأطعمة المختلفة الطعم واللون والرائحة ... ».<sup>(4)</sup>

ثم أضافوا : « واعلم يا أخي بأن العلوم التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس ، فمنها الرياضة ومنها الشرعية ، ومنها الفلسفية الحقيقية ».<sup>(5)</sup>

وبهذا فـ "إخوان الصفا" قسموا العلوم حسب أجناسها إلى ثلاثة أقسام<sup>(6)</sup> :

1- العلوم الرياضية

2- العلوم الشرعية

3- العلوم الفلسفية

(1) إخوان الصفا وخلان الوفا ، المصدر السابق ، ص 268 ، .

(2) المصدر نفسه ص 269

(3) المصدر نفسه ، ص 268 .

(4) نفسه ، ص 266 .

(5) نفس المصدر ، ونفس الموضوع .

فالرياضية : هي علم الآداب ( الأخلاق ) التي وضع أكثرها لطلب المعاش ، وصلاح أمر الحياة الدنيا ، وهي تسعة أقسام : (1) العلوم -

أولها علم الكتابة ، والقراءة ، ومنها علم اللغة والنحو ، ومنها علم الحساب والمعاملات ، ومنها علم الشعر والعروض ، ومنها علم الرجز والفأل وما يشاكله ، ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما شاكلها ، ومنها علم الحرف والصنائع ، ومنها علم البيع والشراء والتجارات والحرف والنسل ، ومنها علم السير والأخبار .

وأما العلوم الشرعية فوضعت لطب النفوس وطلب الآخرة وهي ستة أنواع: (2)

أولها علم التتزيل ، وثانيها علم التأويل ، والثالث علم الروايات والأخبار ، والرابع علم الفقه ، والسنن والأحكام ، والخامس علم التذكار والمواعظ والزهد ، والتصوف ، والسادس علم تأويل المنامات ، فعلماء التتزيل هم القراء والحفظة ، وعلماء الروايات هم أصحاب الحديث ، وعلماء الأحكام والسنن هم الفقهاء ، وعلماء التذكار والمواعظ هم العباد والزهاد والرهبان وما شاكلهم، وعلماء تأويل المنامات هم المعبرون .

وأما العلوم الفلسفية فهي أربعة أنواع : الرياضيات والمنطقيات والطبيعات والإلهيات فالرياضيات أربعة أنواع هي : (3)

- 1) الارثماتيقي : وهو معرفة ماهية العدد وكمية الأنواع ، وخواص تلك الأنواع ، وما يعرض فيها من المعاني إذا أضيف بعضها إلى بعض ، وكيفية نشوئها من الواحد الذي هو قبل الاثنين .
- 2) الجومطريا ، أو هو الهندسة ، وهي معرفة ماهية المقادير ذوات الأبعاد ، وكمية أنواعها وخواص تلك الأنواع ، وما يعرض فيها من المعاني إذا أضيف بعضها إلى البعض .
- 3) الأسطرونوميا : وهي النجوم ، وهي معرفة كمية الأفلاك والكواكب والبروج ، وكمية أبعادها ، ومقادير أجرامها ، وكيفية تركيبها وسرعة حركتها ، وكيفية دوراتها ، وماهية طبائعها ، وكيفية دلائلها على الكائنات قبل كونها .

(1) إخوان الصفا وخلان الوفا ، المصدر السابق ، ص 267 .

(2) المصدر نفسه ، ص 268 .

(3) المصدر نفسه ، ص 268 ، 269 .

4) الموسيقى : الذي هو علم التأليف ، وهو معرفة النسب ، وكيفية تأليف الأشياء المختلفة الجواهر ، المتباينة الصور المتضادة القوى المتنافرة الطباع .

والنوع الثاني من العلوم الفلسفية هي المنطقيات ، وعلوم المنطقيات خمسة أنواع:<sup>(1)</sup> أولها أنولوطيقا : وهي معرفة صناعة الشعر .

والثاني : ريطوريقا : وهي معرفة صناعة الخطب .

والثالث : طوييقا : وهي معرفة صناعة الجدل .

والرابع : بولييطيقا : وهي معرفة صناعة البرهان .

والخامس : سوفسطيقا : وهي معرفة صناعة المغالطين في المناظرة والجدل .

وأما العلوم الطبيعية : فهي سبعة أنواع:<sup>(2)</sup>

أولها : علم المبادئ الجسمانية ؛ وهي معرفة خمسة أشياء : الهيولي والصورة والزمان والمكان والحركة ، وما يعرض فيها من المعاني إذا أضيف بعضها إلى بعض .

والثاني : علم السماء والعالم ؛ وهو معرفة جواهر الأفلاك والكواكب وكميتها ، وكيفية تركيبها وعلّة دوراتها ، وهل تقبل الكون والفساد... الخ

والثالث : علم الكون والفساد ؛ وهو معرفة ماهية جواهر الأركان الأربعة ؛ التي هي النار والهواء والماء والأرض ...

والرابع : علم حوادث الجو ؛ وهو معرفة كيفية تغييرات الهواء بتأثيرات الكواكب .

والخامس : علم المعادن ؛ وهو معرفة الجواهر المعدنية من العقاقير والجواهر .

والسادس : علم النبات ؛ وهو معرفة كل نبت يغرس أو يبذر أو ينبت .

والسابع : علم الحيوان ؛ وهو معرفة كل جسم يعتدي ، وينمو ويحس ويتحرك ، مما يمشي على وجد الأرض ، أو يطير في الهواء ، أو يسبح في الماء ، أو يدب في التراب ، أو يتحرك في جوف جسم آخر كالديدان .

وكذلك علم الطب والبيطرة وسياسة الدواب والسباع والطيور والحراث والنسل وعلم الصنائع أجمع داخل في الطبيعيات.<sup>(3)</sup>

(1) إخوان الصفا ، المصدر السابق ، ص 270 .

(2) المصدر نفسه ، ص ص 270 ، 271 .

(3) المصدر نفسه ، ص 271 .

أما العلوم الإلهية فيجعلونها نوعا من العلوم الفلسفية ، ويفردون لها فصلا خاصا هو ( في العلوم الإلهية ) فيقولون :

« والعلوم الإلهية خمسة أنواع : أولها معرفة الباري جل جلاله ، وصفته ووحدانته وكيف هو علة الموجودات ، وخالق المخلوقات ، معطي الوجود وعالم الغيب والشهادة .

والثاني علم الروحانيات ؛ وهو معرفة الجواهر البسيطة العقلية ، العلامة الفعالة التي هي ملائكة الله وخالص عباده ، وهي الصور المجردة من الهولي المستعملة للأجسام المدبرة بها .

والثالث علم النفسانيات ؛ وهي معرفة النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض»<sup>(1)</sup>.

والرابع هو علم السياسة ، وقد جعله "إخوان الصفا" من أنواع العلوم الإلهية ، واهتموا بها اهتماما خاصا ، فقسموه إلى خمسة أنواع:<sup>(2)</sup>

أولها : السياسة النبوية ؛ وهي معرفة كيفية وضع النواميس المرضية والسنن الزكية ، ومداواة النفوس المريضة ... وتنبه الأنفس اللاهية ...

وهذه السياسة يختص بها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم .

وأما السياسة الملوكية ؛ فهي معرفة حفظ الشريعة على الأمة ، وإحياء السنة في الملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإقامة الحدود وإنفاذ الأحكام ، وهذه السياسة يختص بها خلفاء الأنبياء ... والأئمة المهديون .<sup>(3)</sup>

وأما السياسة العامة ؛ التي هي الرياسة على الجامعات ، كرياسة الأمراء على البلدان والمدن ورياسة الدهاقين على أهل القرى ، ورياسة قادة الجيوش على العساكر وما شاكلها ؛ فهي معرفة طبقات الرؤوسين وحالاتهم وأنسابهم وصنائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم ومراتبهم .<sup>(4)</sup>

وأما السياسة الخاصة ؛ فهي معرفة كل إنسان كيفية تدبير منزله وأمر معيشته ، ومراعاة خدمة أولاده وأقربائه وعشيرته ، وقضاء حقوقهم .<sup>(5)</sup>

(1) إخوان الصفا ، المصدر السابق ، ص ص 272 ، 273

(2) (3) المصدر نفسه ص 274 .

(4) (5) المصدر نفسه ، ص ص 273 ، 274 .



وأما السياسة الذاتية ؛ فهي معرفة كل إنسان نفسه وأخلاقه ، وتفقد أفعاله وأقوابله في حال شهواته وغضبه ورضاه ، والنظر في جميع أموره .<sup>(1)</sup>

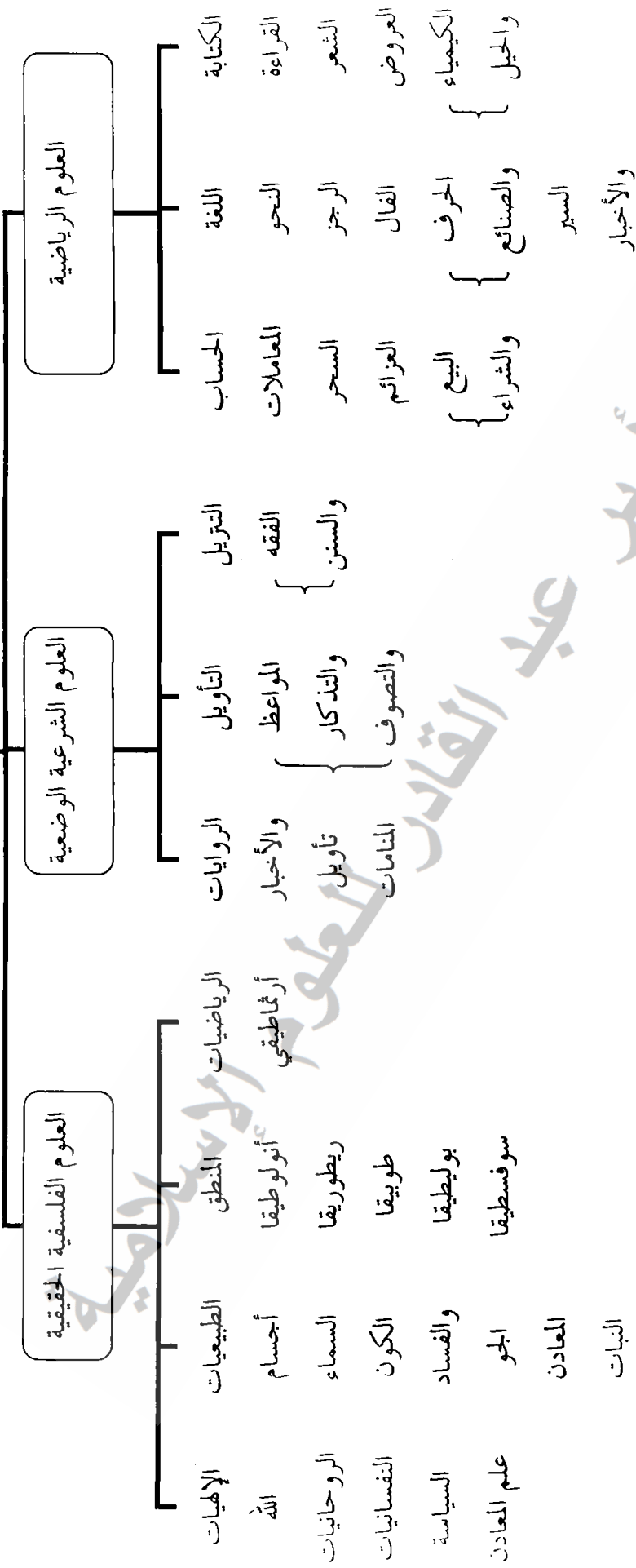
أما العلم الخامس في تقسيم "إخوان الصفا" هو علم المعاد ؛ وهو معرفة ماهية النشأة الأخرى ، وكيفية انبعاث الأرواح من ظلمة الأجساد ، وانتباه النفوس من طول الرقاد وحشرها يوم المعاد.<sup>(2)</sup>

وهكذا يختتم "إخوان الصفا وخلان الوفا" تصنيفهم للعلوم .

(1) إخوان الصفا وخلان الوفا ، المصدر السابق ، ص 274 .

(2) المصدر نفسه ، ص 275 .

# المعرفة



تقسيم إخوان الصفا للمعرفة

## 1-5- أساس التصنيف في المدرسة الفلسفية التقليدية :

نقصد بأساس التصنيف البحث فيما وراء محاولات تصنيف العلوم التي قدمها المفكرون والفلاسفة ، وذلك بالبحث في أعماق الأسس الفلسفية لتصنيف العلوم ، ومدى أصالة التركيب الموضوعي لأجزاء وتفاصيل العملية الظاهرة ، أي المادة العلمية التي يُبنى عليها التصنيف . وقد كانت هذه الأسس أو المنطلقات ذات نظرة فلسفية معرفية قيمة ؛ تتعلق أساسا بالمعرفة ومدى ارتباطها بالقيمة الخلقية ، أو ذات طابع وجودي شامل .

ومن خلال النظرة البسيطة في داخل التصنيفات المعرفية ، تبين لنا نفس الاتجاهات الفلسفية التي بُجدها داخل نظرية المعرفة عند كل مصنف أو وجهة فكرية متأسسة على رؤية فلسفية مشتركة . ونبدأ في عرضنا لأساسات التصنيف عند كل وجهة فكرية ؛ بالوجهة العقلية الفلسفية السابقة العرض من خلال تصنيف العلوم عند كل من الكندي والفارابي وابن سينا ، وكذا إخوان الصفا ، فقد قسموا العلوم بحسب ملكات وقدرات العقل ابتداء فيما يعرف بتصنيف المدرسة الفلسفية التقليدية .

فـ"الكندي" (صاحب أول تصنيف للعلوم عند المسلمين ، والذي جاء تصنيفه عمليا جاء أثناء ترتيبه لكتب "أرسطو" ) فكان تقسيمه للعلوم ابتكارا إسلاميا صرفا ، وكانت دوافعه هي ما جاءت به الحضارة الإسلامية من علوم دينية كنتيجة من نتائج النهضة الفكرية التي أوجدها القرآن الكريم في الأمة الإسلامية.<sup>(1)</sup>

وبرغم أن "الكندي" قد تأثر بالفلسفة المشائية كغيره من الفلاسفة الذين جاءوا بعده ، فقد أبان عن عقلية إسلامية ؛ خامرت تلك الفلسفة وأحدثت تفاعلا أنتج مركبا جديدا وفكرا جديدا . والملاحظ في تصنيف "الكندي" للعلوم ؛ أنه قد تجاوز التصنيف الأرسطي في عدة أمور منها :

- أنه قدم الرياضيات على المنطق ، وبين أهميتها ، وجعل لها السبق في التعليم على العلم الطبيعي .
- وأضاف إلى تصنيف "أرسطو" للعلوم ، العلوم الإسلامية المستندة على الوحي .

وبذلك استحق "الكندي" أن يكون بمثابة المرشد في تصنيف العلوم بالنسبة لمن جاء بعده من مصنفي العلم .

(1) محمد حسن كاظم الخفاجي ، مقدمة في التراث الحضاري لتصنيف العلوم ، مجلة المورد العراقية ، المجلد السادس ، العدد الرابع

وحيثما تحدث "الكندي" عن كيفية الاستفادة من العلم وثمرته<sup>(١)</sup> حين عكف على كتب الأخلاق عند أرسطو ، نلمس أن الكندي يتناول العلوم بفهم غاياتها وأغراضها ، فهو يتناول الغاية من كل علم بعد ذكره العلوم المتناولة .

يقول "الكندي": « فإذا قدمنا ما قدمنا من البحث على كتب "أرسطو" طاليس لما في ذلك من العون على فهمها ، فإن العلم بالغاية التي يقصد إليها يجمع قوته في السلوك إليها وفكره ، فلا يثبط عزمه في السلوك »<sup>(١)</sup>.

فـ"الكندي" هنا يربط العلم بالسلوك ، والمعرفة بالعمل ، فغايات المعرفة هي غايات عملية تتعلق أساسا بالأخلاق التي يجب أن تتمظهر في سلوك العالم والمتعلم .

والملاحظ على تصنيف "الكندي" ؛ أنه لم يدرج لا علم الطب ولا علم الكيمياء في محاولته تصنيف المعرفة البشرية ، وإن كان تصنيفه هذا جاء في معرض مدارسته كتب "أرسطو طاليس" . وإذا ما انتقلنا إلى تصنيف العلوم عند "الفارابي" ، فإننا سوف نقف بلا شك على عالم متخصص في ميدان تصنيف العلوم ، كيف لا وهو الذي أفرد لهذا العلم كتابه المشهور "إحصاء العلوم" الذي قال في مقدمته :

« قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علما ، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، وأجزاء كل ماله منها أجزاء وجمل ما في كل واحد من أجزائه »<sup>(2)</sup> .

وقد وفي "الفارابي" بوعده الذي سجله في مقدمة كتابه حيث ظهرت براعته في عملة التصنيفي . وقد وضع قاعدة تحديد مدلولات الألفاظ ، ولم يكتب بها بل فصل فيها ؛ وذلك بضرب الأمثلة التي تحدد كل نوع أو جنس .

وقد اختلف "الفارابي" في تصنيفه للعلوم عن تصنيف "أرسطو" ، وذلك بإفراد قسم خاص بالعلوم النقلية (الشرعية) المتعلقة بالدين واللغة العربية وآدابها .

وقد قام أساس التصنيف عند "الفارابي" على نظريته في السعادة وكما ألف هو في كتبه الأخرى كتاب (تحصيل السعادة) وكتاب (التنبيه على سبيل السعادة) .

(١) أنظر : تصنيف العلوم عند الكندي

(١) الكندي ، الرسائل ، مصدر سابق ، ص : 378

(2) الفارابي ، إحصاء العلوم ، مصدر سابق ، ص

فقد قسم "الفارابي" العلوم إلى : نظرية وعملية على أساس إذا كان العلم مطلوباً لذاته ، أو إذا كان مطلوباً لغاية ما ، فالعلم العملي عند "الفارابي" هو العلم الذي نقصد من ورائه تحقيق منفعة شخصية ذاتية ، أو كما عبر عنه الفيلسوف إيمانويل كانط: "اعمل كما لو كان عملاً قانوناً عاماً للطبيعة"<sup>(1)</sup> فالعلم العملي غايته معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل والقوة على فعل الجميل منها.<sup>(2)</sup> والعلم النظري غايته استكمال النفس بمعرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها ، لتمرن النفس على الفضائل وتجنب الرذائل.<sup>(3)</sup>

وهذا الطرح الفلسفي لـ "الفارابي" طرحه "أرسطو" قبله ، لكن "الفارابي" أدخل العلوم النظرية ، واعتبر أيضاً المنطق علماً آلياً قائماً بذاته، وهو مدخل كل العلوم، وجعله ضمن تصنيفه للعلوم بخلاف "أرسطو" الذي تجاوزه .

وقد تحقق في تصنيف "الفارابي" للعلوم ذلك البعد الاجتماعي والحضاري الذي أراده أن يتمثل في تحصيل السعادة في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

يقول "الفارابي": «الأشياء الإنسانية التي إذا حصلت في الأمم وفي أهل المدن؛ حصلت لهم بها السعادة الدنيا في الحياة الأولى ، والسعادة القصوى في الحياة الدنيا الأخرى أربعة أجناس : الفضائل النظرية ، والفضائل الفكرية ، والفضائل الخلقية والصناعات العملية»<sup>(4)</sup> . ويعني بالفضائل النظرية تلك العلوم التي هدفها حصول الموجودات في العقل .

ثم ينظر في العقل حيث يعتبره إحدى قوى النفس وأرقاها ، ومن العقل يخلص إلى " أن يطلع من ذلك على مبادئ أخر ليست بأجسام ولا في أجسام ولا كانت ولا تكون في أجسام"<sup>(5)</sup> فالعقل بحاجة إلى مبادئ يبلغ بها ذلك الكمال الأسمى من مبادئ الطبيعية ، وهذه المبادئ المفارقة هي موضوع العلم الإلهي .

(1) إيمانويل كانط ، تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ، تر : عبد الرحمان بدوي ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1980 ، ص 61 .

(2) الفارابي ، التنبيه على سبيل السعادة ، مصدر سابق ، ص 76 .

(3) الفارابي ، إحصاء العلوم ، مصدر سابق ، ص 64 .

(4) أبو نصر الفارابي ، تحصيل السعادة ، تح ، جعفر آل ياسين ، ط1 ، دار الأندلس للطباعة والنشر 1401هـ - 1981 ، ص 49 .

(5) المصدر نفسه ، ص 60 .

وبذلك نخلص إلى أن "الفارابي" أراد من وراء تصنيفه بناء نموذج حضاري قائم على الحكمة الإلهية ومتقوم بالسعادة في الحياة الدنيا والآخرة .

وهذا ما نستشفه من المشروع الفلسفي عنده الذي كان يهدف أساسا إلى تقريب الإنسان من الله وإلى تقريب مدينته أو المجتمع الذي يريده من ملكوت الله.<sup>(1)</sup>

أما تصنيف "ابن سينا": فقد ظهر التأثير المشائي في تصنيفه جليا ، وكذا ظهرت ثقافته الموسوعية التي تعددت بين الفلسفة والتصوف والجدل والعلوم من طب وطبيعات .

وكما عند "الفارابي" فقد جمع العلوم النظرية المجردة إلى جانب العلوم العملية (كما عند أرسطو) وأضاف العلوم الشرعية إلى القسم العملي .

فكما يفهم من تعريفه للحكمة: "صناعة نظر يستفيد منها الإنسان ؛ لتحصيل فاعلية الوجود كله في نفسه ، وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعلة لتشرف بذلك نفسه ، وتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود — وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة"<sup>(2)</sup>. فهو يرى أن كمال النفس لا يتم بطلب ما هو معقول فحسب ، بل إن الاستعداد للآخرة —لعالم المعاد— هو أمر مهم لسعادة الإنسان ، بل حصوله على السعادة القصوى في الآخرة . وهذا لم يتضمنه قسم العلوم العملية عند "أرسطو" التي تشمل الأخلاق السياسة وتدبير المنزل .

كذلك في القسم النظري ؛ نجد أن "ابن سينا" قد وضع علم التوحيد ضمن دائرة العلوم النظرية ، وكأنه علم فلسفي ، ضمن تأثره بمباحث علم الكلام ، ولم يدرج العلوم الإسلامية ضمن تصنيفه للعلوم .

أما عن تصنيف "إخوان الصفا" للعلوم والمعارف ، فقد رأوا أن العلوم تمثل مطلبنا إنسانيا وحاجة عقلية؛ ذات قيمة يهدف إليها ويطلبها طالبوا العلم ، فهم يدكرون أجناس العلوم لتكون دليلا لطالبي العلم إلى أغراضهم ، وليهتدوا بها إلى مطلوباتهم .

ولا يخفى أساس التصنيف الذي جاء به "إخوان الصفا"، فهو تصنيف يركز على قيمة العلوم وفعاليتها في حياة الإنسان .

(1) عبد السلام بنعبد العالي ، الفلسفة السياسية عند الفارابي ، ط 1 ، دار الطليعة بيروت 1979 ص 91 .

(2) ابن سينا ، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات والإلهيات ، مصدر سابق ، ص 71 .

وواضح تماما في تقسيم "إخوان الصفا" التأثير الفيثاغوري ؛ وذلك في تقديم الرياضيات على غيرها من العلوم ، بل وضع الحساب قبل الهندسة.<sup>(1)</sup>

والجديد في تصنيف "إخوان الصفا" هو اعتبارهم علم السياسة ضمن العلوم الإلهية ، وتقسيمهم له إلى خمسة أنواع : سياسة نبوية ، وسياسة ملوكية ، وسياسة خاصة ، وسياسة ذاتية ، والسبب في ذلك يعود إلى رغبتهم في إصلاح الشرائع عن طريق الفلسفة.<sup>(2)</sup>

ومن خلال تقسيمهم الثلاثي للعلوم : الرياضية ثم الشرعية الوضعية ثم الفلسفية الحقيقية ، يظهر المراد به المقابلة بين العلوم العقلية والنقلية ؛ على أساس أن الفلسفة علم عقلي يعتمد على النظر وفق العقل ، أما العلوم الشرعية الوضعية فهي علوم نقلية .

وخلاصة القول أن هذه التصنيفات المعروضة قد ركزت على العلوم العقلية الفلسفية ، فكانت أغلب العلوم المثبوثة في أجزاء المعرفة ذات جذور وأسس فلسفية وهي أسس تتعلق بنظرية المعرفة ... المبنية على القوى الإدراكية للإنسان .

تلك التصنيفات التي رتبت فيها العلوم والمعارف البشرية حسب الملكات المختلفة للعقل من نظر وعمل و مخيلة ، نجدها في أغلبها متأثرة بالثقافة الفلسفية اليونانية ، مع اختلاف فيما بينها في درجة ذلك التأثير ، إذ اجتمعت تلك التصنيفات على الفصل بين العلوم النظرية والعلوم العملية ، وجعل النظرية تدور حول الإلهيات والرياضيات والطبيعيات ، والعملية تدور حول الاخلاق والسياسة المدنية والمترلية ، وإهمال العديد من العلوم الإسلامية .

لكن تلك التصنيفات قد اجتمعت على أساس واحد ، ألا وهو خدمة الحقيقة الدينية ، والتوجيه الحضاري لاستخلاص السعادة البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة .  
والذي يحسب على هذه الوجهة الفكرية هي قيامها بدور إدخال الفكر التصنيفي في دائرة الثقافة الإسلامية كمنهج لتنظيم المعرفة في نسق منطقي ، هذا الفكر الذي توسع فيما بعد بتوسع واكتمال العلوم الإسلامية ، ذلك الفكر التصنيفي الذي ظهر عند المدرسة الدينية التأصيلية .

(1) جلال محمد موسى ، منهج البحث العلمي عند العرب ، مرجع سابق ، ص 72 .

(2) المرجع نفسه ، ص 74 .

وواضح تماما في تقسيم "إخوان الصفا" التأثير الفيثاغوري ؛ وذلك في تقديم الرياضيات على غيرها من العلوم ، بل وضع الحساب قبل الهندسة.<sup>(1)</sup>

والجديد في تصنيف "إخوان الصفا" هو اعتبارهم علم السياسة ضمن العلوم الإلهية ، وتقسيمهم له إلى خمسة أنواع : سياسة نبوية ، وسياسة ملوكية ، وسياسة خاصة ، وسياسة ذاتية ، والسبب في ذلك يعود إلى رغبتهم في إصلاح الشرائع عن طريق الفلسفة.<sup>(2)</sup>

ومن خلال تقسيمهم الثلاثي للعلوم : الرياضية ثم الشرعية الوضعية ثم الفلسفية الحقيقية ، يظهر المراد به المقابلة بين العلوم العقلية والنقلية ؛ على أساس أن الفلسفة علم عقلي يعتمد على النظر وفق العقل ، أما العلوم الشرعية الوضعية فهي علوم نقلية .

وخلاصة القول أن هذه التصنيفات المعروضة قد ركزت على العلوم العقلية الفلسفية ، فكانت أغلب العلوم المثبوثة في أجزاء المعرفة ذات جذور وأسس فلسفية وهي أسس تتعلق بنظرية المعرفة ... المبنية على القوى الإدراكية للإنسان .

تلك التصنيفات التي رتبت فيها العلوم والمعارف البشرية حسب الملكات المختلفة للعقل من نظر وعمل و مخيلة ، نجدها في أغلبها متأثرة بالثقافة الفلسفية اليونانية ، مع اختلاف فيما بينها في درجة ذلك التأثير ، إذ اجتمعت تلك التصنيفات على الفصل بين العلوم النظرية والعلوم العملية ، وجعل النظرية تدور حول الإلهيات والرياضيات والطبيعات ، والعملية تدور حول الاخلاق والسياسة المدنية والمترلية ، وإهمال العديد من العلوم الإسلامية .

لكن تلك التصنيفات قد اجتمعت على أساس واحد ، ألا وهو خدمة الحقيقة الدينية ، والتوجيه الحضاري لاستخلاص السعادة البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة .  
والذي يحسب على هذه الوجهة الفكرية هي قيامها بدور إدخال الفكر التصنيفي في دائرة الثقافة الإسلامية كمنهج لتنظيم المعرفة في نسق منطقي ، هذا الفكر الذي توسع فيما بعد بتوسع واكتمال العلوم الإسلامية ، ذلك الفكر التصنيفي الذي ظهر عند المدرسة الدينية التأصيلية .

(1) جلال محمد موسى ، منهج البحث العلمي عند العرب ، مرجع سابق ، ص 72 .

(2) المرجع نفسه ، ص 74 .



## المبحث الثاني : تصنيف العلوم عند المدرسة الدينية التأصلية

- تمهيد.

2-1- تصنيف العلوم عند أبي حامد الغزالي .

2-2- تصنيف العلوم عند أبي حيان التوحيدي .

2-3- تصنيف العلوم عند ابن الأكفاني .

2-4- أساس التصنيف في المدرسة الدينية التأصلية .

تمهيد :

لقد كان من بين أسباب الثورة على المناهج الفلسفية القديمة السائدة في البيئة الفكرية الإسلامية ؛ هو إهمال التوحيد الإسلامي ، والاهتمام بالعلوم التجريدية المنفصلة عن هدايات السماء ، وقد ظهر من بين ظهرائي المفكرين المسلمين بعض من يدعو إلى الإصلاح الفكري ، والتوجيه الصحيح للإهتمام العلمي ؛ الذي ظهر فساده بسبب القطيعة بين العلوم الشرعية الإسلامية<sup>١٦٥</sup> الكونية البحتة .

وقد كان هذا التوجه الفكري ؛ الذي يدعو إلى الإصلاح متأخرا في الزمن بالنسبة إلى من سبقه ممن اهتموا بعلوم العقل ، ونقصد النزعة العقلية الفلسفية ، في مقابل المدرسة الدينية التأصيلية التي ظهرت بواكيرها ابتداء من القرن الرابع الهجري .

وقد كانت هذه الوجهة الفكرية - في تناولها لتصنيف العلوم - أشمل وأنضج من سابقتها ، إذ غلب عليها طابع التأصيل الديني بصفة مباشرة ، وأبانت عن اهتمام لافت بالعلوم الدينية الإسلامية في صورة الجمع بينها وبين الإنسانية ، وتوجيهها توجيهها إلهيا خدمة للحقيقة الدينية .

وقد اخترنا لهذه الوجهة الدينية التأصيلية في تصنيف العلوم عند كل من "أبي حامد الغزالي" ، و"أبي حيان التوحيدي" ، و"ابن الأکفاني الأنصاري" .

## 2-1 تصنيف العلوم عند أبي حامد الغزالي

اخترنا لأبي حامد الغزالي (ت 505 هـ) تصنيفه للعلوم في كتبه التالية :

"الرسالة اللدنية" ، "إحياء علوم الدين" ، "المنقذ من الضلال" ، "وفاحة العلوم" .

تصنيف العلوم في الرسالة اللدنية :

يفرد أبو حامد في كتابه "الرسالة اللدنية" فصلا كاملا في أصناف العلوم ، فالعلوم عنده قسمان :<sup>(1)</sup>  
قسم شرعي وقسم عقلي .

يقول "الغزالي" : « اعلم أن العلم على قسمين أحدهما شرعي والآخر عقلي " وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عارفها . فالقسم الأول وهو العلم الشرعي ، وهذا العلم بدوره الذي هو أصل الأصول» .<sup>(2)</sup>

يقول "الغزالي" في علم اللغة : « إن علم اللغة سبيل إلى علم التفسير وعلم الأخبار وعلم القرآن ، والأخبار دليل على علم التوحيد ، وعلم التوحيد هو العلم الذي لا تنجو نفوس العباد إلا به ، ولا يتخلص من خوف المعاد إلا به فهذا التفضيل علم الأصول» .<sup>(3)</sup>

وهذا العلم الشرعي بدوره إما أن يكون علميا ، وإما أن يكون عمليا ، فالعلمي في نظره هو علم الأصول والعملية هو علم الفروع ، والعلم العملي عنده يشتمل على ثلاثة حقوق :  
الحق الأول : متمثل في حق الله تعالى ، وما فرضه من عبادات على عباده كالطهارة ، والصلاة والزكاة إلى آخره ، وزوائدها من النوافل والفرائض من قواعد الإسلام .  
الحق الثاني : حق العباد له وجهين :

الوجه الأول : المعاملة مثل البيع والهبة والقرض والقصاص وجميع أبواب الديانات .  
الوجه الثاني : المعاقدة ، متمثلة في الطلاق والنكاح والعتق والرق والفرائض ولو احقها ، ويطلق على هذين الوجهين علم الفقه ، وهذا العلم - في نظره - علم شريف مفيد عام ضروري لا يستغني الناس عنه لعموم الضرورة إليه»<sup>(4)</sup>

(1) أبو حامد الغزالي ، الرسالة اللدنية ، تح ، محمد الدين صبري الكردي ، ط2 ، 1343 هـ ، ص 32 .

(2) المصدر نفسه ، ص ص 32-33

(3) المصدر نفسه ، ص 35 .

(4) المصدر نفسه ، ص 36 .

الحق الثالث : حق النفس وهو متمثل في علم الأخلاق ، وهي (الأخلاق) محمودة ومذمومة ،

فالمذمومة يجب رفضها وقطعها ، والأخلاق المحمودة يجب التحلي بها وتحصيلها وتحلية النفوس بها .<sup>(1)</sup> أما القسم الثاني من العلم هو العلم العقلي ، وهذا العلم في رأي "الغزالي" معضل ومشكل يقع فيه خطأ وصواب ، وهو موضوع في ثلاثة مراتب :

المرتبة الأولى : يمثلها العلم الرياضي والمنطقي ، أما العلم الرياضي فمنه الحساب ، وينظر في العدد والهندسة ؛ وهو علم المقادير والأشكال ، وعلم الهيئة الذي يقصد به علم الأفلاك والنجوم وأقاليم الأرض ، وما يتصل بها ، ويتفرع عنه علم النجوم وأحكام الموالييد والطوالع ، ومنه الموسيقى الناظر في نسب الأوتار.<sup>(2)</sup>

أما المنطقي : فهو يعني النظر في طريق الحد والرسم في الأشياء ، التي تدرك بالتصور ، وينظر في طريق القياس والبرهان في العلوم التي تنال بالتصديق يقول "الغزالي" : «ويدور علم المنطق على هذه القاعدة ؛ يبتدئ بالمفردات وبالمركبات ثم بالقضايا ، ثم بأقسام القياس ، ثم مطلب البرهان وهو نهاية علم المنطق» .<sup>(3)</sup>

أما المرتبة الثانية : وهي المرتبة الوسطى ، يمثلها العلم الطبيعي "وصاحب هذا العلم ينظر في الجسم ، المطلق وأركان العالم ، وفي الجواهر والأعراض ، وفي الحركة والسكون وفي أحوال السماوات والأشياء الفعلية والانفعالية ، ويتولد عن هذا العلم النظر في أحوال مراتب الموجودات ، وأقسام النفوس والأمزجة ، وكمية الحواس وكيفية إدراكها للمحسوسات ، ثم يؤدي إلى النظر في علم الطب وهو علم الأبدان ، والعلل والأدوية ، والمعالجات وما يتعلق بها ، ومن فروع هذا العلم : علم الآثار العلوية وعلم العلوية وعلم المعادن ومعرفة خواص الأشياء ، وينتهي إلى علم صنعة الكيمياء وهي معالجة الأجساد المريضة في أجواف المعادن " .<sup>(4)</sup>

أما المرتبة الثالثة : وهي العليا ؛ تتعلق بالنظر في الموجود ، وتقسيمه إلى الواجب والممكن ، ثم النظر في الصانع وذاته ، وجميع صفاته وأفعاله ، وأمره وحكمه وقضائه ، وترتب ظهور الموجودات عنه ،

(1) أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص 36.

(2) المصدر نفسه ، ص 36.

(3) المصدر نفسه ، ص 37 .

(4) المصدر نفسه ، ص 37 .

ثم النظر في العلويات والجواهر المفردة ، والعقول المجردة ، والنفوس الكاملة ، ثم النظر في أحوال الملائكة والشياطين ، وينتهي بعد ذلك إلى علم النبوات ، وأمر المعجزات ، وأصول الكرامات والنظر في أحوال النفوس المقدسة وحال النوم واليقظة ، ومقامات الرؤيا ، ومن فروع علم الظلمسات و الزيجات وما يتعلق بها.<sup>(1)</sup>

ثم ينتقل "الغزالي" بعدها ليتحدث عن العلم الصوفي فيقول فيه :

« هو مفرد بذاته (العلم العقلي) ويتولد منه علم مركب ؛ يوجد في جميع أحوال العلمين المفردين ، وذلك العلم المركب علم الصوفية وطريقة أحوالهم ، فإن لهم علما خاصا بطريقة واضحة ؛ مجمعة من العلمين ، وعلمهم يشتمل على الحال والوقت والسماع والوجد والشوق ، والسكر والصحور والإثبات والحو ، والفقر والغنا ، والولاية والإرادة ، والشيخ والمريد ، وما يتعلق بأحوالهم مع الزوائد والأوصاف والمقامات ... وليس قصدنا إلا تحديد العلوم وأصنافها في هذه الرسالة».<sup>(2)</sup>

وبعد تناوله لتقسيم العلوم في رسالته ، يعرض "الغزالي" كيفية تحصيل كل علم من هذه العلوم والإستفادة منه نظريا وعمليا .

تصنيف العلوم في كتاب " المنقذ من الضلال":

يعرض "الغزالي" في هذا الكتاب تصنيفه لعلوم الفلاسفة ، بعد أن اشتغل عليها - كما يقول في كتابه - طيلة سنتين من دراستها.<sup>(3)</sup>

يقول "الغزالي": «اعلم أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي تطلبه ستة أقسام : رياضية ، ومنطقية ، وإلهية ، وطبيعية ، وسياسية ، وخلقية».<sup>(4)</sup>

أولا : العلوم الرياضية

وهي التي تتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم الهيئة ، وليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفيًا وإثباتًا ، بل هي أمور برهانية ، لا سبيل إلى مجادلتهما بعد فهمها ومعرفتها ، وقد تولدت منها آفتان :

(1) أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص 37 - 38 .

(2) المصدر نفسه ، ص 38 .

(3) أبو حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال ، تح : جميل صليبا ، كامل عياد ، ط 11 ، دار الأندلس

، د ت ، ص 95

(4) المصدر نفسه ، ص 100 .

الأولى : أن من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ، ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ، ويحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وقماؤهم بالشرع ما تداولته الألسنة ، فيكفر بالتقليد المحض.... فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم ، فإنها وإن لم تتعلق بأمر الدين... فقل من يخوض فيها إلا وينخلع من الدين وينحل على رأسه لجام التقوى.<sup>(1)</sup>

الثانية : نشأت من صديق للإسلام جاهل ، ظن أن الدين ينبغي أن ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم ، فأنكر جميع علومهم ، وادعى جهلهم فيها ، حتى أنكروهم في الكسوف والخسوف... ولقد عظم على الدين جنابة من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والإثبات ، ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية... فهذا حكم الرياضيات وآفتها.<sup>(2)</sup>

ثانيا المنطقيات

هي العلوم التي لا يتعلق شيء منها بالدين نفيًا أو إثباتًا ، بل هي النظر في طرق الأدلة والمقاييس ، وشروط ومقدمات البرهان ، وكيفية تركيبها ، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه ، وأن العلم إما تصور ؛ وسبيل معرفته الحد ، وإما تصديق ؛ وسبيل معرفته البرهان ، وليس في هذا ما ينبغي أن يذكر بل هو جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة".<sup>(3)</sup>

ثالثا : الطبيعيات

هي العلوم التي تبحث عن عالم السماوات وكواكبها، وما تحتها من الأجسام المفردة كالماء والهواء والتراب والنار ، وعن الأجسام المركبة كالحیوان والنبات والمعادن ، وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها ، وكذلك يضاهاي بحث الطب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسية والخادمة ، وأسباب استحالة مزاجه ، وكما ليس من شرط الدين إنكار علم الطب ، فليس من شروطه إنكار ذلك العلم إلا في مسائل معينة.<sup>(4)</sup>

(1) أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص 102 - 103 .

(2) المصدر نفسه ، ص 103 .

(3) المصدر نفسه ، ص 103 .

(4) نفسه ، ص 104 .

رابعاً : الإلهيات

يرى "الغزالي" أن الفلاسفة قد وقعوا في هذا العلم على أغاليط كثيرة ، فنظر إليهم بنظرة نقدية ، فهم لم يقدرُوا -حسبه- على الوفاء بالبرهان الذي اشترطوه في المنطق ، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها .

يقول "الغزالي" : « لقد قرب مذهب "أرسطو طاليس" فيها من مذاهب "الإسلاميين" على ما نقله "الفارابي" و"ابن سينا" ، ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها ، وتبديعهم في سبعة عشر » .<sup>(1)</sup>

خامساً : السياسات

وهو العلم الذي يرجع كلامهم فيها إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمر الديني... وأخذوها من كتب الله المترلة على الأنبياء ، ومن الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء .<sup>(2)</sup>

سادساً : الخلقية

وتعني العلم الذي يرجع كلام الفلاسفة فيها إلى حصر صفات النفس وأخلاقها ، وذكر أجناسها وأنواعها ، وكيفية معالجتها ومجاهدتها .. وقد أخذوها من كلام الصوفية ومزجوها بكلامهم توصيلاً بالتجمل بما إلى ترويج باطلهم.<sup>(3)</sup>

فتولد من مزجهم كلام الصوفية ، وكلام النبوة بكتبهم آفتان آفة في حق القابل وآفة في حق الراد.<sup>(4)</sup>

(1) أبو حامد الغزالي ، المتخذ من الضلال ، المصدر السابق ، ص 106 .

(2) المصدر نفسه ، ص 109 .

(3) المصدر نفسه ، ص 109 .

(4) نفسه ص 110 .

## تصنيف العلوم في رسالة " فاتحة العلوم "

يقول "الغزالي" في تسمية كتابه : «سميناه فاتحة العلوم ونذكر فيه شرائط العلم ، وفضائله ولوازمه ، وآفاته وغوائله وفرائضه ، وسيرة علماء السلف وعلامات علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، فينكشف ذلك في سبعة أبواب :

الباب الأول : في فضيلة العلم .

الباب الثاني : في تصحيح النية في طلب العلم

الباب الثالث : العلامات الفاصلة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة

الباب الرابع : في العلوم المهمة وأقسامها

الباب الخامس : في شروط المناظر و أقسامها

الباب السادس : في آداب المعلم والمتعلم

الباب السابع : فيما يحل أخذه من أموال السلاطين».(1)

وقد عرض "الغزالي" تصنيفه في كتابه "فاتحة العلوم" في الباب الرابع ، فينظر إلى العلوم على أساس العلم المهم والعلم الذي ليس بمهم ، ويتقسم غير المهم إلى المباح والمذموم ، والمهم إلى فرض عين وفرض كفاية ، وفيه فصول.(2)

الفصل الأول : في أقسام العلوم ؛ فتقسم عنده إلى شرعية و غير الشرعية ، فالعلوم الشرعية هي ما يستفاد من الأنبياء عليهم السلام ، وهذه العلوم جعلها في أربعة أضرب :

الضرب الأول : تمثله الأصول ؛ وهي القرآن والسنة وإجماع الأمة وآثار الصحابة .

الضرب الثاني : تمثله الفروع ؛ وهو ما فهم من هذه الأصول ؛ لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبئت لها العقول ، فاتسع بسببها الفهم ، حتى فهم من اللفظ المفقوظ وغيره .

الضرب الثالث : تمثله المقدمات ؛ وهي علوم الآلة كعلم اللغة والنحو ؛ فإنه آلة لمعرفة كتاب الله

وسنة نبيه (ص) لا من حيث ذاته ؛ لكن من حيث نزلت الشريعة بهذه اللغة ... ومن الآلات علة كتاب الخط .

الضرب الرابع : تمثله المتعمات ويقصد بها ما يرتبط بعلم القرآن ، فعلم القرآن على سبيل المثال

ينقسم بدوره إلى ما يتعلق باللفظ ؛ كعلم القرآن ومخارج الحروف ، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير

(1) أبو حامد الغزالي ، كتاب فاتحة العلوم ، المطبعة الحسينية المصرية 1322هـ ص 02 .

(2) المصدر نفسه ، ص 35 .



المنقول ... وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض ؛ وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ، ويتناول السنة أيضا ، وأما المتممات في الأخبار والآثار ؛ فكالعلم بالرجال وأساميهم وأسامي الصحابة وصفاتهم ، والعلم بالعدالة ، وأفعال الرواة ، لتمييز الصحيح على السقيم ، فهذه أقسام الشريعة ومراتبها.<sup>(1)</sup>

الفصل الثاني : في بيان فروض الأعيان من جملة العلوم

ويرى فيه أن من العلوم ما هو فرض عين ، واتفقت الأمة على أن من العلوم ما هو عين على كل مسلم، ولكن اختلفوا في تعيينه ، وتخرجوا أكثر من عشرين حزبا ، وحاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده ، ولم تسمح نفسه أن يكون العالم القائم بأهم العلوم وغيره ، والأهم ما هو فرض العين لا محالة ، فقال المتكلمون : هو علم الكلام ؛ إذ به يحصل معرفة الله تعالى وبه يصح الإيمان .

وقال الفقهاء : هو على الفقه ؛ إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام في المعاملات .

وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة ؛ فإنهما مبدأ معارف العلوم الدينية .

وقال المتصوفة : المراد به علمنا ، فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى ، وقال

بعضهم : هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتميز لمة الملك عن لمة الشيطان ، وقال أبو طالب

الملكبي في "قوت القلوب" هو العلم بمباني الإسلام الخمسة ؛ المذكورة في قوله (ص) لأن هذه

الواجبات من الأعمال ، فيجب علمها " .<sup>(2)</sup>

أما "الغزالي" فيفصل فيه القول : « ونحن نكشف الغطاء عن هذه المسألة ؛ بما لا يستريب فيه محصل ،

ولا يبقى للخلاف معه وجه ، فنقول : " العلم ينقسم عندنا إلى علم المكاشفة ؛ كما سيأتي بيانه ،

وإلى علم معاملة ، ونظرنا الآن في علم المعاملة ، والمعاملة التي كلف بها العبد المكلف ثلاثة أقسام :

إعتقاد ، وفعل ، وترك .<sup>(3)</sup>

(1) أبو حامد الغزالي ، رسالة في فاتحة العلوم ، المصدر السابق ، ص 36 .

(2) المصدر نفسه ، ص 36 .

(3) المصدر نفسه ، ص 37 .

والفصل الثالث : جعله فيما هو فرض كفاية من العلوم .

فيرى "الغزالي" أن العلوم التي ذكرها آنفا " الإعتقاد ، الفعل ، الترك " كلها فروض كفايات

( الإعتقاد وهو علم التوحيد ، والفعل هو علم قواعد الإسلام ، والترك هو علم الخلاق المذمومة ) ،

إذ أحادها قد تصير فرض عين على الآحاد على إختلاف الأحوال ، فيكون جملة فرض كفاية. (1)

ومن العلوم التي هي فرض كفاية ، كعلم الطب ، وعلم الحساب ؛ الذي يحتاج إليه الإنسان في قسمة

الأراضي ، وكذا الصناعات كالحياكة والزراعة والخبز والطحن ، وحتى الحجامة فهي من فروض

الكفاية. (2)

الفصل الرابع : في بيان تفصيل علوم الآخرة

وهي العلوم التي تنقسم بدورها إلى ما يتعلق بمصالح الدنيا كعلم الفقه ، وإلى ما يتعلق بسلوك طريق

الآخرة ؛ فالعلوم التي تتعلق بسلوك طريق الآخرة تنقسم عنده إلى علم مكاشفة ، وإلى علم معاملة ،

ويعني بعلم المكاشفة : ما يراد منه الكشف والمعرفة فقط دون عمل ، وعلم المعاملة ما يراد بعلمه

العمل. (3)

وعلم المكاشفة هو علم الخفي والباطن ، وغاية العلوم إنما يراد التوسل والتضرع بها إليه ، وهو العلم

الذي فضل به "أبا بكر". (4)

والفصل الخامس : في بيان العلم ، وبيان نسبة العلوم إليه ؛ بالموازنة بمثال لكي تعرف مراتب العلوم ،

بحيث لا يكون تأثير العلم الأدنى على العلم الأرفع ، ولا التابع على المتبوع ، بقول "الغزالي": «واعلم

أن العزيز الرفيع إنما يكون عزيزا بالإضافة إليك وإلى ما يهملك إلا شأنك في الدنيا والآخرة». (5)

" لأنه العلم الذي يبقى أبدا الآباد ، وبه تكون السعادة الأبدية ، والعلم الأقصى هو العلم بالملك

والملكوت، وما عداه من العلوم توابع ومقدمات ، كلها تراد لهذا العلم ، وهذا العلم يراد لـسذاته

لا لغيره . " (6)

(1) أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص 38 .

(2) المصدر نفسه ، ص 38 - 39 .

(3) المصدر نفسه ، ص 39 .

(4) المصدر نفسه ، ص 39 .

(5) نفسه ، ص 42 - 43 .

(6) نفسه ، ص 43 .

## تصنيف العلوم في كتاب "إحياء علوم الدين"

يفتح "الغزالي" كتابه "إحياء علوم الدين" بكشفه عن منهجه الذي تناول به تصنيفه للعلوم في

الكتاب، فيقول: «رأيت الإشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما، إحياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الأمة المتقدمين، وأيضاحا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين»<sup>(1)</sup>.

ثم يقول "الغزالي": «إن كتاب إحياء العلوم قد أسسته على أربع أرباع هي:

ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات، وجعل كل ربع يشتمل على عشرة كتب»<sup>(2)</sup>.

وقبل أن يصل إلى عملية التصنيف يتوجه "الغزالي" في مقدمة كتابه إلى تذكير بفضل العلم والتعليم والتعلم وموقف الإسلام منهما، ويورد شواهد نقلية من الكتاب والسنة، وآثار الصحابة في فضل العلم والتعلم<sup>(3)</sup>.

وفي تصنيفه للعلوم؛ يعود "الغزالي" إلى تصنيف العلوم إلى علوم محمودة وعلوم مذمومة، ويتعرض في الباب الثاني إلى العلم الذي هو فرض كفاية، والعلم الذي هو فرض عين (كما في رسالة فاتحة العلوم)، ويعرض تعريفات المتكلمين والمفسرين والمحدثين والمتصوفة. ويجيب "الغزالي" بقوله: «العلم ينقسم إلى قسمين علم معاملة وعلم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة، والمعاملة التي كلف بها العبد العاقل البالغ، العمل بما ثلاثة: اعتقاد وفعل وترك<sup>(4)</sup>، وعلم المعاملة وهو طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه تعالى في كتابه فقها وحكمة وعلمًا وضياء ونورا وهداية ورشدا»<sup>(5)</sup>.

و"الغزالي" في بحثه لبيان العلم؛ يميل إلى رأي بعض المتصوفة في بيان العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم، وهو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام (بني الإسلام على خمس) فتعلمها فرض عين أما الباقي فهو فرض كفاية<sup>(6)</sup>.

ثم يعود "الغزالي" ويؤكد وفق رؤيته الإسلامية ويوضح تفاصيل العلم الذي هو فرض كفاية.

(1) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط 1، دار العلم، بيروت، لبنان، مج 1، ص 8.

(2) المصدر نفسه، ص 09.

(3) المصدر نفسه، ص 10.

(4) المصدر نفسه، ص 18.

(5) نفسه، ص 08.

(6) نفسه، ص 19.

فيقول: «اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم ، والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية ، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، والعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح»<sup>(1)</sup>.

فالعلم المحمود : هو ما يرتب بمصالح أمور الدنيا كالطب والحساب .

وينقسم بدوره إلى : ما هو فرض كفاية ، وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة .

فالعلم الذي هو فرض كفاية؛ فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب ، وهذه العلوم لو خلا البلد عن من يقوم بها خرج أهل البلد ، ومن العلم الذي هو فرض كفاية أيضا كالفلاحة ، والحياكة ، والسياسة ، والحجامة ، والخياطة .

فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم ، وخرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك .

وأما العلم المذموم منه علم السحر ، والطلسمات ، وعلم الشعوذة ، والتلبسات.

وأما المباح منه : فالعلم بالأشعار لا يستخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه<sup>(2)</sup>.

وأما العلوم الشرعية فهي محمودة كلها، ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة ،

فتنقسم إلى محمودة ومذمومة .

فالمحمودة أربعة أضرب :

الضرب الأول : تمثله الأصول وهي على أربعة كتب ، كتاب الله ، وسنة رسول الله (ص) ، وإجماع الأئمة ، وآثار الصحابة .

الضرب الثاني : تمثله الفروع ؛ وهو ما فهم من الأصول لا بموجب ألفاظها ، بل بمعان تنبته لها

العقول ، فاتسع بسببها الفهم حتى فهم الملفوظ به غيره ، كما فهم من قوله عليه الصلاة والسلام :

« لا يقض القاضي وهو غضبان » .

الضرب الثالث : تمثله المقدمات ؛ وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو ، فإنهما آلة

لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه<sup>(3)</sup> .

(1) أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص 20 .

(2) المصدر نفسه ، ص 20 .

(3) المصدر نفسه ، ص ص 20 - 21 .

الضرب الرابع : تمثله المتممات ؛ وذلك في علم القرآن الكريم حيث ينقسم إلى : ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف ، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير ، وإلى ما يتعلق بأحكامه ؛ كمعرفة الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض الآخر ، وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ، ويتناول السنة أيضا ، وأما المتممات في الآثار والأخبار ، فالعلم بالرجال وأنسابهم وأسمائهم ، والعلم بالعدالة في الرواة .... فهذه العلوم الشرعية كلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات.(1)

أما علم المكاشفة عند "الغزالي" فهو " عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته ، وينكشف عن ذلك النور أمور كثيرة .... وهو ارتفاع الغطاء حتى تتضح جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا ؛ يجري مجرى العيان الذي لا شك فيه ... وهذا ممكن في جوهر الإنسان ، لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا".(2)

أما علم المعاملة ؛ فهو علم أحوال القلب ، فمنها ما يحمد ، ومنها ما يذم ، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها ، وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين.(3)

بعد ذلك يأتي "الغزالي" إلى علوم الفلسفة ويقسمها إلى أربعة أجزاء :  
الهندسة و الحساب ، المنطق ، الإلهيات ، الطبيعيات .

يقول "الغزالي" : « وأما الفلسفة علما برأسها بل هي أربعة أجزاء أحدها الهندسة والحساب ، وهما مباحان كما سبق ، ولا يمنع عنهما إلا من يخاف أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة ، فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منها إلى البدع ، فيصان الضعيف عنهما ...

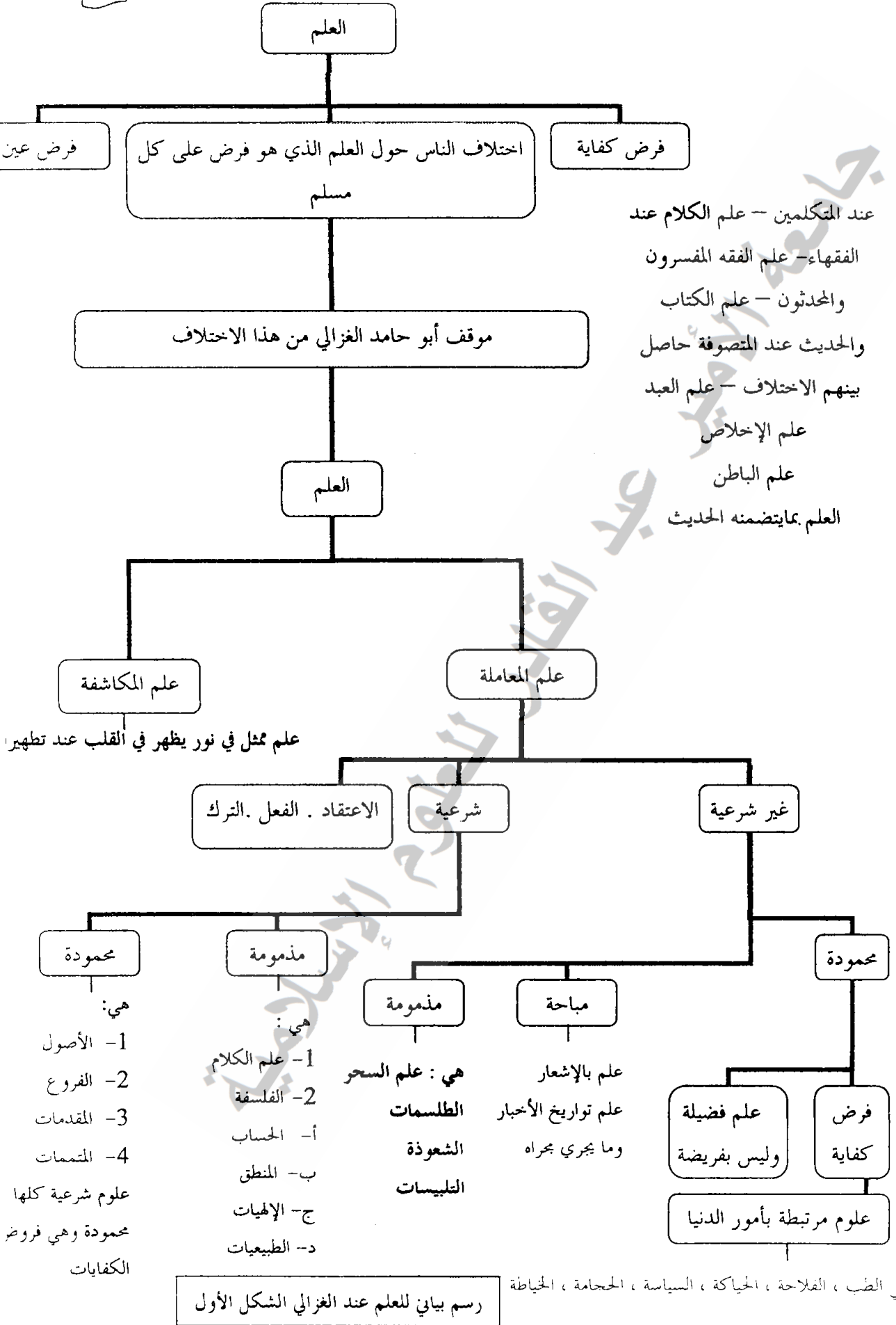
والثاني المنطق ؛ وهو البحث عن وجه الدليل وشروطه ، ووجه الحد وشروطه ، وهما داخلان في علم الكلام. والثالث : الإلهيات وهو البحث عن ذات الله سبحانه وتعالى ، وصفاته ، وهو داخل في الكلام أيضا. والرابع : الطبيعيات بعضها مخالف للشرع والدين والحق ، فهو جهل وليس بعلم ، حتى يورد في أقسام العلوم ، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها ، وكيفية استحالتها ، وتغيرها ، وهو شبيه بنظر الأطباء». (4)

(1) أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص 21 .

(2) المصدر نفسه ، ص 23 .

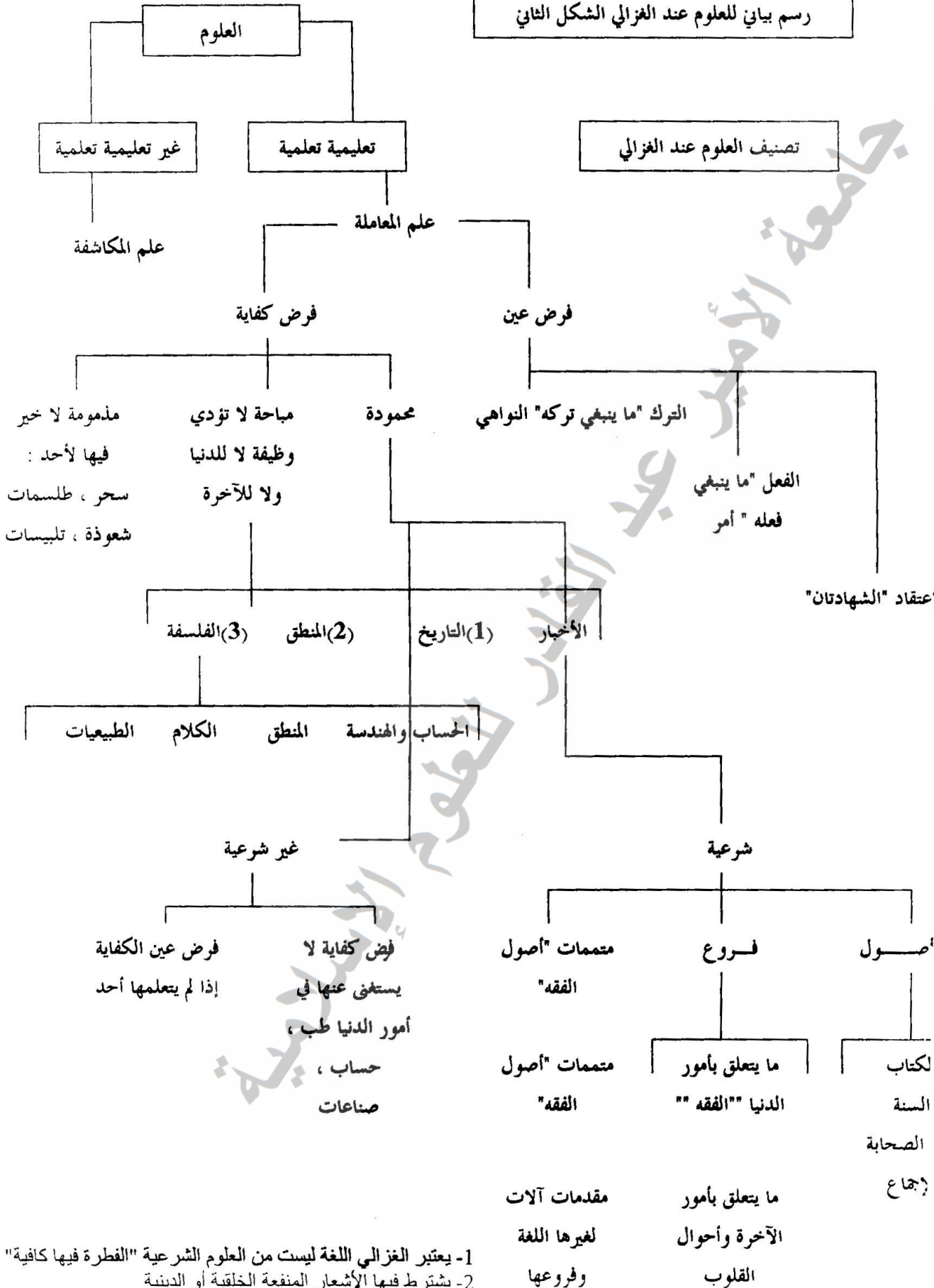
(3) المصدر نفسه ، ص 24 .

(4) نفسه ، ص 25 .



رسم بياني للعلوم عند الغزالي الشكل الثاني

تصنيف العلوم عند الغزالي



- 1- يعتبر الغزالي اللغة ليست من العلوم الشرعية "الفطرة فيها كفاية"
- 2- يشترط فيها الأشعار المنفعة الخلقية أو الدينية
- 3- يشترط في العلوم الفلسفية الإقتصار على ما يخدم العلوم الشرعية

## 2-2- تصنيف العلوم عند أبي حيان التوحيدي ( علي بن محمد العباس )

يورد "أبو حيان التوحيدي" (أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء) "ت 410 هـ" تصنيفه للعلوم في رسالته التي ألفها في العلوم ، وسماها "رسالة أبي حيان في العلوم".

وقد استهل "أبو حيان" رسالته بقوله : « أطل الله بقاءكم ، وأدام كرامتكم وحرس نعمه عليكم ، وحفظ مواهبه لديكم ولا أخلاكم من عوائده الجسيمة وفوائده الكريمة ، وجعل حظ الغريب السلامة بينكم إن فاتته الغنيمة منكم ». (1)

لا يخفى من هذه الديباجة تزلع "أبي حيان" في الأدب واللغة ، فهو مهتم بهما ، كما هو مهتم بعلوم الدين وكذا العلوم العقلية ، كما سيظهر في تصنيفه .

وقد ابتدأ تصنيفه للعلوم بأدب وتواضع حينما قال : « ..سأين أصناف العلم بهذا الموضوع ، على وجه الإيجاز ، فإن إستقصاءها لا تحويه هذه الرسالة ، ولا يتسع له هذا الوقت ، على أن شيخ العلم وأرباب الحكمة وفرسان الأدب قد فرغوا من جميع ذلك في كتب مشهورة ، تشتمل على آداب مأثورة ... ». (2)

ويبدأ تصنيفه بعلم الفقه :

1- فالفقه دائرة بين الحلال والحرام ، وبين اعتبار العلل في القضايا والأحكام، وبين الفرض والنافلة ، وبين المحظور والمباح ، وبين الواجب والمستحب ، وبين المحدث والمتره عنه . (3)

2- ثم ينتقل إلى الكتاب (وهو القرآن الكريم):

يقول : « وكل ذلك موقوف على ظاهر الكتاب وباطنه ، وتزييله وتأويله ، ومحكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، وتقديمه وتأخيريه ، وعمومه وخصوصه ، وإجماله وتفسيره ، وإطلاقه وتقييده ، وجمعه وتوحيده ، وكنائيه وضميره ، ومجازه وحقيقه ، وتعريضه وتصريحه ، وإشباعه وإشمامه ، ونصه وأغراضه ، ومفهومه وشرحه ، وحذفه وزيادته ، وإشارته وتوكيده ، ووعدته ووعيده ، سوى أسرار تجل عن أفهام الخلق ». (4)

(1) أبو حيان التوحيد ، رسالة أبي حيان في العلوم ، تح : مارك بيرجة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، دط ، دت ، ص 17 .

(2) المصدر نفسه ، ص 19 .

(3) المصدر نفسه ، ص 20 .

(4) المصدر نفسه ، ص 20 .



## 3- السنة :

فالسنة تالية للكتاب ؛ في حدوده ورسومه ، وأسمائه ومعانيه ، وأسبابه وأغراضه ، على أن منها ما يحدث العلم إحدائاً ، ومنها ما يوجب العمل إيجاباً ، ولشائعها حكم ليس لمتواترها ، ولوأحدتها شأن ليس لمشهورها ، ولجميعها حال ليس لمفردتها ، وليس في جميع عوارضها أشد من معرفة صحيحها من سقيمها ، وجائزها من محالها ، والكلام في ذلك بين أهلها.<sup>(1)</sup>

## 4- القياس :

من بعدهما ( بعد الفقه والسنة لأن الفقه معتمد على الكتاب) أصل يعود عليه ، وركن يستند إليه ، وعروة يستمسك بها ، والطاعن فيه يعلمه وإن أنكره ويفزع إليه وإن آباه ، ولا يجد محيداً عنه وإن لم يثق به ، وإنما يتفرد به بمختلف ألفاظ تؤديه إلى نفس القياس.<sup>(2)</sup>

## 5- الكلام :

وأما علم الكلام ، فإنه باب من الاعتبار في أصول الدين ، يدور النظر فيه على محض العقل ، في التحسين والتقييح ، والإحالة والتصحيح ، والإيجاب والتجوز ، والاقتصار والتعجيز ، والتعديل والتجوير ، والتوحيد والتفكير ، والاعتبار فيه ينقسم بين دقيق يتفرد العقل به ، وجليل يفزع إلى كتاب الله تعالى فيه.<sup>(3)</sup>

ثم يذكر التوحيد أن باب الكلام : " مجاور لباب الفقه فالكلام فيهما مشترك ، وإن كان بينهما انفصال وتباين ، فالشركة بينهما واقعة والأدلة فيهما متضارعة ، ألا ترى أن الباحث عن العالم في قدمه وحدثه وامتداده ، وانقراضه يشاور العقل ويخدمه ويستضيء به ويستفهمه<sup>(4)</sup> .

## 6- النحو :

وأما النحو فمقصود على تتبع كلام العرب في إعرابها ومعرفة أخطائها وصوابها ، واعتياد ما تواطأت عليه وألفت استعماله ، ولولا انفتاح أبواب المعاني به ، لم يكن في النحو أكثر من مخالفة الحركة باللفظ ... ولقد صح بالتجربة والاستعراض أن في مخالفة حركات الألفاظ فساد المعاني والأغراض ،

(1) أبو حيان التوحيدي ، المصدر السابق ، ص 21 .

(2) المصدر نفسه ، ص 21 .

(3) المصدر نفسه ، ص 21 .

(4) نفسه ، ص 22 .

ولا بد لنا مادامنا تبعاً لهذه الأمة - أعني العرب - من الاقتداء بهم و الاقتفاء لأنهم من غير تحريف ولا تجزيف .<sup>(1)</sup>

7- اللغة :

وأما اللغة فجدواها عظيمة ، ومنافعها حمة ، لأنها مادة الكلام ، والنحو صورة من صورها ، ولأنها تحيط بالاشتقاق و أصوله ، والتصريف وأبنيته ، والوزن وأمثله ، وبأبها مردود إلى توسع السماع ، كما أن النحو موقوف على تتبع الطباع ... فكل من تكامل حظه من اللغة ، وتوفر نصيبه من النحو ، كان بالكلام أمهر ، وعلى تصريف المعاني أقدر ، وازداد بصيرة في قيمة الإنسان المفضل على جميع الحيوان ، وعرف عوار المتكلمين ، ووقف على عادة الفقهاء في أمر ، فإن شدا بعد ذلك شيئاً من المنطق ، فقد سبق جميع الناظرين .<sup>(2)</sup>

8- المنطق :

وأما المنطق ؛ فهو اعتبار معاني الكلام في اعتدالها وانحرافها ، واختلافها وائتلافها ، وإبهامها وإيضاحها ، وإغماضها وإيضاحها ، وتميزها والتباسها ، واطرادها وانعكاسها ، واستمرارها واستقرارها ... به تفصل الحجّة من الشبهة ، وتنفي الشبهة عن الحجّة ، وتعرف حيلة المغالط ونصيحة المحقق ، وهو آلة عند أربابه يزنون به كل مختلف فيه ومتفق عليه ، وليس فيه كفر ولا جهل ، ولا دين ولا مذهب ، ولا نحلة ولا مقالة ، وإنما هو تصنيف المعاني وتنقية الألفاظ .<sup>(3)</sup>

9- الطب

الناظر في الطب غرضه حفظ الصحة إذا وجدها ، وطلبها إذا فقدتها ، وهو خادماً للطبيعة بالعلم والعمل ، علم يحيط بعين العلة ، وعمل يأتي على اجتلاب الصحة .<sup>(4)</sup>

10- النجوم :

الناظر في النجوم يقسم نظره إلى أحد الغرضين : إما إلى علم أحوال الكواكب : في اختلاف مسيرها ووقوفها وطلوعها وغروبها واقتراثها واختلافها ، وله في هذا النظر تعجب يفتح قلبه ، ويشرح صدره ، ويقوى توحيده ، ويكثر عبْرَهُ ، ويشوق نفسه .<sup>(5)</sup>

(1) أبو حيان التوحيدي ، المصدر السابق ، ص 23 .

(2) المصدر نفسه ، ص 24 .

(3) المصدر نفسه ، ص 24 .

(4) نفسه ، ص 25 .

(5) نفسه ، ص 25 .

والقسم الآخر : يريد الناظر أن يقتبس الأحكام في الأمور المستقبلية ، وصاحب هذا الغرض شديد التعب ، قليل الدرك ، خطؤه أكثر من إصابته ، وإصابته أضر من جهله ، فالأول أقرب إلى الرشد من هذا الثاني.<sup>(1)</sup>

11- الحساب :

الناظر إلى الحساب المفرد بالعدد ؛ يشترك مع صاحب النجوم (نظريا) ، اللهم إلا أن يتفرد في الحساب بالعمل ، فحينئذ لا يستحق شرف العلماء لأنه يكون في درجة الصناعات ، فالتوحيد يجعل علم الحساب على ضريين : نظري وعملي.<sup>(2)</sup>

12- الهندسة :

يفرق فيها "التوحيدي" بين النظري والعملي ؛ فالناظر في الهندسة إن سلك الصنائع فهو نظير حافر الأنهار ومجري الأودية وباني الحمامات ، وإن سلك فيها طريق من يفرض المقادير ، ويتكلم عنها كلاما فهو العالم".<sup>(3)</sup>

13- البلاغة :

الناظر فيها مشابهة لكل من سلف لأنه يباشر بلسانه وقلمه أحوالا مشبهة؛ يروم فيها أقصى معانيها.<sup>(4)</sup>

14- التصوف :

يقول "التوحيدي" : « اسم قد ريم به معنى ، ولفظ قد ضمن مرادا ، إن لهينا عنه بدا علينا من العجز ما يشمت به العدو ، ويشتمز منه منه الصديق».<sup>(5)</sup>

ثم يضيف : « اعلم أن التصوف علم يدور بين إشارات إلهية ، وعبارات وهمية ، وأغراض علوية ، وأفعال دينية ، وأخلاق ملوكية » ، ثم يشير "التوحيدي" إلى ما لحق بالتصوف من غش وادعاء.... يقول : « وقد لحق الطريقة حيف لكثرة الدخلاء فيها ، كما لحق البلاغة أكثر مدعيها ، ومتى صح تصفحك علمت أن شيئا من هذه المعارف عند أصحابها ليس على حقيقة ما ينبغي».<sup>(6)</sup>

وعلى ذكر التصوف ينهي "أبو حيان" تصنيفه للعلوم الذي بدأه بالفقه وأتماه بالتصوف .

(1) أبو حيان التوحيدي ، المصدر السابق ، ص 25 .

(2) المصدر نفسه ، ص 26 .

(3) المصدر نفسه ، ص 27 .

(4) المصدر نفسه ، ص 27 .

(5) نفسه ، ص 28 .

(6) نفسه ، ص 28 .

## 2-3- تصنيف العلوم عند ابن الأكفاني (شمس الدين محمد إبراهيم بن ساعد الأنصاري)

يعنون "ابن الأكفاني" (ت 749 هـ) كتابه الذي عرض فيه تصنيف للعلوم بـ:  
"إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم"، ويقصد في ذلك أفضل العلوم من حيث قيمتها،  
ومن أول وهلة - سواء من العنوان أو المقدمة - ندرك طريقة تصنيفه للعلوم وفلسفته في ذلك تقوم  
على قيمة العلم أو قاعدة الأشرفية في العلوم المرتبطة بالتدين .

يقول "ابن الأكفاني": «فإن بنا حاجة إلى تكميل نفوسنا البشرية في قواها النظرية والعملية، إذا كان  
ذلك هو الوسيلة إلى السعادة الأبدية، ولما كان هذا إنما يتم بالعلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه،  
ليعتقد الحق ويفعل الخير، وجب علينا أن نعلم العلم المتكفل بتحقيق الحقائق، وما هو إليه  
كالوسائل، ويشتمل على بيان ما يجب أن يقصد من الفضائل، ويجتنب من الرذائل، فأردت أن  
أذكر في هذه الرسالة أنواع العلوم على التفصيل لتبين منها هذا الغرض، ويستفاد منها أمور آخر  
بالغرض»<sup>(1)</sup>.

ثم يذكر "ابن الأكفاني" تلك الأغراض في شكل مرتب يبدأه بـ:<sup>(2)</sup>

الأول: تشويق الأنفس الزكية إلى الكمالات الإنسانية، فإنه لا شيء أشنع، ولا أقبح بالإنسان،  
من أن يهمل نفسه ويعريها من الفضائل .

الثاني: أن الإنسان إذا أراد أن يتعلم علما أو ينظر فيه؛ علم ما يستفيد منه فيكون على بصيرة من  
أمره وتقدمة معرفته.<sup>(2)</sup>

الثالث: أن يعلم من العلوم في نفسه ومرتبته بالنسبة إلى غيره من العلوم، وحال العالم به، وهل  
يستفاد به كمال نافع في المعاد، أو أدب يفيده من المعاش أو غير ذلك .

الرابع: أن يقيس بين العلوم، فيعلم أيها أفضل وأشرف، وأيها أتقن وأوثق، وأيها أوهى وأهون .

الخامس: معرفة حال من يدعي علما من العلوم، وكشف دعواه، وهل يخبر خيرا تفصيليا عن  
موضوع ذلك العلم، وغايته ومبادئه، ومسائله، ومرتبته في العلوم، فيحسن الظن فيما ادعاه .

السادس: أن يعلم المتأدب المتفنن الذي قصد أن يشدوا جمليات العلوم، وظواهرها، على سبيل  
المشاركة، ما مقدار القصد منها .

(1) ابن الأكفاني محمد بن إبراهيم ساعد الأنصاري، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق عبد المنعم محمد عمر

دار الفكر العربي، دط، دت، ص 91 .

(2) المصدر نفسه، ص 91 .

السابع : تمكن من أراد من ذوي الرتب أن يتشبه بأهل العلم ؛ كما لا لرفعته وعلو مرتبته. (1)

وقبل أن يعرض "ابن الأکفاني" تصنيفه ؛ يورد مقدمة عنوانها " مقدمة تشتمل على شرف العلم ، وشروط التعليم والتعلم ، والقول في شرف العلم و العلماء ". (2)

يقول "ابن الأکفاني" : « كفى بالعلم شرفا أن الله تعالى وصف به نفسه ، ومنحه أنبياءه وخص به أوليائه ، وجعله وسيلة إلى معرفته ، وسببا إلى الحياة الأبدية ، والنجاة من الشقاوة السرمدية ، والفوز بالسعادة الأخروية ، وجعل العلماء تلو ملائكته في الإقرار بربوبيته ، والاختصاص بمعرفته ، فالعلم أشرف ما ورث عن أشرف موروث ... وهو يكسب صاحبه الطاعة لربه ». (3)

ثم يورد مجموعة كبيرة من الآيات والأحاديث التي تشرف العلم وتعلي من شأنه ، وكذا بعض أقوال الصحابة (رضي الله عنهم ) في منفعة العلم .

بعد ذلك ينتقل "ابن الأکفاني" إلى الحديث عن العلوم ومراتبها في الأشرفية " فالعلوم مع اشتراكها في الشرف تتفاوت فيه ، فمنها ما هو بحسب الموضوع كالطب ، فإن موضوعه بدن الإنسان ، ولا خفاء بشرفه ، ومنها ما هو حسب الغاية كعلم الأخلاق ؛ فإن غايته معرفة الفضائل الإنسانية ، ومنها ما هو بحسب الحاجة إليه كالفقه فإن الحاجة إليه ماسة ، ومنها ما هو بحسب وثاقة الحجج كالعلوم الرياضية ؛ فإنها برهانية يقينية. (4) ثم يضيف : " ومن العلوم ما يقوى شرفه باجتماع هذه الاعتبارات فيه أو أكثرها ؛ كالعلم الإلهي ؛ فإن موضوعه شريف وغايته فاضلة ، والحاجة إليه مهمة ". (5)

ثم يضع "ابن الأکفاني" - في معرض حديثه عن العلوم - حدودا لفهم غايات العلم فيقول : « فمن الوجوه المغلطة أن يظن بالعلم فوق غايته ؛ كمن يتعلم علما للمال والجاه ، فالعلوم ليس الغرض منها الاكتساب ، بل الاطلاع على الحقائق وتهذيب الأخلاق ... وإذا صار عليه أجرة تداني إليه الأخصاء وأرباب الكسل فيكون ذلك سببا لارتفاعه ». (6)

(1) ابن الأکفاني ، المصدر السابق ، ص 92 .

(2) المصدر نفسه ، ص 93 .

(3) المصدر نفسه ، ص 93 .

(4)،(5) المصدر نفسه ، ص 95 .

(6) نفسه ، ص ص 97-105 .

ثم يعود "ابن الأكفاني" ليستشهد بمجموع الآيات والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة (رضي الله عنهم ) التي تبحث غايات العلوم ، وضرب الأمثلة لذلك ، ويفرد فصلاً آخر في : القول في التعليم والتعلم وشروطهما " التي يجعلها في اثنا عشر شرطاً ووصية .<sup>(1)</sup>

### تصنيف ابن الأكفاني للعلوم

يبدأ "ابن الأكفاني" تصنيفه للعلوم في فصل " القول في حصر العلوم " .  
فالعلم عنده إما مقصود لذاته أو لا (لغيره).

فالأول : العلوم الحكيمة ؛ والمراد بها استكمال النفس الناطقة في قوتها النظرية والعملية بحسب الطاقة الإنسانية .

فالنظرية ؛ تكون بمحصول الاعتقادات اليقينية في معرفة الموجودات وأحوالها .

العملية : تكون بتزكية النفس باقتنائها الفضائل ، واجتنابها الرذائل .  
والثاني : هو ما لا يكون مقصود لذاته ، بل هو آلة لغيره .

فإما للمعاني : وهو علم المنطق .

أو لما يتوصل به إلى المعاني من اللفظ والخط ، وهو علم الأدب .<sup>(2)</sup>

العلوم الحكيمة النظرية : تنقسم إلى أعلى وأدنى وأوسط .

فالأعلى : هو العلم الإلهي ؛ ونظره في الأمور المجردة عن المادة الجسمية ، وعلاقتها في العقل وفي الحس .

والأدنى : هو العلم الطبيعي ؛ ويكون في أمور مادية في الذهن وفي الخارج .

والأوسط : يكون في علوم يصح تجردها عن المادية في الذهن فقط ، وعكس هذا القسم ممتنع ، لاستحالة تجرد شيء في الخارج دون الذهن.<sup>(3)</sup>

وتنحصر العلوم الرياضية في أربعة علوم : الهندسة ، والهيئة (الفلك) ، والعدد ، والموسيقى.<sup>(4)</sup>

(1) ابن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص ص 97- 105 .

(2) المصدر نفسه ، ص 106 .

(3) المصدر نفسه ، ص 107 .

(4) نفسه ، ص 107 .

العلوم الحكمية العملية : وتنقسم إلى : السياسة والأخلاق وتدبير المنزل.<sup>(1)</sup>

وذلك لأن اعتباره إما للأمور العامة فعلم السياسة ، أو الأمور الخاصة فإما الشخص وحده فالعلم الأخلاق ، أو مع خاصته فعلم تدبير المنزل.<sup>(2)</sup>

وبعد ذكره للعلوم الثلاثة التي عدها أصولاً (العلم الإلهي ، العلم الرياضي ، العلم الطبيعي ) ينتقل "ابن الأکفاني" إلى فروع هذه العلوم أو الأصول يقول : « ومتى كان الموضوع كلياً ؛ فالعلم الناظر فيه أصلي ، ومتى كان جزئياً ؛ فالعلم الناظر فيه فرعي كالطب بالنسبة إلى العلم الطبيعي ؛ فإن موضوع الطب بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض ، وهو مندرج تحت موضوع العلم الطبيعي لأنه ينظر في الأجسام مطلقاً ولواحقها».<sup>(3)</sup>

بعد ذلك ينتقل إلى تناول العلوم الأصلية والفرعية ، فيبدأ بعلم الأدب الذي أطل في . يقول : «علم الأدب هو علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة؛ وموضوعه اللفظ والخط ، ومنفعته إظهار ما في نفس إنسان ما من المعاني ، وإيضاله إلى شخص آخر من النوع الإنساني ... وهو حلية اللسان والبنان ، وبه يتميز الإنسان عن الحيوان ...»<sup>(4)</sup>

وتنحصر مقاصده (علم الأدب) في عشرة علوم هي :

علم اللغة، وعلم التصريف ، وعلم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، وعلم العروض، وعلم القوافي ، وعلم النحو ، وعلم قوانين الكتابة والقراءة.<sup>(5)</sup>

فعلم اللغة : هو علم نقل الألفاظ الدالة على المعاني المفردة وضبطها .. وتفصيل ما يدل على أحداث وما يدل على أدوات ، وبيان ما يدل على الأجناس الأشياء وأنواعها ... ويحتاج إلى علمي النحو والتصريف.<sup>(6)</sup>

(1)، (2) ابن الأکفاني ، المصدر السابق ، ص 108 .

(3) نفس المصدر ونفس الموضوع

(4) المصدر نفسه ، ص 109 .

(5) المصدر نفسه ، ص 109 .

(6) نفسه ، ص 111 .

وعلم التصريف : هو علم بأصول أبنية الكلم وأحوالها ؛ فيبحث عن الحروف البسيطة ، وأنواع الأبنية ، وتغيرها عند اللواحق ، وما يختص منها بالأفعال ، وما يختص منها بالأسماء .<sup>(1)</sup>

وعلم المعاني : يعرف منه أحوال الألفاظ المركبة ، وقيود دلالتها ، ونسبها الإسنادية وأحوال المسند والمسند إليه في الجمل ، وأحوال الفصل و الوصل بينهما.<sup>(2)</sup>

علم البيان : هو علم يعرف فيه أحوال الأقاويل المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء من الخطب والرسائل والأشعار من جهة بلاغتها وخلوها من اللكن.<sup>(3)</sup>

علم البديع : هو علم يبحث فيه عن مواد الأقاويل الشعرية ، وكيف تستعمل للتزيين والتحسين في سائر أحوالها.<sup>(4)</sup>

علم العروض : هو علم يتعرف منه صحيح أوزان الشعر وفاسدها ، وأنواع الأوزان المستعملة المسماة بالبحور ، وكيفية تحليلها إلى أجزائها المسماة بالتفاعيل ومقادير الأبيات و المصارع ، وأصناف التغيرات المسماة بالعلل والزخافات.<sup>(5)</sup>

علم القوافي : وهو علم يتعرف منه أحوال نهايات الشعر ؛ على أي وجه تكون ، وكم هي وأي نهايات بحرف (الروي) وأيها بأكثر من حرف ، وكم أكثرها.<sup>(6)</sup>

النحو : هو علم يتعرف منه أحوال اللفظ المركب من جهة ما يلحقه من التغيرات المسماة بالإعراب والبناء ، وأنواعها من الحركات والحروف ومواضعها ولزومها ، وكيفية دخولها في الجمل لتسبين دلالتها.<sup>(7)</sup>

قوانين الكتابة : هو علم يتعرف منه صور الحروف المفردة ، وأوضاعها وكيفية تركيبها خطأ ، وما يكتب منها في السطور ، وإبدال ما يبدل منها وبماذا يبدل .<sup>(8)</sup>

(1) ابن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص 112 .

(2) المصدر نفسه ، ص 115 .

(3) المصدر نفسه ، ص 116 .

(4) المصدر نفسه ، ص 117 .

(5) المصدر نفسه ، ص 119 .

(6) نفسه ، ص 121 .

(7) نفسه ، ص 122 .

(8) نفسه ، ص 124 .



قوانين القراءة : هو علم ملازم لسابقه ، يعرف منه العلامات الدالة على ما يكتب في السطور من الحروف المميزة ، وأحوال العلامات وأحكامها.<sup>(1)</sup>

وبعلم قوانين القراءة ينتهي المصنف من عرضه علوم الأدب ، التي تناول فيها علوما هي أقرب إلى الفنون والوسائل منها إلى علوم قائمة بذاتها لها خصوصياتها المعرفية .  
وبعد علم الأدب ؛ ينتقل إلى فصل "القول في المنطق" والذي قسم فيه علوم المنطق إلى تسعة علوم كما قسمه "أرسطو" .

" المنطق علم يتعرف فيه ضروب الانتقالات من أمور حاصلة في ذهن الإنسان إلى أمور مستحصلة فيه ، وأحوال تلك الأمور ، وأصناف ترتيب الانتقال فيه وهيئة جاريان على الاستقامة وأصناف ما ليس كذلك .

وموضوعه المعلومات التصويرية والتصديقية من حيث توصل إلى مطلوب تصوري أو مطلوب تصديقي تأديا صوابا ، وإشتقاقه من النطق الداخلي أي القوة العاقلة "<sup>(2)</sup>

ثم يقسمه المصنف كما قسمه "أرسطو طاليس" (يقول هو ) إلى تسعة أجزاء:<sup>(3)</sup>

الجزء الأول يسمى ايساغوجي ، ومعناه المدخل ، ويتبين فيه الألفاظ والمعاني المفردة من حيث هي عامة .

الجنس الثاني : يسمى قاطيغورياس ، ومعناه المقولات ، ويتبين فيه المعاني المفردة الشاملة لعموم الجميع الموجودات ، وهي الجواهر والأعراض التسعة .

الجنس الثالث : يسمى أديرمينياس ، ومعناه العبارة وفيه كيفية تركيب المعاني المفردة .

الجزء الرابع : يسمى ارنولوطيقي ، ومعناه التحليل بالعكس ، ويبين فيه كيفية تركيب القضايا .

الجزء الخامس : يسمى أدببتيقي ، ومعناه البرهان ، ويتبين فيه شرائط القياس اليقيني ومقدماته .

الجزء السادس : يسمى طوبيقي ، ومعناه المواضع ، ويراد بها الجدلية .

الجزء السابع : يسمى ريطورقي ، ومعناه الخطابي ، ويتبين منه القياسات الخطابية والبلاغية المقنعة النافعة .

الجزء الثامن : طوربيقي ، ومعناه الشعري ، ويتبين فيه حال القياسات الشعرية ومقدماتها .

(1) ابن الأكتفاني ، المصدر السابق ، ص 125 .

(2) المصدر نفسه ، ص 126 .

(3) نفسه ، ص ص 126 - 127 .

الجزء التاسع : يسمى سوفسطيقي ، ومعناه نقص شبه الموهين ، ويتبين فيه القياسات المغالطية ، وأصناف الغلط الواقعة في الحدود .

وبعد تعداده لأجزاء المنطق ؛ يشير "ابن الأكفاني" أن المنطق علم قائم بذاته وليس آلة لغيره ، وهو علم نافع ومفيد .

يقول : «ومن الناس من زعم أن المنطق آلة لغيره من العلوم ، فلا يكون علما في نفسه وهو تحامل ، لأن كونه آلة لا ينفي كونه علما في نفسه ، فالهندسة آلة لعلم الهيئة وعلم في نفسه ، .... وقد رفض هذا العلم وجحد من لم يفهمه ولا اطلع عليه عداوة لما جهل»<sup>(1)</sup>.

بعد المنطق ينتقل المصنف إلى الحديث عن العلم الإلهي والذي يتناول فيه تقسيم العلوم الإسلامية . " فالعلم الإلهي يبحث فيه عن الموجودات كلها ؛ من حيث تعيينها وثبوتها وتحقق حقائقها ، وما يعرض لها ، ونسب ما بينها وما يعمها وما يخصها ؛ من حيث هي موجودات مجردة عن المادة وعلائقها .

وموضوعه الموجودات وأحوالها من هذه الحثية ، ويعبر عنه بالعلم الإلهي لاشتماله على علم الربوبية ، وبالعلم الكلي لعمومه وشموله بالنظر لكليات الموجودات وبعلم ما بعد الطبيعة موضوعه من المسواد ولواحقها وأجزاؤه خمسة :<sup>(2)</sup>

الأول : النظر في الأمور العامة مثل الوجود والماهية ، والوحدة والكثرة ، والوجوب والإمكان ، والقدم والحدوث ، والأسباب والمسببات ، وما يجري في هذا المجرى .

الثاني : النظر في مبادئ العلوم كلها وتبين مقدماتها ومراتبها .

الثالث : النظر في إثبات وجود الإله الحق ، والدلالة على وحدته وتفردته بالربوبية وإثبات صفاته ، وبيان أنها لا توجد كثرة في ذاته .

الرابع : النظر في إثبات الجواهر المجردة من العقول والنفوس والملائكة والجن والشياطين وحقائقها وأحوالها .

الخامس : أحوال النفوس البشرية بعد مفارقتها الهياكل الإنسانية ، وحال المعاد وكيفية ارتباط الخلق بالأمر .

(1) ابن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص 128 .

(2) المصدر نفسه ، ص 132 .

وهذا العلم هو المقصود بالذات الإنسان في كمال ذاته وسعادته في دار البقاء وكل علم سواه إن تعلق منفعتة بأمر المعاد فهو وسيلة إليه ، وإن تعلق بأمر المعاش فهو خدم لما يعدله ، وسائر العلوم تستمد منه مبادئها وتفتقر إليه وهو غني عنها .<sup>(2)</sup>

وبعد أن يطيل "ابن الأکفاني" في ذكر الفرق التي اختلفت في الإلهيات وأفعال الإنسان ينتقل إلى العلوم الإنسانية ويبدأ بـ :

علم النواميس : " وهو علم يعرف به أحوال النبوة وحقيقتها ووجه الحاجة إليها ، والناموس يقال على الرحي ، وعلى الملك النازل به وعلى السنة ....

ومن المعلوم أن إرسال الرسل عليهم السلام إنما هو لطف من الله تعالى بخلقه ورحمة بهم ، ليتم لهم أمر معاشهم ، ويتبين حال معادهم ، فتشمل الشريعة ضرورة على المعتقدات الصحيحة التي يجب التصديق بها ، والعبادات المقربة إلى الله تعالى مما يجب القيام به والمواظبة عليه ، والأمر بالفضائل ، والنهي عن الرذائل مما يجب قبوله فينتظم من ذلك ثمانية علوم شرعية :<sup>(2)</sup>

علم القراءات ، وعلم رواية الحديث ، وعلم تفسير الكتاب المنزل على النبي المرسل ، وعلم دراية الحديث ، وعلم أصول الدين ، وعلم أصول الفقه ، وعلم الجدل ، وعلم الفقه .  
وذلك لأن المقصود إما النقل ، وإما فهم المنقول ، وإما تقريره وتشيينه بالأدلة ، وإما استخراج الأحكام المستنبطة.<sup>(3)</sup>

ثم يأتي المصنف على تعريف العلوم السابقة بشرحها وذكر المصادر المختصة بها :<sup>(4)</sup>

علم القراءات : علم ينقل لغة القرآن ، وإعرابه الثابت بالسمع المتصل .

علم رواية الحديث : علم ينقل أقوال الرسول (ص) وأفعاله بالسمع المتصل وضبطها وتحريرها .

علم التفسير : علم يشتمل على معرفة فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه المرسل (ص) وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه .

علم دراية الحديث : علم يتعرف منه أنواع الرواية وأحكامها ، وأصناف الروايات ، واستخراج معانيها .

(2) ابن الأکفاني ، المصدر السابق ، ص 132 .

(2) المصدر نفسه ، ص 152 .

(3) المصدر نفسه ، ص 152 .

(4) المصدر نفسه ، ص ص 154 - 164 .

علم أصول الدين يشتمل على بيان الآراء والمعتقدات التي صرح بها صاحب الشرع ، وإثباتها بالأدلة العقلية ونصرتها .

علم أصول الفقه : علم يتعرف منه تقرير مطالب الأحكام الشرعية العلمية ، وطريق استنباطها ومواد حججها واستخراجها بالنظر .

علم الجدل : علم يتعرف منه كيفية تقرير الحجج الشرعية ودفع الشبهة ، وقوادح الأدلة ، وترتيب النكت الخلافية ، وهذا مولد من الجدل الذي هو أحد أجزاء المنطق .

علم الفقه : علم بأحكام التكاليف الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات والعادات ونحوها .

بعد العلم الإلهي ينتقل المصنف إلى العلم الطبيعي :

وهو علم يبحث فيه عن أحوال الجسم المحسوس ؛ من حيث هو معرض للتفسير في الأحوال والثبات فيها ، وهو على ثمانية أجزاء كما عند " أرسطو" :<sup>(1)</sup>

السماع الطبيعي ، السماء والعالم ، الحس المحسوس .

أما العلوم التي تتفرع عن العلم الطبيعي فهي عشرة:<sup>(2)</sup>

علم الطب ، علم البيطرة ، وعلم البيطرة ، وعلم الفراسة ، وعلم تعبیر الرؤيا ، وعلم أحكام النجوم ، وعلم السحر ، وعلم الطلسمات ، وعلم السيمياء ، وعلم الكيمياء ، وعلم الفلاحة .

فعلم الطب يبحث فيه عن بدن الإنسان ؛ من جهة ما يصح ويمرض ، ليلتمس حفظ الصحة وإزالة المرض ، وهو نظري وعملي.<sup>(3)</sup>

علم البيطرة والبيطرة : الحال فيه بالنسبة إلى هذه الحيوانات كالحال في الطب بالنسبة للإنسان .<sup>(4)</sup>

علم الفراسة : علم يتعرف منه أخلاق الإنسان من هيئته ومزاجه وتوابعه ، وحاصله أنه الاستدلال بإتخلق الظاهر على الخلق الباطن.<sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> ابن الأکفاني ، المصدر السابق ، ص 168 - 169 .

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه ، ص 169 .

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه ، ص 170 .

<sup>(4)</sup> نفسه ، ص 175 .

<sup>(5)</sup> نفسه ، ص 176 .

علم تعبير الرؤيا : علم يتعرف منه الاستدلال من التخيلات الحلمية ؛ على ما شاهدته النفس من عالم الغيب. (1)

علم أحكام النجوم : علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية. (2)  
علم السحر : علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية ؛ يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية ومنفعته أن يعلم ليحذر لا يعمل به. (3)

علم الطلسمات : علم يعرف منه كيفية تمزيج القوى العالية الفعالة بالقوى السافلة المنفعلة ؛ ليحدث عنها فعل غريب في عالم الكون والفساد ، وعلمه أقرب مأخذا من علم السحر. (4)  
علم السيمياء : يطلق على غير الحقيقي من السحر ، وهو الأشهر وحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس ، ويطلق على تلك المثالات بصورها في الحس. (5)

علم الكيمياء : علم يراد به سلب الجواهر المعدنية ؛ خواصها وإفادتها خواصا لم تكن لها ، والاعتماد فيه على الفلزات كلها مشتركة في النوعية ، والاختلاف الظاهر بينها ، وإنما هي بأمور عرضية يجوز انتقالها ، لأن الاستحالة في الطبيعة غير منكرة. (6)

علم الفلاحة : علم يعرف منه كيفية تدبير النباتات من بدء كونه إلى إتمام نشوئه ، وهذا التدبير إنما هو باصلاح الأرض بالماء ، وبما يخلخلها ويحميها من المعفئات كالسماد ونحوه مع مراعاة الأهوية ، ويختلف باختلاف الأماكن. (7)

ويستأنف "ابن الأكفاني" تعداده للعلوم ومنها أيضا من العلم الطبيعي :  
علم الرمل : هو العلم الذي إن كان يستبدل بأشكاله على أحوال المسألة حين السؤال ، وإنما يستبدل بأمور تخمينية ، الاعتماد فيها على تجارب غير كافية. (8)

وبعد انتهائه من تعداد فروع العلم الطبيعي ، ينتقل المصنف إلى الحديث عن العلم الأصلي .

(1) ابن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص 177 .

(2) المصدر نفسه ، ص 178 .

(3) المصدر نفسه ، ص 180 .

(4) المصدر نفسه ، ص 183 .

(5) المصدر نفسه ، ص 184 .

(6) نفسه ، ص 185 .

(7) نفسه ، ص 187 .

(8) نفسه ، ص 188 .

ومن فروع العلم الطبيعي: (1)

الهندسة: علم يعرف منه أحوال المقادير ولواحقها ، وأوضاع بعضها عند البعض ونسبها ، وخواص أشكالها ، والطرق إلى عمل ما سبيله أن يعمل بها ، واستخراج ما يحتاج إلى استخراجها بالبراهين اليقينية . وموضوعه المقادير المطلقة ؛ أعني الجسم التعليمي والسطح والخط ولواحقها من الزاوية والنقطة والشكل ، وأجزاؤه الأصلية عشرة منها : الخطوط المستقيمة ، والدوائر ، والخطوط المنحنية ، والخواص العددية ، وأحوال المجسمات ... والعلوم المتفرعة عن الهندسة عشرة: (2)

علم عقود الأبنية ، وعلم المناظر ، وعلم المرايا المحرقة ، وعلم مراكز الأثقال ، وعلم المساحة ، وعلم إنباط المياه ، وعلم جر الأثقال ، وعلم البنكومات ، وعلم الآلات الروحانية .

فعلم عقود الأبنية : علم يتعرف منه أحوال أوضاع الأبنية وكيفية شق الأنهار ، وتقنية التقني ، وسد البثوق ، وتنضيد المساكن .

علم المناظر : علم يعرف منه أحوال المبصرات في كميتها وكيفيةها .

علم المرايا المحرقة : علم يعترف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ، ومواقعها وزواياها ومراجعتها .

علم مراكز الأثقال : علم يتعرف منه كيفية استخراج مركز ثقل الجسم المحمول .

علم المساحة : علم يتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والأجسام بما يقدرها من الخط والمربع والمكعب .

علم أنباط المياه : علم يتعرف منه كيفية استخراج المياه الكامنة في الأرض وإظهارها .

علم جر الأثقال : علم يتبين فيه إيجاد الآلات الثقيلة .

علم البنكومات : علم يتبين فيه كيفية إيجاد الآلات المقدرة للزمان .

علم الآلات الحربية : علم يتبين منه كيفية إيجاد الآلات الحربية كالمجانيق وغيرها .

علم الآلات الروحانية : علم يتبين فيه كيفية إيجاد الآلات المرتبة على ضرورة عدم الخلاء ونحوها من آلات الشراب وغيرها .

(1) ابن الأكفاني ، المصدر السابق ، ص ص 189 - 190 .

(2) المصدر نفسه ، ص ص 192 - 201 .

علم الهيئة : وهو علم يعلم منه أحوال الأجرام البسيطة العليا والسفلية ، وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعاد ما بينها ، وحركات الكواكب والأفلاك ومقاديرها....<sup>(1)</sup>

وبعد إطلالته في علم الهيئة ، ينتقل إلى علم الزيجات والتقويم ؛ وهو علم يتعرف منه مقادير كواكب السيارة منتزعا من الأصول الكلية.<sup>(2)</sup>

وعلم المواقيت يعترف منه أزمانه الأيام والليالي وأحوالها ، وكيفية التوصل إليها .<sup>(3)</sup>

علم الأرصاد : علم يعترف منه كيفية تحصيل المقادير الحركات الفلكية ، والتوصل إليها بالآلات الرصدية.<sup>(4)</sup>

علم تسطيح الكرة : علم يتعرف منه كيفية إيجاد الآلات الشعاعية.<sup>(5)</sup>

علم الآلات الظلية: علم يتعرف فيه مقادير ظلال المقاييس وأحوالها والخطوط التي ترسمها أطرافها.<sup>(6)</sup>

ثم ينتقل المصنف إلى فصل القول في العدد :

ويسمى الأرقاماطيقي ؛ وهو علم يتعلم منه أنواع العدد وأحوالها ، وكيفية تولد بعضها من بعض ، وموضوعه الأعداد من جهة لوازمها وخواصها وينقسم إلى جزئين :<sup>(7)</sup>

الأول منهما : يبحث فيه عن لواحق الأعداد في ذاتها كالزوجية والفردية ونحوها .

الثاني : يبحث فيه عن لواحق الأعداد ؛ عند إضافة بعضها إلى بعض ، كالتساوي والتفاضل والتناسب والتباين ونحوها ، واستخراج ما سبيله أن يستخرج منها .

ثم علم الحساب المفتوح :

وهو علم يتعرف منه كيفية مزاولة الأعداد لاستخراج المعلومات الحسائية من الجمع والتفريق والتناسب.<sup>(8)</sup>

(1) ابن الأكفاني ، المصدر السابق ، 202 .

(2) المصدر نفسه ، ص 205 .

(3) المصدر نفسه ، ص 206 .

(4) المصدر نفسه ، ص 207 .

(5) المصدر نفسه ، ص 208 .

(6) نفسه ، ص 209 .

(7) نفسه ، ص 210 .

(8) نفسه ، ص 212 .

علم حساب التخت والميل : علم يتعرف منه كيفية مزاولة الأعمال الحسابية برقوم تدل على الأحاد وتعني عما بعدها من المراتب. (1)

وعلم الجبر والمقابلة : علم يتعرف منه كيفية استخراج المجهولات العددية بمعادلاتها لمعلومات تخصها. (2)

ثم يشير المصنف إلى علم حساب الخطائين ، وعلم حساب الدور والوصايا ، وعلم حساب الدرهم والدينار. (3)

ينتقل بعده المصنف إلى الحديث عن علم الموسيقى :

هو علم يعلم منه النغم والإيقاع وأحوالها ، وكيفية تأليف اللحن ، وإيجاد الآلات الموسيقية ، وموضوعه الصوت من جهة تأثيره في النفس ؛ باعتبار نظامه في طبقة وزمانه وأجزائه خمسة : (4) في المبادئ وكيفية استنباطها ، في النغم وأحوالها ، وفي الإيقاع ، وفي كيفية تأليف الألحان وبيان الملائم منها ، والخامس في إيجاد الآلات الموسيقارية وتقديرها .

ثم ينتقل بعده إلى القول في العلوم العملية وهي : السياسة ، وعلم الأخلاق ، وعلم تدبير المنزل . فعلم السياسة : وهو علم يعلم منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها وموضوعه معرفة المراتب المدنية وأحكامها. (5)

وعلم الأخلاق : هو علم يعلم منه أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها ، وأنواع الرذائل ، وكيفية اجتنابها وموضوعه الملكات النفسية من الأمور العادية ، ومنفعته أن يكون الإنسان كاملاً في أفعاله بحسب إمكانه لتكون أولاه سعيدة وأخراه حميدة. (6)

وعلم تدبير المنزل : هو علم يعلم منه الأحوال المشتركة بين الإنسان وزوجه وولده وخدمه ، ووجه الصواب فيها ، وموضوعه أحوال الأهل والخدم. (7)

وعلى ذكر العلوم العملية يأتي "ابن الأکفاني" على ختام تصنيف العلوم .

(1) ابن الأکفاني ، المصدر السابق ، ص 212 .

(2) المصدر نفسه ، ص 214 .

(3) المصدر نفسه ، ص 217 .

(4) المصدر نفسه ، ص ص 218-219 .

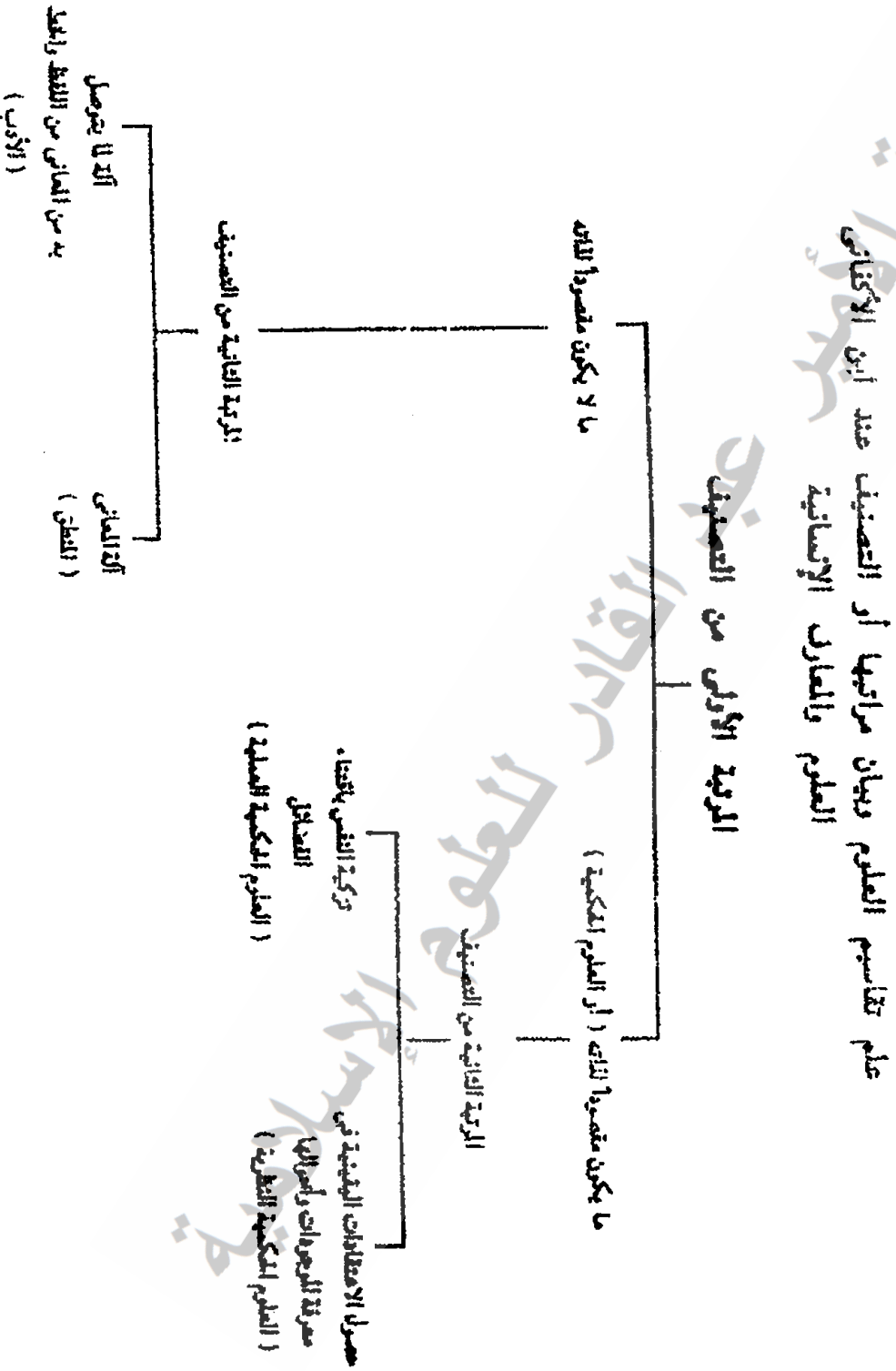
(5) المصدر نفسه ، ص 221 .

(6) نفسه ، ص 222 .

(7) نفسه ، ص 223 .

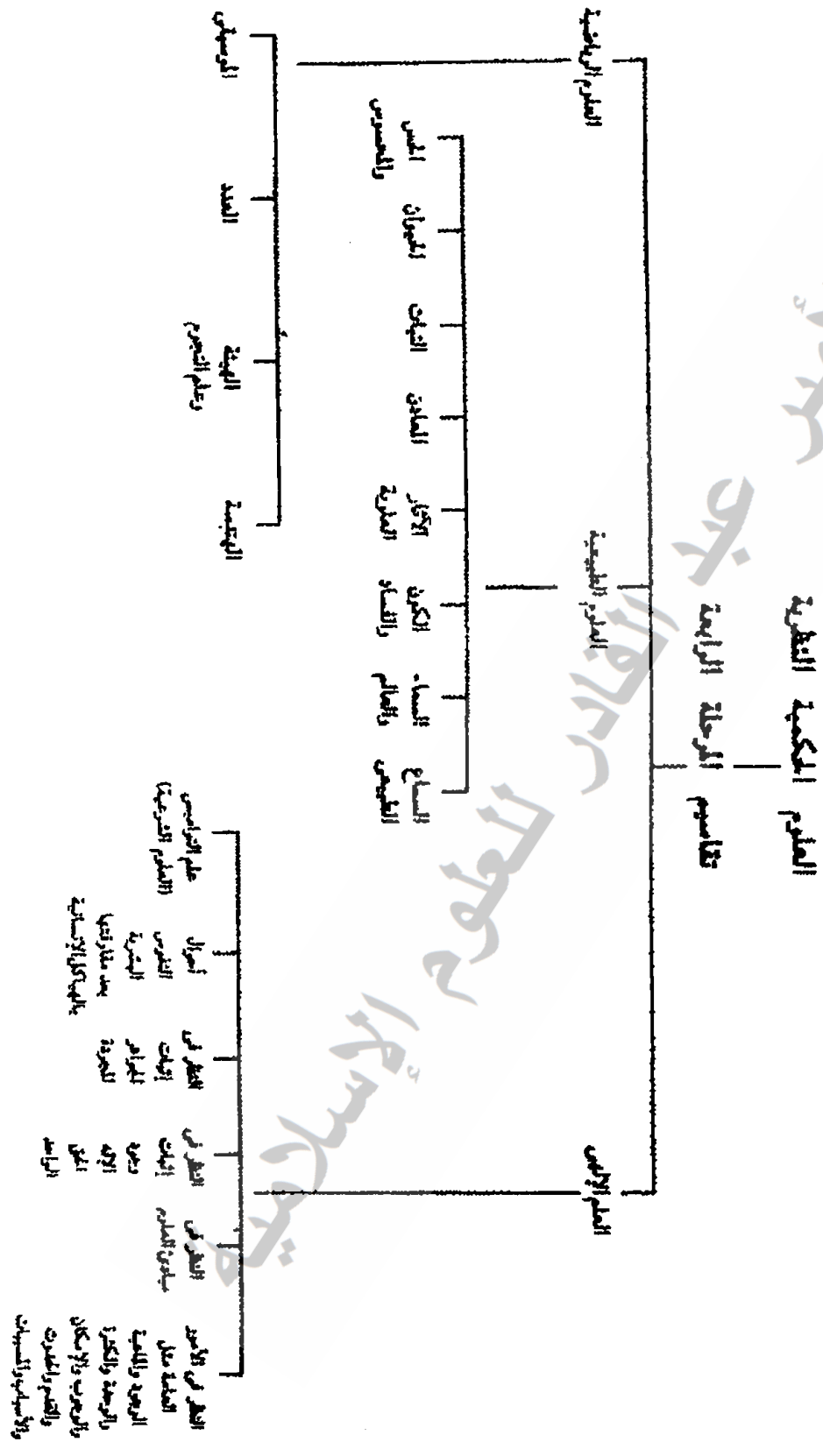


علم تقاسيم العلوم وبيان مراتبها أو التصنيف عند ابن الأثير  
العلوم والمعارف الإنسانية

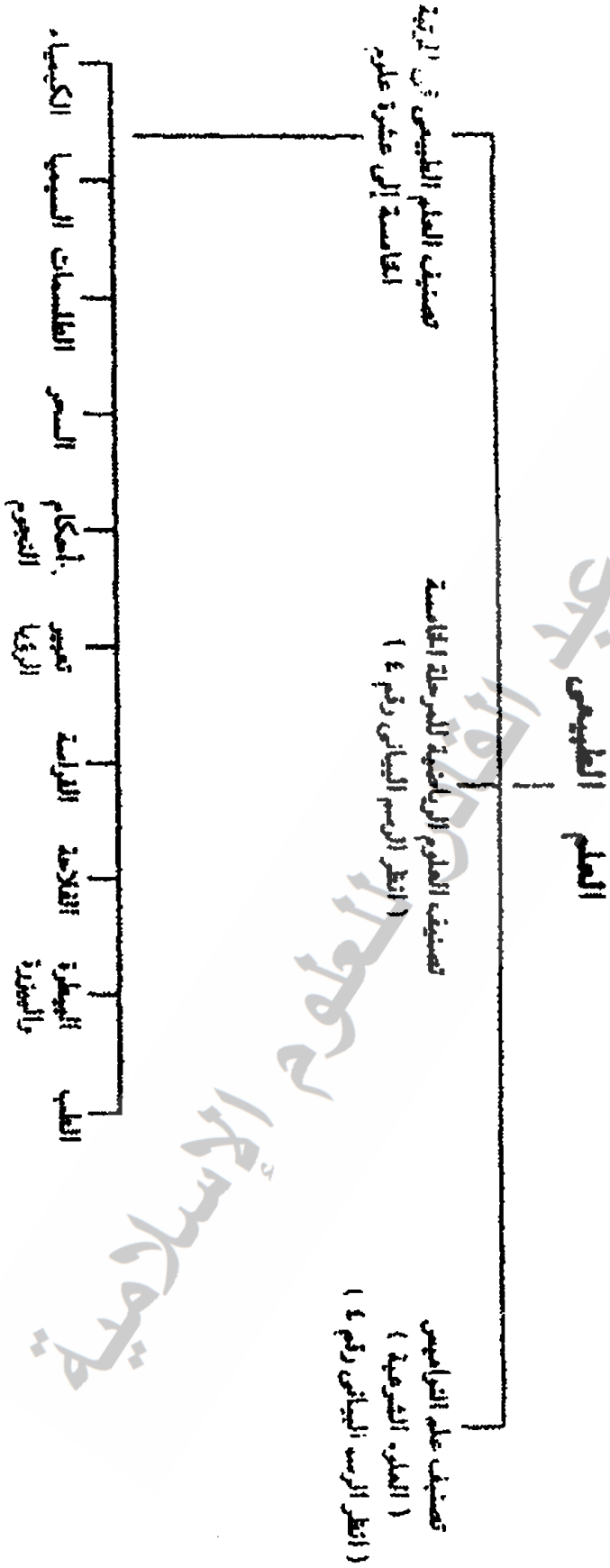




علم تقاسيم العلوم ويبيان مراتبها أو التصنيف عند ابن الأثير  
تقاسيم الزمنية القائمة إلى الرحلة الرابعة



علم تقاسيم العلوم أو التصنيف عند ابن الأثيري  
 تابع تقاسيم المرتبة الرابعة إلى المرتبة الخامسة







## 2-4 أساس تصنيف العلوم في المدرسة الدينية التأصيلية :

لا شك أن المتأمل في التصنيف السابقة ؛ ضمن المدرسة الدينية التأصيلية يدرك أن نسقها يكاد يكون حراً - في بنيتها العامة وفي روابطه - من التأثير اليوناني الذي ظهر بشكل واضح في الواجهة عقديّة في تصنيفها للعلوم فقد اختلف في هذه التصنيفات مفهوم التقسيم الثنائي إلى نظري وعملي ، كما انحصر ذلك الترتيب الذي يقدم العلوم ذات الطابع التجريدي .

ولعل من اللازم التأكيد عليه بصدد المدرسة الدينية ؛ هي إنتاجها لطريق التربية والتعليم ، فلم يكن تصنيفها مجرد ترتيب وتقسيم للمعرفة الإنسانية ؛ بقدر ما كانت تلك التصنيفات تهدف إلى تمكين الدين ، سواء على المستوى النظري المبني على الفهم ، أو على مستوى العمل بمقتضيات الدين أي السلوك .

وأبرز دليل على تأكيد المعنى الغائي للدين ؛ هو ما أشار إليه المصنفون من تفریق بين العلوم احسودة والعلوم المذمومة ، وتأكيد أهمية العلم الإلهي بالشرف ؛ ذلك العلم الذي يقوم على ميزان العرف والشرع ، مما عكس بعدا عقائديا إسلاميا واضحا ، ذا منهج تربوي يهدف إلى تعليم العلوم ومعرفة مقتضياتها .

فإذا نظرنا إلى تصنيف "الغزالي" في كتابه فاتحة العلوم ؛ نجد أنه يقسم كتابه إلى عدة أقسام هي :  
الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم ، والثاني في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم ، وبيان نفعه والكلام من علوم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا ، والثالث فيما تعده العامة من علوم الدين ، وفيه بيان جنس العلم للمذموم وقدره ، والرابع في آداب المعلم والمتعلم ، والخامس في العلم وعباده والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة ، والسادس في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار ، ومن عناوين هذه الأقسام يتضح بجلاء التوجه الديني والأخلاقي لـ "الغزالي" في تصنيفه للعلوم ، حيث يؤكد على فضيلة التعلم والتعليم ، وأنهما مطلوبان لذاتهما ووسيلة إلى دار الآخرة .  
وذريعة إلى القرب إلى الله تعالى .<sup>(1)</sup>

فضيلة العلم والتعليم كما يراها "الغزالي" ؛ تنقل الناس من حد الهمجية إلى حد الإنسانية " - لا العلماء لصار الناس مثل اليهائم ، أي أنهم بالتعلم يخرجون الناس من حد الهمجية إلى حد الإنسانية .<sup>(2)</sup>

(1) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ص 09 .

(2) المصدر نفسه ، ص 16 .

وهذا ما دفع "الغزالي" إلى تصنيف العلوم إلى علوم محمودة ومذمومة ؛ لأن العلم الحقيقي هو العلم الذي ينقل الناس من حد الفوضى والاضطراب والهمجية إلى طور السعادة الإنسانية ؛ تلك السعادة التي تتحقق بالقرب من الله .

ومن هنا يتناول "الغزالي" معظم الحرف والصناعات التي ينتظم بها أمر الدنيا ؛ باعتبارها طريقا إلى الحياة الأخروية ، في صورة أبان فيها الغزالي عن أساس ذوقي باطني ، فالعلوم كلها تهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ؛ وهو ما عبر عنه في تقسيمه لعلوم الآخرة : بعلم مكاشفة وعلم المعاملة . وهو نفس التصور الذي عرضه في تصنيفه في كتاب "الرسالة اللدنية" حينما قسم العلم العملي إلى: حق الله تعالى (أركان العبادات) وحق العبادات (أبواب العادات)<sup>(1)</sup> وفي نفس الكتاب دافع "الغزالي" عن العلم العقلي حينما قسم العلم إلى علم شرعي وعقلي<sup>(2)</sup> ، فلم يتجاهله .

ونستطيع أن ندرك بسهولة ذلك البعد الصوفي أو الأساس الصوفي للعلم ، وطريقة تحصيله في ختام (الرسالة اللدنية)<sup>(3)</sup> ، وكذا في نسق كتابه (المشقد من الضلال) وهو تلخيص للخبرة الروحية التي عاشها الغزالي وكذا تجربته الصوفية ، التي ظهرت في انتقال التصنيف من الموضوعية الخالصة "الرياضيات النظرية" إلى أن تنتهي بالذاتية الخالصة ذات الصبغة النفسية الشخصية "التصوف" يقول "الغزالي": «العلم اللدني أقوى وأحكم من العلوم المكتسبة المحصلة بالتعلم».<sup>(4)</sup>

وهكذا فالمفهوم العلمي للعلم عند "الغزالي"؛ هو مفهوم ديني محض خالص ، فالعالم بالنسبة إليه هو العارف والبصير بحلال الله وحرامه ، ولهذا فأساس تصنيفه للعلوم كان قائما على معرفة العلم الحقيقي والوصول إليه ، وهو المطلب أو الغاية التي كان يرجو وصولها ؛ فالعلم الحقيقي عنده هو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم.<sup>(5)</sup> (الشيخ)

ومن حيث انتهى "الغزالي" بالتصوف في تقسيمه ، انتهى به "التوحيدي" أيضا في ختام تعداده للعلوم، من حيث هو قيمة أخلاقية بمحتواها . وكان في ترتيبه مبتدئا بالعقل ومنتها بالقلب ، فالعلم الأول الذي بدأ به محاولته هو الفقه ، وهو من أكثر العلوم الدينية العقلانية .

(1) أبو حامد الغزالي ، الرسالة اللدنية ، مصدر سابق ، ص 36 .

(2) المصدر نفسه ، ص 32 .

(3) المصدر نفسه ، ص 38 .

(4) المصدر نفسه ، ص 22 .

(5) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 1 .



ونستطيع أن نقول أن "التوحيدى" ابتدأ بالنظر وانتهى بالعمل ، وبينهما يدرج السنة والقياس وهما طريقتين من طرق العقل في تناول ما يختص بعلوم الحديث ، وقد شايح "الغزالي" في دفاعه عن علوم العقل وعلاقتها بالشريع ؛ حيث قال في بداية رسالته : « والذي هاجني لهذه الشكوى ، وأحوجني إلى هذه العدوى ؛ قول قائل منكم ليس للمنطق مدخل للفقه ، ولا للفلسفة اتصال بالدين ، ولا للحكمة تأثير في الأحكام».(1)

فالعقل والمنطق لهما سندهما ومكائهما الأساس في منظومة الدين عموما ، وتفاصيل الشريعة خصوصا . ثم يذكر ما ذكره "الغزالي" لقيمة العلم وشرفه والدفاع عنه والاعلاء من شأنه يقول "التوحيدى" : « سبق في قضايا العقول الصحيحة ، وثبت في مقدمات الألباب الصريحة ، أن العلم أشرف من الجهل ، بل لا شرف للجهل ، فيكون غيره أشرف منه ، لأن الجهل عدم ، هكذا قيل هكذا والوجود أشرف من العدم ، والصحة أشرف من السقم...»(2)

وعند تشريف العلم وشرف قيمته يعنون " ابن الاكفاني " كتابه الذي أورد فيه تصنيفه للعلوم "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم" وقصد به : " أن يعلم حال كل علم من العلوم في نفسه ، ومرتبته بالنسبة إلى غيره من العلوم ، وحال العالم به ، وهل يستفاد به كمال نافع في الميعاد وأدب يفيد في المعاش " .(3)

فالعلم يهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، هذا الأساس هو نفسه الأساس الذي صنف به الغزالي علومه ، وهو نفسه أساس المدرسة الدينية .

وقد ذكر "ابن الأكفاني" أن الغرض من تأليف موسوعته المصغرة في العلوم ؛ هو غرض تربوي تعليمي ، فقال في مقدمة كتابه : « وبعد فإن بنا حاجة إلى تكميل نفوسنا البشرية؛ في قواها النظرية والعملية ، وإذا كان ذلك هو الوسيلة إلى السعادة الأبدية ».(4)

ثم ينتقل بعدها إلى عرض مقدمة أخرى في العلم وشروطه ذات بعد ديني إسلامي ؛ تقع في حوالي ثلاثة عشر صفحة(5) يعنى فيها بذكر القواعد والنظريات التربوية؛ التي يرى فيها أنها كفيلة "بتكملة النفوس البشرية" وقد حصر "ابن الأكفاني" العلوم والمعارف الإنسانية في نوعين اثنين أصليين ،

(1) التوحيدى ، رسالة أبي حيان في العلوم ، مصدر سابق ، ص 18 .

(2) المصدر نفسه ، ص 19 .

(3) ابن الأكفاني ، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم ، مصدر سابق ، ص 92 .

(4) المصدر نفسه ، ص 91 .

(5) أنظر : المصدر نفسه ، ص 93 .

وقسم كل نوع إلى علوم رئيسية عامة ؛ يحتوي كل منها على موضوعات كلية ، هي التي تميز كل علم عن الآخر ، ثم قسم كل علم رئيسي إلى مقاصده ، وهي ما تتفرع عنه من العلوم الجزئية . وقد أشار في قسم العلوم الحكمية العملية أنها تكون بتزكية النفس ؛ باقتنائها الفضائل واجتنابها الرذائل ، في إطار المقصد الكلي وهو السعادة الأبدية .

وفي تقسيمه للعلم الإلهي أبان "ابن الأکفاني" عن رؤية فلسفية عقلية في ذكر أجزائه؛ من خلال النظر في مبادئ العلوم وإثبات وجود الله تعالى ، والماهية والوجود ، وإثبات الجواهر المجردة من العقول ... ثم يستطرد في تقسيم علوم الشريعة القائمة على العقيدة الصحيحة؛ التي يجب التصديق بها - كما يقول - والعبادات المقربة إلى الله تعالى مما يجب القيام به والمواظبة عليه ، والأمر بالفضائل ، والنهي عن الرذائل ، مما يجب قبوله.<sup>(1)</sup>

وبهذا يؤكد "ابن الأکفاني" ما أكده سابقوه من المدرسة الدينية في إثبات المزوجة بين العقل والشرع ، أو بين الحكمة والشريعة ، أو بين الفلسفة والدين .

وبذلك يتفق الجميع حول :

- بيان ضرورة العلم وفائدته بالنسبة للإنسان
- ضرورة إدراك العلم الحقيقي وطلبه والكشف عن أسراره .
- وجوب اتفاق العقل والدين والظاهر والباطن في تحديد العلوم .

(1) ابن الأکفاني ، المصدر السابق ، ص 152 .

## المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند المدرسة العلمية

تهجد

3-1- تصنيف العلوم عند ابن خلدون .

3-2- تصنيف العلوم عند طاش كبرى زادة

3-3- تصنيف العلوم عند حاجي خليفة

3-4- أساس التصنيف عند المدرسة العلمية

تمهيد :

توفر في البيئة الفكرية الإسلامية زخم من العلوم والمعارف ؛ التي عكف عليها المسلمون بالبحث والترجمة ، وهي العلوم التي استقوها من الحضارات السابقة ، وكان نصيب العلوم العقلية منها وافرا؛ مما استدعى ذلك الاهتمام الطارئ - بعد نضج مختلف العلوم - بالجانب الديني الإسلامي الذي جمع بين العقل والنقل وبين الشريعة والحياة ؛ لتوجيه نتائج تلك العلوم وتقويمها وفق النظرة الشمولية الإسلامية، مثلما ظهر ذلك في فلسفة تصنيف العلوم عند أصحاب النزعة الدينية التأصيلية .

وبعد نضج مختلف العلوم واكتمالها ؛ برز في ساحة الفكر الإسلامي توجه جديد في تصنيف تلك العلوم ، وهو التوجه الذي عنت فلسفته بقيمة العلم وشرفه ، إضافة إلى وظيفته التربوية الحضارية ؛ في إطار الرؤية الإسلامية الذي تحض على الأخذ بكل علم .

وقد تمثل ذلك التوجه عند المدرسة العلمية في شكل تصنيف العلوم عند كل من : " ابن خلدون " و " طاش كبرى زادة " و " حاجي خليفة " .

## 3-1- تصنيف العلوم عند عبد الرحمان بن خلدون

يعرض "ابن خلدون" (ت 808 هـ) تصنيفه للعلوم في الباب السادس من كتابه المقدمة فيصنفها إلى صنفين:<sup>(1)</sup>

الصنف الأول : هو الصنف العقلي ؛ الذي يقف عليه الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي إليه بمداركة البشرية "الفطرية" كالسمع والبصر ، مصداقا لقوله تعالى : (( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ))<sup>(2)</sup> إلى موضوعاته ومسائله وإشكالاته ، وأطروحاته المعرفية ، وإلى براهينه ووجود تعليمه ووقوف نظره الفكري ، في البحث عن الصواب من الخطأ ، ذلك من حيث أنه إنسان ذو فكر ، وهذا الصنف يمثل العلوم الفلسفية والحكمية أو العلوم العقلية .

الصنف الثاني : وهو الصنف النقلي "الوضعي" الذي يؤخذ عن الواضع الإلهي الشرعي المستند إلى الخبر ، وهو الصنف الذي لا يحتاج إليه العقل ولا مجال فيه إلا في إلحاق الفروع بالأصول ، وهو الوجه القياسي المنطقي المتمثل في الجزئيات الحادثة المتعاقبة ، والذي لا يندرج تحت الوضع الإلهي الشرعي الكلي بمجرد وضعه ، وهذا القياس يتفرع عن الخبر لثبوت الحكم في الأصل وهو نقلي ، والقياس يرجع إلى النقل لتفرعه عنه ، وأصل هذه العلوم النقلية هي العلوم الشرعية .

وأساس العلوم النقلية "الوضعية" هي العلوم المأخوذة من الكتاب والسنة ، وكذا علوم اللسان العربي ، لأن في نظره أن القرآن الكريم نزل بها وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق ، فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه ... وهذا هو علم التفسير .

ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي (ص) واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القرآن .

ثم النظر في إسناده السنة إلى صاحبها أو الناقلين لها وهو علم الحديث ثم لا بد من استنباط الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيدنا العلم بكيفية الاستنباط وهو علم أصول الفقه .

ثم بعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، وهذا هو الفقه .

ثم أن التكاليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالإيمان ، وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقائد الإيمانية .

(1) ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، ط2 ، مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979 ، مج 1 ، ص

وأمر الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه الأدلة العقلية وهو علم الكلام<sup>(1)</sup>.  
ثم النظر في القرآن والحديث ؛ لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها ؛ فمنها علم اللغة ،  
وعلم النحو وعلم البيان ، وعلم الأدب ... وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية<sup>(2)</sup>.  
ثم يذكر "ابن خلدون" بعد ذلك بيان هذه العلوم من حيث تعريفاتها أو من حيث معرفة موضوعاتها،  
ومعرفة مناهجها وأهدافها وطرق تحصيلها وهي كما يلي :

أولا العلوم النقلية وهي :

أ- علم القرآن ب- علوم الحديث ج- علم الفقه وما يتبعه من الفرائض  
أ) علوم القرآن :

يخصص له "ابن خلدون" الفصل الخامس من الباب السادس ، فيعرف القرآن :

" هو كلام الله المتزل على نبيه ، والمكتوب بين دفتي المصحف ، وهو متواتر بين الأمة"<sup>(3)</sup>  
وأقسام علومه هي :

1- القراءات : المقصود بها قراءة القرآن وتجويده ، وكيفيات الحروف في آدائها ، وعلم القرآن  
صناعة مخصوصة وعلم منفرد تناقله الناس في المشرق والمغرب ؛ جيلا بعد جيل<sup>(4)</sup>.

2- فن الرسم : وهو فن يضاف إلى فن القرآن ؛ لأنه مرتبط بأوضاع حروف القرآن في المصحف  
ورسومه الخطية<sup>(5)</sup>.

3- التفسير : التفسير هو الذي يرتبط بآيات القرآن ، ويقسمها "ابن خلدون" إلى آيات لبيان  
التوحيد والفروض الدينية ، بحسب الوقائع ، منها ما في العقائد الإيمانية ، ومنها ما هو في أحكام  
الجوارح ... ومنها الجمل والناسخ والمنسوخ<sup>(6)</sup>. ويضيف ابن ذلك علم أسباب نزول الآيات  
ومقاصدها .

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، 782 .

(2) المصدر نفسه ، ص 783 .

(3) المصدر نفسه ، ص 782 .

(4) المصدر نفسه ، ص 783 .

(5) نفسه ، ص 784 .

(6) نفسه ، ص 785 .

وعلم علم التفسير ينقسم إلى قسمين<sup>(1)</sup> :

- تفسير نقلي مستند على الآثار المنقولة عن السلف ، ويشتمل على النسخ والمنسوخ ، وأسباب التزول ومقاصد الآي ، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين.

- وتفسير يرجع إلى علوم اللسان من معرفة اللغة وموضوعاتها ، وأحكام الإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب .

### ب) علوم الحديث :

يرى "ابن خلدون" أن علوم الحديث كثيرة ومتنوعة فمنها :

ما ينظر في ناسخه ومنسوخه : ومعرفة النسخ والمنسوخ ؛ إن كان عاما للقرآن والحديث إلا أن الذي في القرآن منه اندرج في تفسيره ، وبقي ما كان خاصا بالحديث راجعا إلى علومه ، فإذا تعارض الخبران بالنفي والإثبات ، وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل وعلم تقدم أحدهما ؛ تعين أن المتأخر ناسخ.<sup>(2)</sup>

النظر في الأسانيد : وما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل للشروط ، وهذا العلم يرتبط بمعرفة رواية الحديث بالعدالة والضبط ، ومراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك ، فالنظر في الأسانيد يتمثل في كون هذه الأسانيد تتفاوت فيما بينها من حيث الاتصال والانقطاع.<sup>(3)</sup>

### ج) علم الفقه وما يتبعه من الفرائض :

يعرفه "ابن خلدون" : " الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ؛ بالوجوب والحظر والندب والكرهة والإباحة ، وهي ملتقاة من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة ، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه " .<sup>(4)</sup>

وعلم الفقه عند "ابن خلدون" على قسمين:<sup>(5)</sup>

قسم يرتبط بطريقة أهل الرأي والقياس .

وقسم يرتبط بطريقة أهل الحديث .

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 788 .

(2) المصدر نفسه ، ص 789 .

(3) المصدر نفسه ، ص 790 .

(4) المصدر نفسه ، ص 798 .

(5) نفسه ، ص 798 .

وينتقل المصنف بعد الفقه إلى الحديث عن علم الفرائض وهو عنده

" معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة من كم تصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسختها"<sup>(1)</sup> وهو " فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول ، والوصول به إلى حقوق الوراثة بوجوه صحيحة يقينية ؛ عندما تجهل الحظوظ وتشكل على القاسمين ، وهو يحتاج إلى استخراج المجهولات إلى فنون الحساب كالجزر والمقابلة ، والتصرف في الجذور وأمثال ذلك " .<sup>(2)</sup>

ثم علم أصول الفقه : وهو من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة ، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف ، وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ، ثم السنة المبينة له ، ثم إجماع الصحابة ... ثم القياس ؛ الذي هو النظر في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة ، فإذا هم يقيسون الأشباه منها بالأشباه.<sup>(3)</sup> وعلم الأصول يشتمل على فنون عدة منها:<sup>(4)</sup>

أولا : فن النظر في كون هذه الأدلة الأربعة أدلة ، ثم النظر في طرق النقل وعدالة الناقلين .

ثانيا : فن معرفة الناسخ والمنسوخ .

ثالثا : النظر في دلالات الألفاظ حيث أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية ؛ مفردة أو مركبة ، والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم اللغة .

رابعا : فن استفادة الأحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة بين تراكيب الكلام وهو الفقه .

خامسا : فن الاستفادة بمعرفة قوانين اللغة في تقرير الأحكام .

سادسا : فن النظر في القياس الذي يعتبر عند "ابن خلدون" من أعظم الفنون ؛ لأن فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس وبمائل من الأحكام .

ويلحق بعلم أصول الفقه الخلافات وعلم الجدل .

فعلم الخلافات : هو علم مستنبط من الأدلة الشرعية ، وهذا العلم كثر فيه الخلاف بين المجتهدين ، باختلاف مداركهم وأنظارهم ، فحدثت هناك مناظرات في بيان مأخذ هؤلاء الأئمة ومشاراتهم اختلافاتهم ومواقع اجتهادهم.<sup>(5)</sup>

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 810 .

(2) المصدر نفسه ، ص 811 .

(3) المصدر نفسه ، ص 812 .

(4) نفسه ، ص ص 814 - 815 .

(5) نفسه ، ص 819 .



وعلم الجدل : هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية ، وغيرهم ، وهو قائم على معرفة طرق الاستدلال في الرأي.<sup>(1)</sup>

ثم ينتقل المصنف بعد أصول الفقه إلى علم الكلام :

علم الكلام : " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات ، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد ".<sup>(2)</sup>

والتوحيد عند "ابن خلدون" هو : " العجز عن إدراك الأسباب وكيفيات تأثيرها ، وتفويض ذلك إلى خالقها المحيط بها ، إذ لا فاعل غيره ، وكلها ترتقي إليه وترجع إلى قدرته ، وعلمنا به إنما هو من حيث صدورنا عنه لا غير ".<sup>(3)</sup>

بعد علم الكلام يتناول "ابن خلدون" علم كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة ، وما حدث لأجل ذلك من طوائف الاعتقادات .

وعلم كشف الغطاء : "هو علم يختص فيما ثبت في القرآن الكريم أن هناك حروفاً من الهجاء مقطعة في أوائل بعض سورته ، علماً أن لا سبيل لنا إلى فهم المراد بها ، وتسمى هذه الأنواع كلها من الكتاب متشابهاً".<sup>(4)</sup>

والمتشابه يؤمن به ولا يعمل به ، وهو لا يقبل التأويل ، ويذم على أتباعه ، والمشتغلون به يلقبون بأهل الزيف ؛ أي الميل عن الحق من الكفار والزنادقة وجهلة أهل البدع.<sup>(5)</sup>

وبعد فراغ المصنف من علم الكلام يتناول علم التصوف .

وعنده : علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ... وأصله العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ...<sup>(6)</sup> ويضيف : " ولقد صار التصوف علماً مدوناً بعد أن كان عبادة فقط " .<sup>(7)</sup>

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 820 .

(2) المصدر نفسه ، ص 821 .

(3) المصدر نفسه ، ص 825 .

(4) المصدر نفسه ، ص 849 .

(5) نفسه ، ص 849 .

(6) نفسه ، ص 863 .

(7) نفسه ، ص 882 .

وبعد التصوف ينتقل "ابن خلدون" إلى علم آخر في قسم العلوم الشرعية أو النقلية وهو علم تعبير الرؤيا.

فيقول عنه "ابن خلدون": « هو علم حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع ، وكتب الناس فيه .... وقد كان يوسف الصديق عليه السلام يعبر الرؤيا كما جاء في القرآن الكريم ، وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي (ص) وعن أبي بكر رضي الله عنه ، والرؤيا مدرك من مدارك الغيب ، وأول ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا ، فكان لا يرى الرؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح».(1)

وبعد هذا العلم ينتقل إلى الحديث عن العلوم اللسان العربي ؛ التي يعدها من العلوم النقلية أو الشرعية. يقول "ابن خلدون": « أركان اللسان أربعة : هي اللغة والنحو والبيان والأدب ، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة كلها من الكتاب والسنة ، وهي بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ... فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة».(2)

ثم يعود "ابن خلدون" إلى الحديث عن الأقسام الأربعة لعلوم اللسان العربي وهي كما يلي :

1- علم النحو : ويتمثل في القوانين المستنبطة من مجاري الكلام عند العرب ، وهذه القوانين شبيه الكليات والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ، ويلحقون الأشباه بالأشباه ، مثل أن الفاعل مرفوع ، والمفعول به منصوب ، والمبتدأ مرفوع ، فاصطلحوا على تسميته إعرابا ، وتسمية الموجب لذلك التغيير عاملا ... وجعلوها صناعة لهم ، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو.(3)

2- علم اللغة : ويتمثل في بيان الموضوعات اللغوية حتى لا يتأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ ، وحتى لا يستعمل كلام العرب في غير موضعه.(4)

ويشتمل على المجاز وعلم اللغة والألفاظ المشتركة.(5)

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 1055 .

(2) المصدر نفسه ، ص 1063 .

(3) المصدر نفسه ، ص 1057 .

(4) المصدر نفسه ، ص 1059 .

(5) نفسه ، ص 1063 .

3- علم البيان : هو علم متعلق بالألفاظ ودلالاتها على المعاني ، وهو علم حادث في الملة بعد علم العربية.<sup>(1)</sup>

ويشتمل هذا العلم على ثلاث أصناف:<sup>(2)</sup>

الصنف الأول : يبحث في الهيئات التي تطابق اللفظ ، ومقتضيات الحال وهو علم البلاغة .

الصنف الثاني : يبحث في الدلالة عن اللازم اللفظي وملزومه ؛ من الاستعارة والكناية وهو علم البيان .

الصنف الثالث : ما يلحق بهذين الصنفين ؛ وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق ، ويسمى عندهم علم البديع .

وفائدة هذا العلم في نظر "ابن خلدون" إنما هي فهم الإعجاز من القرآن ، وإن إعجاز القرآن في حد ذاته هو ثمرة من ثمار هذا الفن.<sup>(3)</sup>

4- علم الأدب : هذا العلم في نظر "ابن خلدون" لا موضوع له ، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهي الإجادة في فني المنظوم والمتثور على أساليب العرب ومناحيهم ، ويتمثل في حفظ الأشعار و معرفة أخبار العرب.<sup>(4)</sup>

ويورد "ابن خلدون" أن الغناء كان في الصدر الأول من هذا الفن ، لأن الغناء هو تلحين الشعر ، والأدب عند "ابن خلدون" نثر وشعر .

فالشعر ؛ هو الكلام الموزون المقفى ؛ ومعناه الذي تكون كل أوزانه على روي واحد وهو القافية ، ويشتمل على فنون من المدح والثناء والهجاء .

والنثر ؛ هو كلام غير موزون وهو يشتمل أيضا على فنون منها السجع والمرسل ، ويستعمل في الخطب والدعاء والتغيب والترهيب .

والقرآن إن كان من المتثور فهو خارج عن الوصفين ، فلا يسمى مرسلا على الإطلاق ، ولا سجعا بل هو تفصيل آيات .<sup>(5)</sup>

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 1064 .

(2) المصدر نفسه ، ص 1066 .

(3) المصدر نفسه ، ص 1067 .

(4) المصدر نفسه ، ص 1069 .

(5) نفسه ، ص 1093 .

وقد أشار "ابن خلدون" إلى تقدم علوم اللغة عن علوم القرآن وعلوم الحديث ، فقال : « النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية ، لأنه متوقف عليها ، وهي أصناف فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب »<sup>(1)</sup> الذي ختم به قسم العلوم الشرعية أو النقلية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 781 .

رسم بياني للعلوم النقلية عند ابن خلدون



علوم النقلية  
و الشرعية

ثانيا : العلوم العقلية

القسم الثاني من العلوم ؛ قسم العلوم العقلية أو الطبيعية ويسمىها "ابن خلدون " علوم الفلسفة أو الحكمة .

وقد قسم "ابن خلدون" العلوم العقلية إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : علم المنطق ، وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة ، وفائدته تمييز الخطأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في المجودات وعوارضها. (1)

القسم الثاني : وهو النظر في علم المحسوسات من الأجسام العنصرية المكون عنها من معدن ، والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية ، أو النفس التي تبحث عن الحركات . (2)

القسم الثالث : العلم الإلهي ؛ وهو النظر في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحانيات. (3)

القسم الرابع : علم التعاليم ؛ وهو العلم الناظر في المقادير ، ويشتمل على أربعة علوم فرعية وهي :

1) علم الهندسة : ويختص بالنظر في المقادير على الإطلاق ؛ إما منفصلة من حيث كونها معدودة ،

أو متصلة ، وإما هي ذات بعد واحد وهو الخط ، أو ذات بعدين وهو السطح ، أو ذات ثلاثة أبعاد

وهو الجسم التعليمي ؛ الذي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها ؛ إما من حيث ذاتها ، أو من حيث

نسبة بعضها إلى بعض. (4)

2) علم الأرثماتيقي : هو معرفة ما يعرض للكم المنفصل الذي هو العدد ، ويؤخذ من الخواص

والعوارض اللاحقة. (5)

3- علم الموسيقى : هو معرفة نسب الأصوات ، والنغم بعضها من بعض ، وتقديرها بالعدد ، وثمرته

معرفة تلاحين الغناء. (6)

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 888 .

(2) المصدر نفسه ، ص 889 .

(3) نفس المصدر ونفس الموضوع

(4) نفس المصدر ونفس الموضوع

(5) نفس المصدر ، ص 889 .

(6) نفس المصدر ، ص 889 .

4- علم الهيئة : وهو علم يختص بتعيين الأشكال للأفلاك ، وحصر أوضاعها وتعددتها لكل الكواكب ؛ من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ، ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدبارها .<sup>(1)</sup>

يقول "ابن خلدون" : « فهذه أصول العلوم الفلسفية ؛ وهي سبعة المنطق هو المقدم منها ، وبعده التعاليم فالأرثماتيقي أولا ، ثم الهندسة ، ثم الهيئة ، ثم الموسيقى ، ثم الطبيعيات ، ثم الإلهيات ، ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه ... ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد إلى آخرها ... »<sup>(2)</sup> .  
وهذه الفروع هي :

1) العلوم العددية . وهي :

أولا : الأرثماتيقي : ويختص هذا العلم بمعرفة خواص الأعداد ؛ من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف.<sup>(3)</sup>

ثانيا : صناعة الحساب ؛ وهو صناعة عملية حساب الأعداد بالضم والتعريف ، فالضم يكون بالجمع أو التصنيف ، وهو الضرب والتفريق ؛ يكون بالطرح أو بالقسمة.<sup>(4)</sup>

ثالثا : الجبر والمقابلة : وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض ؛ إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك.<sup>(5)</sup>

رابعا : المعاملات والفرائض

المقصود بالمعاملات هو تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات ، وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات.<sup>(6)</sup>

أما الفرائض فهي صناعة حسابية تستعمل في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثة إذ تعددت ... وتشمل هذه الصناعة على جزء من الفقه ، وهو أحكام الوراثة في الفروض والعدول والإقرار

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 890 .

(2) المصدر نفسه ، ص 890 .

(3) المصدر نفسه ، ص 894 .

(4) المصدر نفسه ، ص 896 .

(5) نفسه ، ص 898 .

(6) نفسه ، ص 899 .

والإنكار والوصايا ، وتدبير غير ذلك من مسائلها ، وعلى جزء من الحساب في تصحيح السهمان؛ باعتبار الحكم الفقهي ، وهي من أجل العلوم .<sup>(1)</sup>

2- العلوم الهندسية : يختص هذا العلم بالنظر في المقادير ، إما متصلة كالخط والسطح والجسم ، وإما منفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية ؛ مثل مثلث زواياه مثل قائمتين ، ومثل إن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في جهة ولو خرجا إلى غير نهاية.<sup>(2)</sup>

ومن فروع علم الهندسة : الهندسة المخصوصة بالأشكال الكرية والمخروطات ، ويذكر ابن خلدون أن الأشكال الكرية لا بد منها لمن يرد الخوض في علم الهيئة ، لأن براهينها متوقفة عليها.<sup>(3)</sup>

ومن فروع علم الهندسة أيضا : المساحة ؛ وهو فن يحتاج إليه في مسح الأرض ، ومعناه استخراج مقدار الأرض المعلومة بنسبة شبر أو ذراع أو غيرها ، أو نسبة أرض من أرض إذا قويست بمثل ذلك.<sup>(4)</sup>

ومن فروع علم الهندسة : المناظرة ؛ وهو علم يتبين به أسباب الغلط في الإدراك البصري ؛ بمعرفة كيفية وقوعها .<sup>(5)</sup>

3) علم الهيئة :

" وهو العلم الذي ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة ، والمتحيزة ، ويستبدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك ، لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية.<sup>(6)</sup>

ومن فروع علم الهيئة : علم الأرياح ؛ وهو صناعة حسابية على قوانين عديدة تختص بحركات كل الكواكب ، ومعرفة الشهور والأيام والتواريخ ، واستخراج مواضع الكواكب ، وهو التقويم.<sup>(7)</sup>

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 900 .

(2) المصدر نفسه ، ص 901 .

(3) المصدر نفسه ، ص 903 .

(4) المصدر نفسه ، ص 904 .

(5) نفسه ، ص 904 .

(6) نفسه ، ص 905 .

(7) نفسه ، ص 907 .



#### 4) علم المنطق :

وهو : " قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات ، والحجج المفيدة للتصديقات " .<sup>(1)</sup>

ومسائله - كما جاءت عند " أرسطو " - ثمانية ، أربعة منها في صور القياس وهي المعقولات " كتاب المقولات " ، والقضايا " كتاب العبارة " و " القياس " و " البرهان " .

وأربعة في مادته وهي " الجدل " و " السفسطة والخطابة والشعر " ، ثم يضيف " ابن خلدون " : " ثم زاد اليونان قسما تاسعا متمثلا في الكليات الخمس بعد أن تهذبت الصناعة ، ورتبت وهي الجنس ، والفصل ، والنوع ، والخاصة والعرض العام .<sup>(2)</sup>

#### 5) علم الطبيعيات :

" هو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون ، فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية ، وما يتولد عنها من إنسان وحيوان ونبات ومعادن ، وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل ، وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك .<sup>(3)</sup>

ومن فروع الطبيعيات عند " ابن خلدون " :

صناعة الطب ؛ وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث أنه يمرض ويصح ، ويشتمل هذا العلم على مجموعة كبيرة من الأدوية والأغذية ، وأسماء الأمراض وعلامات الأمراض ، وعلم وظائف الأعضاء .<sup>(4)</sup>

ومن فروع الطبيعيات أيضا :

صناعة الفلاحة : وهي تختص بالنظر في النباتات من حيث تنميته ونشوؤه بالسقي والعلاج ، واستحادة النبات ، وصلاحية الفصل وتعهدده بما يصلحه ويتمه من ذلك كله .<sup>(5)</sup>

#### 6) علم الإلهيات :

" هو علم ينظر في الوجود المطلق ، فأولا في الأمور العامة للجسمانيات والروحانيات من الماهيات ، والوحدة والكثرة ، والجوب والإمكان ، وغير ذلك ، ثم ينظر في مبادئ الموجودات وإها روحانيات ،

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 908 .

(2) المصدر نفسه ، ص 911 .

(3) المصدر نفسه ، ص 916 .

(4) المصدر نفسه ، ص 917 .

(5) نفسه ، ص 920 .

ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتبها ، ثم في أحوال النفس بعد مفارقة الأجسام وعودها إلى المبدأ ، وهو عندهم علم شريف يزعمون أنه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه ، وأن ذلك عين السعادة في زعمهم .... وهو تال للطبيعات في ترتيبهم ، ولذلك يسمونه علم ما وراء الطبيعة<sup>(1)</sup>.

يقول "ابن خلدون" في العلم الإلهي : «أنه لا يمكن التوصل إليه ولا البرهان عليه بواسطة العقل ؛ لأنه من طور فوق طوره ، ذلك أن للعقل حدا يقف عنده ولا يتعدى طوره<sup>(2)</sup>... لأن العقل البشري قاصر عن إدراك ما يقع وراء الحس ، ولأن ما لا مادة له لا يمكن البرهان عليه<sup>(3)</sup>».

ويضيف : " إن ما توصل إليه الفلاسفة من مقررات فيما يتعلق بما وراء العالم الحسي كله ظني تخميني<sup>(4)</sup> ويذكر أيضا أن الفلاسفة يدعون إدراك الحق الروحاني عن طريق الاتصال الفكري بالعقل الفعال ، والعقل الفعال حقيقة روحانية يبلغ بالكشف لا بالتفكير<sup>(5)</sup> . وأن العلم الإلهي لا يفني بغرض الفلاسفة من إيصالهم إلى الحق ، وهو مخالف للشريعة من وجوده ، وليس له إلا ثمرة واحدة هي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة<sup>(6)</sup>.

#### (7) علوم السحر والطلسمات :

وهي " علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بما على التأثيرات في عالم العناصر " إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية ، و الأول هو السحر والثاني هو الطلسمات<sup>(7)</sup>. وهذه العلوم مهجورة عند جميع الشرائع ؛ وذلك لما تتضمنه أو تحتويه من ضرر ، ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله تعالى ، وكتبها مفقودة بين الناس<sup>(8)</sup>.

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 921 .

(2) المصدر نفسه ، ص 925 .

(3) المصدر نفسه ، ص 997 .

(4) المصدر نفسه ، ص 297 .

(5) المصدر نفسه ، ص 999 .

(6) نفسه ، ص 1001 .

(7) نفسه ، ص 923 .

(8) نفسه ، ص 924 .

(8) علم أسرار الحروف :

يقول عنه " ابن خلدون " : " وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا ؛ نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصوف من المتصوفة ؛ فاستعمل استعمال العام في الخاص. <sup>(1)</sup>

وزعم أصحاب هذا العلم "أن الكمال الاسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب ، وإن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء ، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام ، والأكوان من لادن الإبداع الأول تنتقل في أطواره ، وتعرب عن أسرارها فحدث لذلك علم أسرار الحروف ...". <sup>(2)</sup>

(9) علم الكيمياء :

وهو "علم ينظر في المادة التي يتم بها تكوين الذهب والفضة بالصناعة ، والعمل الموصل لذلك ...ومعرفة المكونات وأمزجتها كالمعادن وغيرها". <sup>(3)</sup>

وفي ختام ترتيبه للعلوم ، يتحدث "ابن خلدون" عن الفلسفة كعلم قائم بذاته ، ويورد عنوانا حده "الفلسفة وفساد منتحلها" <sup>(4)</sup> ، ويذكر أن هذا العلم غير واف بمقاصد أصحابه ؛ مع ما فيه مخالفة للشرائع ، وليس له إلا ثمرة واحدة هي شحذ الذهن ؛ لتحصيل ملكة الصواب في البراهين ، وهي أصح ما علمناه في البراهين ، فليكن الناظر متحذرا من مغالطتها ، وليمكن نظره فيما بعد الامتلاء من الشرعيات. <sup>(5)</sup>

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 936 .

(2) المصدر نفسه ، ص 936 .

(3) المصدر نفسه ، ص 992 .

(4) نفسه ، ص 992 .

(5) نفسه ، ص 1008 .

## علم التاريخ :

يتناول "ابن خلدون" في مقدمته علم التاريخ مستقلاً قائماً بذاته ، ويعتبره علماً أصيلاً في الحكمة وعريفاً ، ويجعله من العلوم العقلية ... وقد تناوله متمثلاً في استقصاء الأسباب والعلل ، والتحقق من مزالق الغلط بواسطة الجرح والتعديل والتعليل ، وذلك من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية "الموضوعية".

وكان "ابن خلدون" في ذلك "سالكا الاختصار والتلخيص مقتديا بالمرام السهل من العويص ؛ داخلاً من باب الأسباب على العموم إلى الأخبار على الخصوص ، فاستوعب أخبار الخليفة ؛ وذلك من الحكم النافرة ، وأعطى لحوادث الدول عللاً وأسباباً ، وأصبح للحكمة صوتاً للتاريخ جراباً" (1).

فعلم التاريخ عند "ابن خلدون" ليس مجرد حوادث من قبيل الصدقة والعشوائية ، أو أقوال غير مستندة ، ولكنها أحداث تسير وتقوم على قوانين ثابتة ؛ يمكن إدراكها باتباع المنهج النقدي التاريخي وأصوله ، وذلك البعد الذي يوحى بالرؤية العلمية والأثر الفلسفي العميق ؛ الذي ينشد النهضة وبناء الحضارة .

ومما لا شك فيه أن الحاضر ومشاكله المتعددة هو دوماً يقوم على فهم وجوده وحل مشاكله بالاستناد إلى وقائع الماضي .

يقول "ابن خلدون": «اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خير على الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم ، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال ، مثل التوحش والتأنس ، والعصبيات ، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ، ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش ، والعلوم والصناعات ، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال» (2).

إن هذا النص يدل على أن علم التاريخ ذا مطالب متعددة وغايات مختلفة ، فهذا لا ينحصر في أخبار الملوك والأمراء والدول والوقائع والحروب ، وإنما يشمل كل ما يطرأ ويحدث للحياة على اختلاف ميادينها ، فكأنما المقصود بالتاريخ عنده تاريخ الحضارة ، وموضوعه شامل جامع يتعدى حدود نطاق التاريخ المحض ويحيط بمسائل الفلسفة الاجتماعية العامة أو مسائل علم الاجتماع العام (3) .

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ص ص 8-9 .

(2) المصدر نفسه ، ص 11 .

(3) جميل صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1981 ، ص 565 .

وقصد كسب الحقيقة التاريخية الموضوعية يضع ابن خلدون مجموعة من قوانين البحث التاريخي ، وهذه القوانين هي :

1— قانون السببية : فالحوادث التاريخية مرتبط وجودها بأسباب ؛ وهذه الأسباب يجب البحث عنها ومعرفتها خاصة أثناء تأليف وتركيب الأحداث التاريخية الماضية ، وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية.<sup>(1)</sup>

وعليه أن نقيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب ، والحوادث بأشباهاها ويحكم النظر والبصيرة في الأخبار ، وأن يستعمل معيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات.<sup>(2)</sup>

2— قانون التطور : فالظاهرة التاريخية هي دوما في حالة تغير وتطور مستمر، سواء على المستوى الإيجابي أو على المستوى السلبي ، مما يتوجب على المؤرخ أن يراعي ذلك .

ويرى "ابن خلدون" أن المؤرخ لا بد أن يدرك أن الأجيال تتعاقب والعادات والتقاليد تتغير وتتطور من جيل إلى جيل ، وكذلك طبائع الأمم تتطور "فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطات لاتزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة" .<sup>(3)</sup>

3— قانون المقارنة :

فقانون المقارنة يؤدي بالمؤرخ — بحسب ابن خلدون — إلى الوقوف على جواهر الحقيقة التاريخية ، وعدم استعمال قانون المقارنة في الأحداث التاريخية عند المؤرخين ؛ أدى بهم الوقوع في الخطأ والمزالق والإبتعاد عن جادة الصواب.<sup>(4)</sup>

وهكذا أبان "ابن خلدون" عن رؤية جديدة في علم التاريخ ، وهي رؤية ذات بعد فلسفي وعلمي؛ تجاوز فيها سابقه في التحليل والتعليل والنقد ، مما جعله بحق مؤسس فلسفة التاريخ . وجاءت مقدمته دراسة فلسفية مقارنة لأجوبة العقيدة (والتاريخ) و (الماضي) و (الحاضر).<sup>(5)</sup>

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 12 .

(2) المصدر نفسه ، ص 13 .

(3) المصدر نفسه ، ص 24 .

(4) المصدر نفسه ، ص 24 .

(5) علي حسين الجابري ، فلسفة التاريخ والحضارة في الفكر العربي ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن 2005 ، ص 179 .



## تصنيف العلوم عند طاش كبرى زادة ، ( أحمد بن مصطفى ) ( ت 968 هـ )

تناول العلامة "أحمد بن مصطفى" الشهير بـ"طاش كبرى زادة" (ت 968 هـ) تصنيفه للعلوم ؛ في موسوعته (مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم) ؛ التي اعتبرت بحق موسوعة في التعريف بالعلوم ؛ أسماؤها ومواضيعها ، وعلاقتها ببعضها .

يقول "طاش كبرى زادة" في مقدمة كتابه : «... فهذه بث لما قر في صدري من العلوم الفاخرة ، وعين بعد أثر في تحصيل سعادة الآخرة ... فجاءت بحمد الله بديع المثال في كل باب من التبيان ، منبع الشأن ، رفيع الجنباب عند العلماء والأعيان ، مخضت فيها حقائق العلوم عن دررها ... فهاكم إخواني مدينة علم على الباب» .<sup>(1)</sup>

ثم يعقب : " فتأمل فيما قدمت إليك من العلوم اسما ، ورسما ، وموضوعا ونفعا ، وفيما اخترعت من التفصيل في طريق التحصيل " .<sup>(2)</sup>

بعد ذلك يفرد "طاش كبرى زادة" مقدمات أخر مطولة ؛ يذكر فيها بيان فضيلة العلم والتعلم والتعليم، وفي شرائط المعلم والمتعلم ووظائفهما .

ثم يذكر في بداية تصنيفه للعلوم : " أحببنا أن نبين في هذه الرسالة المذكورة في كل علم أصلا وفرعا ، ونبين أسماء الكتب المؤلفة فيها ، وأسماء مؤلفيها ؛ ليكون عوننا في تحصيل العلوم وترغيبا في طلبها ، وإرشادا إلى طرق تحصيلها " .<sup>(3)</sup>

ويشرع في تفصيل أنواع العلوم أصولا وفروعا ، فيحصرها في أربع مراتب هي الكتابة ، والعبارة ، والأذهان ، والأعيان ، وكل من هذه المراتب هو وسيلة للآخر .

يقول "طاش كبرى زادة" : « اعلم أن للأشياء وجودا في أربع مراتب : في الكتابة ، والعبارة ، والأذهان ، والأعيان ، وكل سابق منها وسيلة إلى اللاحق ؛ لأن الخط دال على الألفاظ ، وهذه ( الألفاظ ) على ما في الأذهان ، وهذا على ما في الأعيان .

(1) طاش كبرى زادة أحمد بن مصطفى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، ط 1 ، دار الكتب العلمية لبنان

1405/1985 هـ ، ج 1 ، ص 3-4 .

(2) المصدر نفسه ، ص 5 .

(3) المصدر نفسه ، ص 73 .

ولا يخفى أن الوجود العيني هو الوجود الحقيقي الأصلي ، وفي الوجود الذهني خلاف في أنه حقيقي أو مجازي ، وأما الأولان فمجازيان قطعاً ثم العلم المتعلق بالثلاث الأول آلي البتة .  
وأما العلم المتعلق بالأعيان : فإما عملي : لا يقصد به حصول نفسه ؛ بل غيره أو نظري : يقصد به حصول نفسه فقط .» (1)

وكل ومنهما أي النظري والعملي - إما أن يبحث فيه من حيث أنه مأخوذ من الشرع ؛ فهو العلم الشرعي ، أو من حيث مقتضى العقل فقط ؛ فهو العلم الحكمي . (2)  
فهذه هي الأصول السبعة لمختلف فروع العلم التي عكف عليها المصنف فيما بعد ، وقسمها إلى سبع دوحات ( أشجار ) - كما سماها - :

" نرتب الكلام في هذه الرسالة على سبع دوحات ، كل منها في بيان أصل من الأصول السبعة ، ثم نذكر في كل دوحه شعباً لبيان الفروع " . (3)

وقد ذكر " طاش كبرى زادة " أن العلوم عديدة وكثيرة لا تحصى فقال : « والمختار عندي أن عدد العلوم أكثر من أن يضبطه قلم » (4) بعد أن ذكر اختلافات العلماء في عددها .

وقد اشتملت الدوحة الأولى على علوم الكتابة والخط ، واشتملت الثانية على علوم العبارة (الألفاظ) ، وفي الثالثة كل ما يختص بما في الأذهان ، وفي الرابعة والخامسة والسادسة ما يتعلق بالفكر وعلوم النظر ، أما الدوحة السابعة فجاءت في ثمرة العمل بالعلم .

### الدوحة الأولى : في بيان العلوم الخطية .

وفيها : مقدمة ، وشعبتان

فالمقدمة : في فضيلة الخط وبيان الحاجة إليه وكيفية وضعه . (5)

وفيه يستشهد المصنف بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وكذا أقوال بعض الصحابة - رضي الله عنهم - في فضل الخط والكتابة ، وكذا بعض الأشعار في ذلك ، وكذا حاجة العلوم إليه ، وفي كيفية وضعه .

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 75 .

(2) المصدر نفسه ، ص 75 .

(3) المصدر نفسه ، ص 76 .

(4) نفسه ، ص 76 .

(5) نفسه ، ص 79 .



وأما الشعبة الأولى : ففي العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية ، وهي علم أدوات الخط<sup>(1)</sup> .  
في كيفية صنعها ، وإصلاحها ، وأنواع بريها ثم بعض المصنفات في ذلك .  
وفي هذه الدوحة مجموعة من فروع العلم وهي :

علم قوانين الكتابة : كيفية نقش صور الحروف وتصويرها ، وكيفية وضع القلم .<sup>(2)</sup>

علم تحسين الحروف : علم تحسين تلك النقوش وما يتعلق به من أدوات الكتابة .<sup>(3)</sup>

علم كيفية توليد الخطوط عن أصولها : وفيه كيفية تولد فروع الخطوط المستنبطة عن أصولها .<sup>(4)</sup>

علم ترتيب حروف التهجي : وفيه كيفية ترتيب حروف التهجي في الكتابة وإزالة التباسها .<sup>(5)</sup>

وأما الشعبة الثانية : ففيما يتعلق بإملاء الحروف المفردة ؛ وهو علم تركيب أشكال بسائط الحروف .  
وهو علم يبحث فيه عن التراكيب بين أشكال بسائط الحروف مطلقا ؛ لا من حيث دلالتها على  
الألفاظ ، بل من حيث حسنها في السطور .<sup>(6)</sup>

وتشكيل الكتابة على ضربين : حسن التشكيل في الحروف ، وحسن الوضع في الكلمات .<sup>(7)</sup>  
وفي هذه الدوحة أيضا .<sup>(8)</sup>

علم خط المصحف : وهو ما اصطلاح عليه الصحابة عند جمع القرآن الكريم .  
وعلم خط العروض ويختص بتقطيع الشعر .

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 85 .

(2) المصدر نفسه ، ص 88

(3) المصدر نفسه ، ص 88 .

(4) المصدر نفسه ، ص 89 .

(5) نفسه ، ص 91 .

(6) نفسه ، ص ص 91 - 92 .

(7) (8) نفسه ، ص 93 .

الدوحة الثانية : في علوم تتعلق بالألفاظ .

وفيها : مقدمة ، وعدة شعب

الشعبة الأولى : فيما يتعلق بالمفردات :<sup>(1)</sup>

علم مخارج الحروف : وهو معرفة تصحيح مخارج الحروف كيفية وكمية .<sup>(2)</sup>

علم اللغة : وعلم باحث عن مدلولات جواهر المفردات ، وموضوعه جواهر المفردات وهيئاتها .<sup>(3)</sup>

علم الوضع : وهو علم باحث عن تفسير الوضع ، وتقسيمه إلى الشخصي والنوعي ، والعام

والخاص ، وبيان حال وضع الذوات والهيئات .<sup>(4)</sup>

علم الاشتقاق : وهو العلم الباحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض ؛ بسبب مناسبة بين

المخرج والخارج بالأصالة والفرعية ، وباعتبار جوهرها .<sup>(5)</sup>

علم الصرف : وهو علم يعرف منه أنواع المفردات الموضوعة بالوضعي النوعي ومدلولاتها ، والهيئات

الأصلية العامة للمفردات والهيئات التغيرية .<sup>(6)</sup>

الشعبة الثانية : فيما يتعلق بالمركبات وفيها :

علم النحو : وهو علم باحث عن أحوال المركبات الموضوعة وضعا نوعيا لنوع من المعاني التركيبية

النسبية من حيث دلالتها عليها .<sup>(7)</sup>

علم المعاني : وهو تتبع خواص تراكييب الكلام ، ومعرفة تفاوت المقامات ، حتى يتمكن من الاحتراز

عن الخطأ في تطبيق الأول على الثاني ، وذلك لأن للتراكيب خواص مناسبة لها يعرفها البلغاء إما

بسليقتهم أو بممارسة علم البلاغة .<sup>(8)</sup>

علم البيان : وهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة .<sup>(9)</sup>

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 99 .

(2) المصدر نفسه ، ص 99 .

(3) المصدر نفسه ، ص 100 .

(4) المصدر نفسه ، ص 125 .

(5) المصدر نفسه ، ص 126 .

(6) المصدر نفسه ، ص 127 .

(7) نفسه ، ص 138 .

(8) نفسه ، ص 185 .

(9) نفسه ، ص 186 .

- علم البديع : وهو علم باحث عن التراكيب العربية ، من حيث وجوه تحسين الكلام بالحسن العرضي، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، ووضوح الدلالة على المرام .<sup>(1)</sup>
- علم العروض : وهو علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة للشعر ؛ العارضة للألفاظ والتراكيب العرضية .<sup>(2)</sup>
- علم القوافي : وهو علم يبحث فيه عن تناسب أعجاز البيت وعيوبها .<sup>(3)</sup>
- علم قرص الشعر : علم باحث عن أحوال الكلمات الشعرية ؛ لا من حيث الوزن والقافية ، بل من حيث حسننها وقبحها من حيث أنها شعر .<sup>(4)</sup>
- علم مبادئ الشعر : علم باحث عن مقدمات تخيلية ، يحصل منها الترغيب أو التهيب ، وتختلف تلك بحسب قوم قوم .<sup>(5)</sup>
- علم الإنشاء : علم يبحث فيه عن المنثور ؛ من حيث أنه بليغ وفصيح ، ومشمتمل على الآداب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنة واللائقة بالمقام .<sup>(6)</sup>
- علم مبادئ الإنشاء وأدواته : وهو علم باحث عما يحتاج إليه المنشئ من الخط والعربية ، والعلوم الشرعية ، والتواريخ ، وما يناسب ذلك .<sup>(7)</sup>
- علم المحاضرة : وهو علم يحصل منه ملكة إيراد كلام للغير ، مناسب للمقام من جهة معانيها الوضعية، أو من جهة تركيبه الخاص .<sup>(8)</sup>
- علم الدواوين : فالكلام منشور أو منظوم ، وفي هذا جاءت الدواوين مشتملة بالقصائد والمقاطع والأراجيز والجاميع .<sup>(9)</sup>

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 187 .

(2) المصدر نفسه ، ص 198

(3) المصدر نفسه ، ص 202 .

(4) المصدر نفسه ، ص 204 .

(5) المصدر نفسه ، ص 204 .

(6) المصدر نفسه ، ص 204 .

(7) نفسه ، ص 205 .

(8) نفسه ، ص 208 .

(9) نفسه ، ص 217 .

علم التواريخ : هو معرفة أحوال الطوائف ، وبلدانهم ورسومهم ، وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ، ووفياتهم إلى غير ذلك. (1)

الشعبة الثالثة : في فروع العلوم العربية :

علم الأمثال : وهو من فروع علم اللغة ؛ وهو معرفة الألفاظ الصادرة عن البليغ المشتهرة بين الأقوام ، بخصوص ألفاظها وهيئاتها ، وموردها ..... إلخ. (2)

علم وقائع الأمم ورسومهم : وهو علم يبحث فيه عن أماكن أقوام مخصوصين ، ومواضع طوائف معينين ، ورسوم وعادات معروفة لكل قوم قوم. (3)

علم استعمالات الألفاظ : وهو من فروع علم البيان ؛ يبحث فيه استعمالات الألفاظ في المعاني التشبيهية والكنائية ، وبطريق الاستعارة والمجاز. (4)

علم الترسل : وهو من فروع علم الإنشاء ؛ وهو علم يذكر فيه أحوال الكاتب ، والمكتوب ، والمكتوب إليه ، من حيث الآداب والأحوال والاصطلاحات الخاصة. (5)

علم الشروط والسجلات : وهذا باعتبار اللفظ من فروع علم الإنشاء ؛ وهو علم يبحث فيه عن إنشاء الكلمات المتعلقة بالأحكام الشرعية. (6)

علم الأحاجي والأغلوطات : وهو علم يبحث فيه عن الألفاظ المخالفة لقواعد العربية بحسب الظاهر ، وتطبيقها عليها. (7)

علم الألغاز : وهو من فروع علم البيان ؛ وتفصيله يتوقف على تقديم تعريفه ؛ وذلك أن الألغاز دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية. (8)

علم المعنى : وهو من الألغاز ؛ ويراد به اسم شيء سواء كان من الإنسان أو غيره. (9)

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 231 .

(2) المصدر نفسه ، ص 237 .

(3) المصدر نفسه ، ص 237 .

(4) المصدر نفسه ، ص 248 .

(5) نفسه ، ص 248 .

(6) نفسه ، ص 249 .

(7) نفسه ، ص 249 .

(8) نفسه ، ص 250 .

(9) نفسه ، ص 250 .

علم التصحيف : وهو من أنواع البديع ، وموضوعه الكلمات المصحفة عن البلغاء .<sup>(1)</sup>

علم المقلوب : وهو من البديع وحاصله قلب الحروف ؛ لتصير عين الكلام .<sup>(2)</sup>

علم الجناس : هو علم باحث عن اللفظتين اللذين بينهما تشابه في اللفظ فقط .<sup>(3)</sup>

علم مسامرة الملوك : وهو من فروع المحاضرات ؛ وهو علم باحث عن أحوال يرغب فيها الملوك من القصص والأخبار والمواعظ ، وعجائب البلدان وغير ذلك .<sup>(4)</sup>

علم حكايات الصالحين : وهو من فروع علم التواريخ والمحاضرة ؛ وهو علم يعتني بأحوال الصلحاء والأبرار .<sup>(5)</sup>

ومن فروع التواريخ يورد المصنف علم أخبار الأنبياء وعلم المغازي والسير ، وعلم تاريخ الخلفاء .

ثم علم طبقات القراء ( السبعة ) ، وعلم طبقات المفسرين ، وعلم طبقات المحدثين ، وعلم سير الصحابة والتابعين ، وعلم طبقات الشافعية ، وعلم طبقات الحنفية ، وعلم طبقات المالكية ، وعلم طبقات الحنابلة :

ثم علم طبقات النحاة ، وعلم طبقات الحكماء ، وعلم طبقات الأطباء .<sup>(6)</sup>

**الدوحة الثالثة :** في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات الثانية وفيها مقدمة وشعبتان .

وقد ذكر المصنف في المقدمة أن العلوم الباحثة عن أحوال الأذهان ؛ هي العلوم الآلية المعنوية ، وأجلها هو علم المنطق ... وهو علم باهر البرهان وكالشمس لا تخفى بكل مكان ، ولا يجحد فضله إلا من يعيش عن إدراك الحقائق ، ويعمى عن فهم الدقائق .<sup>(7)</sup>

الشعبة الأولى : في علوم آلية تعصم عن الخطأ في الكسب :<sup>(8)</sup>

علم المنطق : هو علم يتعرف منه كيفية اكتساب الجهولات التصورية أو التصديقية من معلوماتها ، وموضوعه : المعقولات الثانية من حيث الإيصال إلى المجهول والنتج فيه .

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 253 .

(2) المصدر نفسه ، ص 255 .

(3) المصدر نفسه ، ص 256 .

(4) المصدر نفسه ، ص 257 .

(5) نفسه ، ص 258 .

(6) نفسه ، ص 262 .

(7) (8) نفسه ، ص 265 .

الشعبة الثانية : في علوم تعصم عن الخطأ في المناظرة والدرس .

علم آداب الدرس : وهو العلم المتعلق بآداب تتعلق بالتلميذ مع الأساتذة وعكسه .<sup>(1)</sup>

علم النظر : وهو علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين ، وموضوعه : الأدلة من حيث أنها يثبت بها المدعي على الغير .<sup>(2)</sup>

علم الجدل : وهو علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام أي وضع أريد ، وعلى هدم أي وضع كان ، وهذا من فروع علم النظر .<sup>(3)</sup>

علم الخلاف : وهو علم باحث عن وجوه الاستنباطات المختلفة من الأدلة الإجمالية والتفصيلية ، الذاهب إلى كل منها طائفة من العلماء .<sup>(4)</sup>

الدوحة الرابعة : في العلم المتعلق بالأعيان .

وهو قسمان :

ما يبحث فيه بمجرد الرأي ومقتضى العقل فقط : وهو العلوم الحكمية الباحثة عن أحوال الموجودات الخارجية .

وما يبحث فيه على قواعد الشرع ، وعلى تسليم المدعي وأخذه من الشرع : وهو علم أصول الدين .<sup>(5)</sup>

وفي هذا الفصل مقدمة ، وعدة شعب .

وفي المقدمة يذكر المصنف الأصول الثلاثة للعلوم الحكمية وهي : العلم الإلهي ، والعلم الرياضي ، والعلم الطبيعي .

يقول "طاش كبرى زادة" : « اعلم أن العلوم الحكمية النظرية ؛ إما أن يبحث فيه عن موجود مترد عن المادة في الخارج وعند البحث ، أو يبحث عن موجود مقارن للمادة خارجيا دون البحث ، أو يبحث عن موجود مقارن لها ، خارجا وبخنا أيضا » .<sup>(6)</sup>

<sup>(1)</sup> طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 280

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه ، ص 280

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه ، ص 281

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه ، ص 283

<sup>(5)</sup> نفسه ، ص 287 .

<sup>(6)</sup> نفسه ، ص 288 .

فالقسم الأول يسمى ( بالعلم الإلهي ) لبحثه عن الإلهيات ، و ( العلم الأعلى ) لعلو موضوعه بسبب تجرده عن المادة ، ويسمى ( بعلم ما بعد الطبيعة ) .<sup>(1)</sup>  
 والقسم الثاني : يسمى ( بالرياضي ) لرياضة النفوس بها أولاً ، إذ الأوائل كانوا يتدثرون في التعليم بما لكون دلائلها يقينية ، ولتعتاد النفوس باليقينيات بادئ بدء ، حتى كانوا يقدمونها على المنطق ويسمى ( بالعلم الوسط ) لعدم تجرده عن المادة بالكلية .<sup>(2)</sup>

#### الشعبة الأولى : في العلم الإلهي

العلم الإلهي : وهو علم يبحث فيه عن الموجودات من حيث هي موجودات ، وموضوعه : الموجود من حيث هو ، وغايته : تحصيل الاعتقادات الحقة والتصورات المطابقة لتحقيق السعادة الأبدية .<sup>(3)</sup>

#### الشعبة الثانية في فروع العلم الإلهي :

علم معرفة النفوس الإنسانية : بدءاً وعوداً ، وأما قديمة أو حادثة أو محشورة أو غير محشورة .<sup>(4)</sup>  
 علم معرفة الملائكة : هو علم الباحث عن المجردات التي لا تتصرف في البدن وأحوالها ، وكيفية صدورها عن مبدئها .<sup>(5)</sup>

علم معرفة المعاد : وهو علم باحث عن أحوال النفس بعد المفارقة عن البدن حيث تتعلق بالبدن أخرى ، وهل يمكن لها السعادة أو الشقاوة .<sup>(6)</sup>

علم أمارات النبوة : من الارهاصات والمعجزات القولية والفعلية ، وكيفية دلالة هذه على النبوة ، وتمييز الصادق من الكاذب .<sup>(7)</sup>

علم مقالات الفرق : وهو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية .<sup>(8)</sup>

ثم يأتي المصنف في ختام الشعبة الثانية إلى علم تقاسيم العلوم ؛ فعده علماً قائماً بذاته ، وأدرجه ضمن شعبة العلم الإلهي .

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 289 .

(3) المصدر نفسه ، ص 289 .

(4) (5) المصدر نفسه ، ص 297

(6) (7) المصدر نفسه ، ص 297

(8) المصدر نفسه ، ص 98

علم تقاسيم العلوم : وهو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ، ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم .<sup>(1)</sup>

ثم ذكر المصنف سبب إدراجه لعلم تقسيم العلوم ضمن العلم الإلهي وهو أن العلم الإلهي هو أعم العلوم موضوعا ؛ الذي يمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم<sup>(2)</sup> ، ولم يورد من تصنيف السابقين للعلوم سوى رسالة " ابن سينا " فقط .<sup>(3)</sup>

الشعبة الثالثة : في العلم الطبيعي

وهو علم باحث فيه عن أحوال الأجسام الطبيعية بأنواعها وموضوعه : الجسم من حيث كونه متغيرا ومنفعته : معرفة أحوال الأجسام البسيطة من الأفلاك والعناصر المركبة.<sup>(4)</sup>

ثم يذكر المصنف ؛ فروع العلم الطبيعي فعددها عشرة :<sup>(5)</sup>

علم الطب ، علم البيطرة والبيزرة ، وعلم الفراسة ، وعلم تعبير الرؤيا ، وعلم أحكام النجوم ، وعلم السحر ، وعلم الطلسمات ، وعلم السيمياء ، وعلم الكيمياء ، وعلم الفلاحة .  
ثم يضيف : " .. وذلك لأن نظره إما يتفرع على الجسم البسيط أو المركب أو ما يعمهما ، والأجسام البسيطة : إما الفلكية فأحكام النجوم ، وإما العنصرية فالطلسمات .  
والأجسام المركبة : إما ما لا يلزمه مزاج : وهو علم السيمياء .  
أو يلزمه مزاج : فإما بغير ذي نفس : فالكيمياء ، أو بذي نفس :  
فإما غير مركبة مدركة كالفلاحة ، أو مدركة فإما مع كمال أن يعقل أولا .  
الثاني : البيطرة و البيزرة وما يجري مجراها :

والذي لذي النفس العاقلة هو الإنسان ، وذلك إما في حفظ صحته واسترجاعها وهو الطب .  
أو أحواله الظاهرة الدالة على الأحوال الباطنة فالفراسة . أو أحوال نفسه حال غيبته عن حسه وهو تعبير الرؤيا . والعام للبسيط والمركب وهو السحر ... " .<sup>(6)</sup>

(1) ، (2) ، (3) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 300 .

(4) المصدر نفسه ، ص 301 .

(5) المصدر نفسه ، ص 302 .

(6) المصدر نفسه ، ص 302 .



ثم يذكر المصنف هذه العلوم بشيء من التفصيل ؛ حيث يعرفها علما علما ، ويذكر موضوعها ، ويحدد غايتها ومنفعتاتها ، ثم أغلب ما صنف في كل علم من كتب ورسائل وبعض من نبغوا فيه ، وهذا ديدنه في تصنيفه للعلوم من بداية كتابه إلى نهايته .

ومن فروع العلم الطبيعي أيضا :

علم المعادن : وهو علم يتعرف منه أحوال الفلزات من طبائعها وألوانها ، وكيفية تولدها في المعادن وكيفية استخراجها واستخلاصها .<sup>(1)</sup>

علم الجواهر : وهو علم باحث عن كيفية الجواهر المعدنية البرية .<sup>(2)</sup>

علم الكون والفساد : وهو علم باحث عن كيفية الأمطار والثلوج ، والرعد والبرق وأمثالها ووجودها في بعض البلاد دون بعض<sup>(3)</sup> ( الأرصاد الجوية ) .

علم قوس قزح : علم باحث في كيفية حدوثه ، وسبب حدوثه ، وسبب استدارته ، واختلاف ألوانه ، وأحكام حدوثه في عالم الكون والفساد .<sup>(5)</sup>

الشعبة الخامسة : في فروع العلم الطبيعي

أورد المصنف في هذه الشعبة مجموعات من فروع العلم الطبيعي التي ذكرناها سابقا ، وقد أطلق على تلك المجموعات اسم العناقيد؛ فاحتوى كل عنقود على تفرعات أخرى لكل فرع من فروع العلم الطبيعي ، وقد عد المصنف بعض أجزاء العلم علوما قائمة بذاتها .<sup>(6)</sup>

الشعبة السادسة : في العلوم الرياضية

وهي العلوم الباحثة عن أمور يصح تجردها عن المادة في الذهن فقط ، وتنحصر هذه العلوم في أربعة أقسام ، لأن نظرها إما عن الكم المتصل أو عن الكم المنفصل .

فالأول : الهندسة

والثاني : الهيئة ( الفلك )

والثالث : العدد

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 309 .

(2)(3) المصدر نفسه ، ص 309 .

(5) المصدر نفسه ، ص 309 .

(6) المصدر نفسه من ص 323 إلى ص 346 .

والرابع : الموسيقى (1)

علم الهندسة : وهو علم يعرف منه أحوال المقادير ولواحقها ، وأوضاع بعضها عند بعض ونسبتها ، وخواص أشكالها . (2)

علم الهيئة : وهو علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة ، العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها . (3)

علم العدد : وهو علم يتعرف منه أنواع العدد ؛ وأحوالها وكيفية تولد بعضها من بعض ، وموضوعه الأعداد من جهة خواصها ولوازمها . (4)

علم الموسيقى : وهو علم يعرف منه أحوال النغم والإيقاعات ، وكيفية تأليف اللحن وإيجاد الآلات الموسيقاوية . (5)

وفي الشعبة السابعة ، يتطرق المصنف إلى فروع علم الهندسة وهي كثيرة : علم عقود الأبنية ، وعلم المناظر ، وعلم المرايا المحرقة ، وعلم مراكز الأثقال ، وعلم جر الأثقال ، وعلم المساحة ، علم أنباط المياه ، وعلم الآلات الحربية ، وعلم الرمي ، وعلم التعديل ، وعلم الملاحة ... إلخ. (6)

الشعبة الثامنة : في فروع علم الهيئة

وهي كثيرة ، ومن بينها : علم الزيجات والتقويم ، وعلم كتابة التقويم ، وعلم حساب النجوم ، وعلم كيفية الأرصاد ، وعلم الآلات الرصدية ، علم المواقيت ، وعلم الآلات الظلية ، وعلم تسطيح الكرة وعلم صور الكواكب ، وعلم الجغرافيا . (7)

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 347 .

(2) المصدر نفسه ، ص 347 .

(3) المصدر نفسه ، ص 348 .

(4) المصدر نفسه ، ص 250 .

(5) نفسه ، ص 250 .

(6) نفسه ، ص ص 351 - 356 .

(7) نفسه ، ص 357 - 367 .

الشعبة التاسعة : في فروع العدد

والذي يسمى علم الحساب ؛ وفروعه كثير منها : علم حساب الميل ، وعلم الجبر والمقابلة ، علم حساب الدور والوصايا ، وعلم حساب الدرهم والدينار ، علم حساب الفرائض ، وعلم حساب العقود ..... إلخ .<sup>(1)</sup>

الشعبة العاشرة : في فروع علم الموسيقى

ومنها : علم الآلات العجيبة ، وعلم الرقص ، وعلم الغنج .<sup>(2)</sup>

الدوحة الخامسة : في الحكمة العملية

يقول "طاش كبرى زادة" : « ... ثم أن الحكماء ذكروا علومهم العملية ، وبحثوا فيها عن الأعمال الصادرة عن البشر ، وتلك الأعمال :

إما أن تتعلق بالشخص وحده وهي : علم الأخلاق .

أو تتعلق بأهل المنزل ؛ لدوام الأُنس والاتلاف ، وهي : علم تدبير المنزل .

أو تتعلق بأحوال أهل البلد ؛ لنظام أحوال الملك والسلطنة وهي : علم السياسة .<sup>(3)</sup>

الشعبة الأولى : في علم الأخلاق

وهو علم يعرف منه أنواع الفضائل ، وهي اعتدال ثلاث قوى : القوة النظرية ، والغضبية ، والشهوية ، كل منها أوساط بين رذيلتين .<sup>(4)</sup>

الحكمة : هي كمال القوة النظرية بين نظريتي البلادة و الجربزة ، الأولى تفريطها والثانية إفراطها .

والشجاعة : وهي كمال القوة الغضبية ، وهي التوسط بين رذيلتي الجبن والتهور ، الأولى تفريطها

والثاني إفراطها .

والعفة : هي كمال القوة الشهوية ؛ وهي التوسط بين رذيلتي الخمود والفجور ؛ الأولى تفريطها

والثاني إفراطها .<sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص ص 368 ، 375 .

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه ، ص ص 376 ، 377 .

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه ، ص 382 .

<sup>(4)</sup> <sup>(5)</sup> المصدر نفسه ، ص ص 383 - 384 .

ومنفعته: أن يكون الإنسان كاملاً في أفعاله بحسب الإمكان؛ ليكون في أولاده سعيداً وأخراه حميداً.<sup>(1)</sup>

الشعبة الثانية: في علم تدبير المنزل

وهو علم يعرف منه اعتدال الأحوال المشتركة بين الإنسان وزوجته وأولاده وخدامه ، وطريق علاج الأمور الخارجة عن الاعتدال ، ووجه الصواب فيها ، وموضوعه : أحوال الأهل والأولاد والقرائب والخدم وأمثالها ؛ من حيث الانتظام ، ومنفعته : انتظام أحوال الإنسان في منزله ، ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبين الأشخاص المذكورة ، ويتفرغ باعتدالها وانتظامها على كسب السعادة العاجلة والآجلة .<sup>(2)</sup>

الشعبة الثالثة: في علم السياسة

وهو علم يعرف منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها من أحوال السلاطين والملوك والأمراء ، وأهل الاحتساب والقضاة والعلماء ، وزعماء الأموال ، ووكلاء بيت المال ، ومن يجري مجراهم .

وموضوعه : المراتب المدنية وأحكامها ، ومنفعته : معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة .<sup>(3)</sup>

الشعبة الرابعة: في فروع الحكمة العملية

علم آداب الملوك : وهي أحوال عرفها الأمراء والملوك بالتجارب ، والحدس ، والرأي الصائب مما ينبغي أن يفعله ، ومما ينبغي أن يجتنبه .<sup>(4)</sup>

علم آداب الوزارة : الوزارة من أركان السلطنة ، فلا يستغني السلطان عن الوزارة .<sup>(5)</sup>

علم الاحتساب : وهو النظر في أمور أهل المدينة ؛ بإجراء ما رسم في الرياسة الاصطلاحية ونهى ما يخالفها أو بتنفيذ ما تقرر في الشرع .<sup>(6)</sup>

علم قود العساكر والجيش : وهو علم باحث عن ترتيب العساكر ونصب الرؤساء .<sup>(7)</sup>

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 384 .

(2) المصدر نفسه ، ص 385 .

(3) المصدر نفسه ، ص 386 .

(4) المصدر نفسه ، ص 388 .

(5) نفسه ، ص 393 .

(6) نفسه ، ص 393 .

(7) نفسه ، ص 394 .

### الدوحة السادسة : في العلوم الشرعية

وسمي علم الشرائع لأخذ الناس منها حظوظهم ، كما تسمى الشريعة دينا لإطاعة الناس إياها ، وملة لاجتماعهم عليها ، ويسمى أيضا ( علم النواميس ) أخذا من الناموس : وهو الملك النازل بالوحي<sup>(1)</sup>.

يقول "طاش كبرى زادة" : « واعلم أن العلوم الاعتقادية : إما متعلقة بالنقل ، أو فهم المنقول ، أو تقريره وتشبيده بالأدلة ، أو استخراج الأحكام المستنبطة .  
فالنقل : إن كان بما أتى به الرسول بواسطة الوحي فهو : ( علم القراءات ) ، أو بما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة ( فعلم رواية الحديث ) .

وفهم المنقول : إن كان من كلام الله تعالى ( فعلم تفسير القرآن ) وإن كان من كلام الرسول ( فعلم دراية الحديث ) .

والتقرير : أما الآراء ( فعلم أصول الدين ) ، أو الأفعال : ( فعلم أصول الفقه ) واستخراج الأحكام من أدلتها ( فعلم الفقه )<sup>(2)</sup> .  
ومنافع هذه العلوم حمة :

إما في الدنيا : فحفظ المهج والأموال ، وانتظام سائر الأحوال  
وإما في الآخرة : فالنجاة من العذاب الأليم ، والفوز بالنعيم المقيم<sup>(3)</sup> .

#### الشعبة الأولى : علم القراءة

وهو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى ، من حيث وجوه الاختلافات المتواترة وغرضه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة<sup>(4)</sup> .

#### الشعبة الثانية : علم رواية الحديث

هو علم يبحث عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول (ص) ؛ من حيث أحوال رواته ضبطا وعدالة ؛ من حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا ، وغير ذلك من الأحوال التي يعرفها نقاد الأحاديث ، وموضوعه ألفاظ الرسول (ص) من حيث صحة صدورها عنه (ص) وضعفه إلى غير ذلك<sup>(5)</sup> .

(1) طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، المصدر السابق ، الجزء 2 ، ص 3 .

(2) المصدر نفسه ، ص 5 .

(3) المصدر نفسه ، ص 5 .

(4) نفسه ، ص 6 .

(5) نفسه ، ص 52 .

### الشعبة الثالثة : علم تفسير القرآن

هو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية ، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية ، ومبادئه العلوم العربية وأصول الكلام ، وأصول الفقه والجدل وغير ذلك من العلوم الجمّة ، والغرض منه معرفة معاني النظم وفائدته : حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة .<sup>(1)</sup>

### الشعبة الرابعة : علم دراية الحديث

وهو علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث ، وعن المعنى المراد منها مبتنيا على قواعد اللغة العربية ، وضوابط الشريعة ، ومطابقا لأحوال النبي (ص) وموضوعه : أحاديث الرسول (ص) من حيث دلالتها على المعنى المفهوم والمراد ، وغايته التحلي بالآداب النبوية والتخلي عما يكرهه وينهى عنه .<sup>(2)</sup>

### الشعبة الخامسة : علم أصول الدين المسمى بعلم الكلام

وهو علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية ، بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها ، وموضوعه : ذات الله سبحانه وتعالى ، وصفاته عند المتقدمين ، وقيل : موضوعه الموجود من حيث هو موجود ، وإنما يمتاز عن العلم الإلهي الباحث عن أحوال الموجود المطلق باعتبار الغاية؛ لأن الباحث في الكلام على قواعد الشرع ، وفي الإلهي على مقتضى العقول .<sup>(3)</sup>

وعند المتأخرين موضوع الكلام ؛ المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية ؛ تعلقا قريبا أو بعيدا ... وبالجملة يشترط في الكلام أن يكون القصد فيه تأييد الشرع بالعقل ، وأن تكون العقيدة مما وردت في الكتاب والسنة ، ولو فات أحد هذين الشرطين لا يسمى كلاما أصلا .<sup>(4)</sup>

ومنفعة علم الكلام : الفوز بالسعادة الأبدية والسيادة السرمدية ، ومبادئه العلوم الشرعية بأسرها وكذا الصناعات المنطقية .<sup>(5)</sup>

### الشعبة السادسة : علم أصول الفقه

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 54 .

(2) المصدر نفسه ، ص 113 .

(3) المصدر نفسه ، ص 132 .

(4) المصدر نفسه ، ص 132 .

(5) المصدر نفسه ، ص 133 .

وهو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية اليقينية ،  
وموضوعه : الأدلة الشرعية الكلية من حيث أنها كيف يستنبط عنها الأحكام الشرعية ومبادئه :  
مأخوذة من العربية وبعض من العلوم الشرعية والعقلية ، والغرض منه : تحصيل ملكة استنباط  
الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الأربعة التفصيلية ، أعني الكتاب والسنة والإجماع والقياس ،  
وفائدته : استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة .<sup>(1)</sup>

#### الشعبة السابعة : علم الفقه

وهو علم باحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية ، من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية ،  
ومبادئه مسائل أصول الفقه ، وله استمداد من سائر العلوم الشرعية والعربية ، وفائدته حصول العمل  
به على الوجه المشروع ، والغرض منه : تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية ، ولما كانت  
الغاية والغرض في العلوم العملية تحصيل الظن دون اليقين ؛ بناء على أن أقوى الأدلة الكتاب والسنة ،  
وأنه وإن كان قطعي الثبوت ، لكن أكثره ظن الدلالة ، فصار محلا للاجتهاد ، جاز الأخذ فيها أولا  
بمذهب أي مجتهد أراد .<sup>(2)</sup>

وفي الشعبة الثامنة : خص طاش كبرى زادة فروع العلوم الشرعية في مطالب ستة وهي : فروع علم  
القراءة ، وفروع علم الحديث ، وفروع علم التفسير ، وفروع علم أصول الدين ، وفروع علم  
أصول الفقه ، وفروع علم الفقه .<sup>(3)</sup>

وبفروع العلوم الشرعية يختتم "طاش كبرى زادة" الجزء الثاني من رسالته في ترتيب العلوم .

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 163 .

(2) المصدر نفسه ، ص 173 .

(3) المصدر نفسه ، من ص 333 إلى ص 557 .

الدوحة السابعة : في علوم الباطن

ولها أربع شعب : العبادات، والعادات ، والمهلكات ، والمنجيات .

الشعبة الأولى : في العبادات ، وتتفرع هذه من عشرة أول :

الأصل الأول : العلم وفيه مطالب :<sup>(1)</sup>

المطلب الأول : في معرفة فضل العلم والتعلم والتعليم

المطلب الثاني : في معرفة ما يجب على المسلم من العلم

المطلب الثالث : في المحمود من العلوم والمذموم منها ومنها : علوم المكاشفة وعلوم المعاملة .

المطلب الرابع : في آداب المعلم والمتعلم ووظائفهما .

المطلب الخامس : في آفات العلم ، وبيان علامات علماء الدنيا وعلماء الآخرة .

المطلب السادس : في العقل وشرعه وحقيقته وأقسامه .

الأصل الثاني : في قواعد العقائد<sup>(2)</sup> وأركانها أربعة :

معرفة الله عز وجل ، وفي صفاته ، وفي أفعاله تعالى ، وفي السمعيات .<sup>(3)</sup>

الأصل الثالث : علم أسرار الطهارة .<sup>(4)</sup>

الأصل الرابع : في علم أسرار الصلاة .<sup>(5)</sup>

الأصل الخامس : في علم أسرار الزكاة .<sup>(6)</sup>

الأصل السادس : في علم أسرار الصوم .<sup>(7)</sup>

الأصل السابع : في علم أسرار الحج .<sup>(8)</sup>

الأصل الثامن : في علم فضيلة الأذكار والتلاوة والأوراد .<sup>(9)</sup>

<sup>(1)</sup> طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، الجزء الثالث ، ص 09 .

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه ، ص 24 .

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه ، ص 25 .

<sup>(4)</sup> المصدر نفسه ، ص 25 .

<sup>(5)</sup> المصدر نفسه ، ص 33 .

<sup>(6)</sup> المصدر نفسه ، ص 64 .

<sup>(7)</sup> نفسه ، ص 72 .

<sup>(8)</sup> نفسه ، ص 77 .

<sup>(9)</sup> نفسه ، ص 105 .



الشعبة الثانية : في العادات :

ويتفرع عنها عشرة أصول: (1) في آداب الأكل ، وفي آداب النكاح ، وفي آداب الكسب ، والمعاش ، وفي الحلال والحرام ، وفي آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، وفي آداب العزلة ، وفي آداب السفر ، وفي آداب السماع والوجد ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي أخلاق النبوة .

الشعبة الثالثة : في ربع المهلكات

ويتفرع عنها إحدى عشر أصلا: (2)

شرح عجائب القلب ، وفي رياضة النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وفي كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج ، وفي آفات اللسان ، وفي ذم الغضب والحقد والحسد ، وفي ذم الدنيا ، وفي ذم المال وكراهية حبه و ذم البخل ، وفي ذم الجاه والرياء ، وفي ذم الكبر والعجب ، وفي ذم الغرور .

الشعبة الرابعة : في ربع المنجيات :

ويتفرع عنها عشرة أصول: (3)

في التوبة ووجوبها ، وفي الصبر والشكر ، وفي الرجاء والخوف ، وفي الفقر والزهد ، وفي التوكل ، وفي المحبة لله والشوق والأنس والرضا ، وفي النية والإخلاص والصدق ، وفي المحاسبة والمراقبة ، وفي التفكير ، وفي ذكر الموت والبعث والنشور .

وبالبعث والنشور ؛ يختتم "طاش كبرى زادة" تصنيفه للعلوم وكذا كتابه الموسوعة ( مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ) .

(1) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 183 .

(2) المصدر نفسه ، ص 323 .

(3) المصدر نفسه ، ص 433 .

## تصنيف العلوم عند حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله أو كاتب جلبي)

جاءت محاولة "حاجي خليفة" (ت 1067 هـ) في تصنيف العلوم ؛ بعد تصنيف "طاش كبرى زادة" بحوالي قرن من الزمان ، وقد استفاد منه أيما استفادت في ترتيب مصنفه ( كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) الذي جاء فيه تصنيفه للعلوم .

ويعد كتاب "حاجي خليفة" موسوعة هامة بعد موسوعة "طاش كبرى زادة" ، فقد ضم زهاء خمسة عشر ألفاً من أسماء الكتب والرسائل ، وما يفوق تسعة آلاف وخمسمائة من أسماء المؤلفين والمصنفين، واحتوى على ما يزيد عن ثلاثمائة علم وفن .

وقد قسم حاجي خليفة مقدمة كتابه ( كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ) والتي أسماها ( مقدمة في أحوال العلوم ) إلى خمسة أبواب ؛ يتضمن كل واحد منها عدداً من المقاطع التي تتناول مسائل ومقولات ؛ تندرج في ذلك الباب .

يتحدث في الباب الأول عن ( تعريف العلم وتقسيمه ) ، ويتحدث في الباب الثاني عن ( منشأ العلوم والكتب ) ، أما الباب الثالث فيخصصه ( للمؤلفين والمؤلفات ) ويتضمن الباب الرابع ( فوائد منشورة من أبواب العلم ) ثم يختتم المقدمة بباب خامس يسميه ( لواحق المقدمة مسن الفوائد).

وينصب الحديث في الأبواب الثلاثة الأولى ، والباب الأخير على العلوم والكتب والمؤلفين ؛ بحكم طبيعة الكتاب الذي يقدم له ك فهرسة يستهدف من خلالها الكشف عن أسامي الكتب والفنون . ويعتبر حاجي خليفة مختلف العلوم - كما اعتبرها ابن خلدون - صنائع ، ذات طرائق ومناهج يتمرس بها .

يقول "حاجي خليفة": « إن تعليم العلم من جملة الصنائع ، إذ هو صناعة اختلاف الاصطلاحات ( المناهج ) فيه ، فلكل إمام اصطلاح في التعليم ؛ يختص به شأن الصانع ، ألا ترى إلى علم الكلام كيف يخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين ، فدل على أنها صناعات في التعليم ، والعلم واحد - ( وهي نظرة خلدونية ) - ولما كان التعليم من جملة الصنائع فإن العلوم تكثر حيث يكثر العمران ، وتكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة بحسب الأمصار على نسبة عمرائها في الكثرة والقلة والحضارة ، لأنه أمر زائد على المعاش ، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان ، وهي العلوم والصنائع .. »<sup>(1)</sup>.

(1) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 42.

وينقل عن "ابن خلدون" - أيضا - فكرة فائدة الرحلة في طلب العلم ، لأنها تمنح الطالب الفرصة للتعرف على مناهج المعلمين في تعليم المادة الواحدة ، وطرائقهم المتباينة في التوصيل ، الأمر الذي يزيد قدرات المتعلمين في إدراك المادة العلمية ، من خلال التعامل مع المناهج المتباينة .<sup>(1)</sup>

ويعضد حاجي خليفة إلى تحديد أنماط التعليم الذهني ، فيجدها ثلاثة : التلقي عن الآخرين ، العلم التحريبي المستمد من معاينة الوقائع والتجارب والخبرات ، ثم العلم القياسي المتأتي عن البحث الذاتي ، وإعمال الفكر في الحقائق والمعطيات الذهنية والتصورات " فكل تعليم وتعلم ذهني إنما يكون بعلم سابق في معلوم ما من عالم ليس بعالم ، وقد يكون بالطبع مستفادا من وقائع الزمان بتردد الأذهان ، ويسمى علما تجريبيا ، وقد يكون بالبحث وإعمال الفكر ؛ ويسمى علما قياسيا".<sup>(2)</sup> وهو يلخص العملية المعرفية بأنها محصورة في التصور والتصديق ، فما لم يتحققا انتهى العلم " والتصور يطلب بالأقوال الشارحة ، والتصديق يكون عن مقدمات في صور القياسات للنتائج ، فقد يحصل به اليقين ، وقد لا يحصل الإقناع ".<sup>(3)</sup>

ثم يشير المصنف إلى مبدأ التدرج في المعرفة ؛ فالمعرفة لا تأتي جملة واحدة ، فلا بد من التدرج في تقديمها حتى يتحقق التصور ويكون التصديق ؛ فينضاف إلى الذهن رصيد جديد ، وهكذا يعتمد التعليم سلما للأولويات فيبتدئ " بما هو أقرب تناولا ليكون سلما لغيره ".<sup>(4)</sup>

وثمة طريقان لتوصيل المعارف : المشافهة والكتاب " وقد جرت سنة القدماء في التعليم مشافهة دون كتاب ، فلا يصل علم إلى غير مستحقه ، ولكثرة المشتغلين بها ، فلما ضعفت المهم أخذوا في تدوين العلوم ، وضنوا ببعضها ( بخلوا ) فاستعموا الرمز ، واختصروا من الدلالات على الالتزام ، فمن عرف مقاصدهم حصل على أغراضهم ".<sup>(5)</sup>

وفي ختام مقدمته يكشف " حاجي خليفة " عن الأسباب التي دفعته إلى تأليف مصنفه ، وكذا فلسفته في التصنيف ، والتي تتمحور حول الأهمية البالغة التي يوليها الرجل للتعلم باعتباره أداة ضرورية لتحقيق سمو الإنسان ، وحول ضرورة منحه ضوابط ومعايير نقدية تمكنه من تمييز الكتب وإدراك مراتب العلوم .

(1) حاجي خليفة ، المصدر السابق ، ص ص 42 - 43 .

(2) المصدر نفسه ، ص 51 .

(4) المصدر نفسه ، ص 51 .

(5) نفسه ، ص 51 .

يقول "حاجي خليفة": «إن الإنسان لما كان محتاجا إلى تكميل نفسه البشرية ، والتكميل لا يتم إلا بالعلم بحقائق الأشياء ، وبالعلم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ؛ وجب تعلم تلك العلوم ، وما هو كالوسيلة إليها ، ولزمه أولا العلم بأنواع العلوم ؛ ليتبين منها هذا الغرض ، ثم العلم بأصناف الكتب في نفسها ومرتبها ، ليكون على بصيرة من أمره ، ويقايس بين العلوم والكتب ، فيعلم أفضلها وأثقلها ، ويعلم حال العلم به ، وحال من يدعي علما من العلوم ، ويكشف دعواه ، بأنه هل يخبر خيرا تفصيليا عن موضوع ذلك العلم وغايته ومرتبته ؟ فيحسن الظن به فيما ادعاه ، ويعلم حال المصنفات أيضا ، ومراتبها ، وجلالة قدرها ، والتفاوت فيما بينها وكثرتها ، وفيه إرشاد إلى تحصيلها وتعريف له بما يعتمد منها ، وتحذيره مما يخاف من الاغترار به ، ويعلم حال المؤلفين ووفياتهم وأعصارهم ولو إجمالا ، فلا يقصر بالعالي في الجلالة عن درجته ، ولا يرفع غيره عن مرتبته ، ويستفاد منه تشويق النفوس الزكية إلى الكمالات الإنسانية ، وتحريكها إلى حسن الاقتداء والاقتفاء ؛ بإمرار النظر إلى آثار الأولين والآخرين ، والفكر في أخبارهم»<sup>(1)</sup>.

وهكذا فمن خلال هذا النص المطول لـ "حاجي خليفة" نكتشف حقيقة علم تصنيف العلوم الذي يرتبط أشد الارتباط بالتربية والتعليم ، ومدى تأثرهما بتأثيرات ( القدوة ) في تحريك النفس البشرية ، صوب طلب الكمال ، ومدى ما جبلت عليه هذه النفس من نزوع معرفي دائم ، وتطلع إلى البحث ، ومعاينة خبرات الآخرين و الاستفادة منها ، ومن خلال هذين الدافعين يتحقق نمو الشخصية ، وهو ما سماه "حاجي خليفة" ( تكميل النفس ) .

وبهذا فقد عد "حاجي خليفة" من الذين وضعوا قواعد وأساسات تصنيف العلوم ، وكذا تصنيف الكتب ( التصنيف المكتبي ) فقد جاء تصنيفه ضمن موسوعة ضخمة ؛ ضمت كل العلوم تقريبا ، والتي كان يعرفها علما علما ، ويذكر ما جاء ذلك العلم من كتب ومصنفات ، وكذا من اشتهروا فيه .

وباختصار فقد جاء تصنيف "حاجي خليفة" مؤكدا لما جاء به سابقوه ، ومتوجا لتصنيفاتهم ، فاعتبر لمبدأ الوحدة بين العلوم ؛ التي بينها عموم وخصوص يقول "حاجي خليفة": «... اعلم أن موضوع علم يجوز أن يكون موضوع علم آخر ، وأن يكون أخص منه أو أعم ، وأن يكون مباينا عنه ، لكن يندرجان تحت أمر ثالث ، وأن يكون مباينا له غير مندرجين تحت ثالث ، لكن يشتركان بوجه دون وجه ، ويجوز أن يكونا متباينين إطلاقا ، فهذه ستة أقسام :

(1) حاجي خليفة ، المصدر السابق ، ص ص 57 - 58 .

الأول : أن يكون موضوع علم عين موضوع آخر ؛ فيشترط أن يكون كل منهما مقيدا بقيد غير قيد الآخر ، وذلك كأجرام العالم ؛ فإنها من حيث الشكل موضوع الهيئة ، ومن حيث الطبيعة موضوع لعلم السماء والعالم الطبيعي ؛ فافترقا بالحيتين ، ثم إن اتفق أبحاث بعض المسائل فيها بالموضوع والمحمول فلا بأس به ؛ إذ يختلف بالبراهين ؛ كقولهم بأن الأرض مستديرة وهي وسط السماء في الصور والمعاني ، لكن البرهان عليهما من حيث الهيئة غير البرهان من جهة الطبيعي .<sup>(1)</sup>

الثاني والثالث : أن يكون موضوع علم أخص من علم آخر أو أعم منه ؛ فالعموم والخصوص بينهما إما على وجه التحقيق ؛ بأن يكون العموم والخصوص بأمر ذاتي له مثل كون العام جنسا للخاص ، أو بأمر عرضي ، فالأول كالمقدار والجسم التعليمي ؛ فالجسم التعليمي أخص ، والمقدار جنس له وهو موضوع الهندسة ، والجسم التعليمي موضوع المجسمات وكموضوع الطب وهو بدن الإنسان ؛ فإنه نوع من العلم الطبيعي وهو الجسم المطلق ، والثاني كالموجود والمقدار فإن الموجود موضوع العلم الإلهي والمقدار موضوع الهندسة ، وهو أخص من الموجود لا لأنه جنسه بل لأنه عرض عام له .

الرابع : أن يكون الموضوعان متباينين ؛ لكن يندرجان تحت أمر ثالث كموضوع الهندسة والحساب ، فإنهما داخلان تحت الحكم فيسميان متساويين .

الخامس : أن يكون مشتركين بوجه دون وجه ، مثل موضوعي الطب والأخلاق ، فإن لموضوعيهما اشتراكا في القوى الإنسانية .

السادس : أن يكون بينهما تباين كموضوع الحساب والطب ، فليس بين العدد وبدن الإنسان اشتراك ولا مساواة » .<sup>(2)</sup>

هذا ؛ وقد اتبع "حاجي خليفة" في تقسيمه للعلوم تقسيم "طاش كبرى زادة" من قبله في منهجه العام ؛ فقسم العلوم إلى أربع درجات ترتقي من علوم الكتابة ( الخط ) إلى علوم العبارة ( الألفاظ ) إلى علوم الأذهان ( المنطق والجدل ) إلى علوم الأعيان ؛ وهي العلم الإلهي والطبيعي والرياضي ، ثم يضيف العلوم الحكيمة العملية ؛ وهي علم الأخلاق وعلم تدبير المنزل وعلم السياسة ، ثم بعد ذلك الشرعية وأصولها القراءة والتفسير والحديث والكلام ، ثم يذكر فروع كل منها ، كما يضيف بعد ذلك العلوم المتعلقة بالتصنيفية ؛ التي هي ثمرة العمل بالعلم .

وينتهي "حاجي خليفة" تصنيفه بذكر شرف العلم وفضله وما يلحق به .

(1) حاجي خليفة ، المصدر السابق ، ص 7 .

(2) المصدر نفسه ، ص 8 .

## أساس تصنيف العلوم في المدرسة العلمية :

لما لاشك فيه أن تصنيف العلوم عند المدرسة العلمية ؛ قد تميز بمشكل لافت عن سابقه ؛ فهو يتجه أكثر نحو الشمول والنضج التصنيفي ، ولعل من أسباب ذلك هو تطور العلوم وكذا انتشارها إذا اعتبرنا أن هذه الوجهة الفكرية متأخرة بديها عن سابقها .

وفي هذا الإطار فقد ظهر في تلك التصنيفات - التي تمثل هذه الوجهة - استيعابا كبيرا للمعرفة الإنسانية ؛ متمثلة في مختلف العلوم التي عاجلها من التفصيل وذكرها فروعها ، وأهم ما صنف فيها . ولعل أهم ما يميز المدرسة العلمية في تصنيف العلوم ؛ هو الفكر الموسوعي أو الموسوعية ؛ التي اعتمدت كمنهج في معالجة تلك العلوم ؛ من استقصاء جميع فروع العلم ودقائه . إضافة إلى تلك الرؤية التوجيهية في التعليم والتربية ؛ التي أثمرت عملا بيبليوغرافيا مكتيبا منوطا بتقسيم المصنفات العلمية وفق إطارها الصحيح ، وهي رؤية تطرح بعدا حضاريا يُعنى بالسعادة الإنسانية ، وبأسباب تقدم الحياة .

فنجده "ابن خلدون" مثلا ؛ ينظر إلى تعليم العلم على أساس أنه صناعة قائمة بذاتها ؛ منها ما هي معيشية ، ومنها ما هي فكرية فيقول : « وتنقسم الصنائع أيضا إلى : ما يختص بأمر المعاش ضروريا كان أو غير ضروري ، وإلى ما يختص بالأفكار ؛ التي هي خاصية الإنسان من العلوم والصنائع والسياسة » .<sup>(1)</sup>

ثم يضع "ابن خلدون" قانون للحصول على الصناعة والإحاطة بمبادئها فيقول : « إن الحدق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه ؛ إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده ، والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحدق في ذلك الفن المتناول حاصلًا » .<sup>(2)</sup>

وعلى أساس ملكة استنباط الفروع من الأصول ، والإحاطة بمبادئ العلم وقواعده ؛ جاء التصنيف الموسوعي لكل من "طاش كبرى" ، و "حاجي خليفة" الذي سار على نهج "ابن خلدون" في اعتبار العلم من الصنائع ، والصنائع لا تكتمل ولا تتطور إلا بالعمران البشري<sup>(3)</sup> ؛ كما يرى "ابن خلدون" . تلك الصنائع التي تنال بالتعليم ؛ لتمكين الجماعة من التحقق بالعيش والرفاهية .

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص 713 .

(2) المصدر نفسه ، ص 770 .

(3) المصدر نفسه ، ص 714 .

وقد رأينا كيف أن "ابن خلدون" وكذا "حاجي خليفة" قد خصصا صفحات طويلة للحديث عن أمهات الصنائع ( العملية ) التي تنال بالتعليم ، والتي هي ضرورية للعمران ، كالفلاحة والبناء والحياكة والطب والخط والوراقة ..... الخ .

وكان "ابن خلدون" يعالج كل القيم ، من قيمة الممارسة التربوية التعليمية ، إلى قيمة العمل بها ؛ وفق رؤية إسلامية ؛ مدارها الإفادة مما سخره الله تعالى للإنسان في الكون ، وقيمة الإنسان كعنصر من العناصر الأساسية ؛ فيتحقق الاستخلاف العمراني في ضوء هدي القرآن الكريم .

وقد ظهر ذلك التصور الإسلامي عند "ابن خلدون" ؛ حينما أرجع مختلف العلوم النقلية (الشرعية) إلى مبدأ واحد متكامل فيه جميع العلوم فهو يقول : « .. أصناف هذه العلوم النقلية كثيرة ؛ لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة ، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق .

فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا ، وهذا علم التفسير ، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي (ص) الذي جاء به من عند الله ، واختلاف روايات القراء في قراءته ، وهذا هو علم القراءات ، ثم بإسناد السنة إلى صاحبها ، والكلام في الرواة الناقلين لها ، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ؛ ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك ؛ وهذه هي علوم الحديث ، ثم لا بد في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني ؛ يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط ؛ وهذا هو أصول الفقه ، وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ؛ وهذا هو الفقه ، ثم إن التكاليف منها بدني ، ومنها قلبي ؛ وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد ؛ وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر ، والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام ، ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها ؛ وهي أصناف فمنها علم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم الأدب ... » (1).

وقد اعتبرت هذه النظرة التوحيدية للعلوم ؛ مضمونا ومنهجيا ؛ من أسباب إبداع علماء الحضارة الإسلامية وعظمتهم ، حيث كان العالم منهم أشبه بموسوعة تضم أكثر من تخصص في فروع العلم. (2)

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص 781 .

(2) أحمد فؤاد باشا ، دراسات إسلامية في الفكر العلمي ، مرجع سابق ، ص 189 ، وأيضا : عبد المجيد النجار ، فقه التحضر ، مرجع سابق ، ص 66 .

وعلى المنوال ذاته - في توحيد العلوم - أبان "طاش كبرى زادة" عن منهجه فقال: «اعلم أن العلوم الاعتقادية إما متعلقة بالنقل، أو فهم المنقول، أو تقريره وتشيده بالأدلة، أو استخراج الأحكام المستنبطة، فالنقل إن كان بما أتى به الرسول بواسطة الوحي فهو علم القراءات، أو بما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة فعلم رواية الحديث، وفهم المنقول إن كان من كلام الله تعالى فعلم تفسير القرآن، وإن كان من كلام الرسول فعلم دراية الحديث، والتقرير إما الآراء فعلم أصول الدين، أو الأفعال فعلم أصول الفقه، واستخراج من أدلتها فعلم الفقه»<sup>(1)</sup>.

وحتى العلوم العقلية؛ فقد وضعت أيضا في نطاق كانت متواصلة فيه مع العلوم الشرعية متكاملة معها، فـ"ابن خلدون" يضع علم الفرائض وهو نوع من فروع الفقه ضمن العلوم العددية - كما مر بنا -، وفي السياق ذاته يدرج "طاش كبرى زادة" جميع العلوم العقلية فروعاً لعلم الكلام وهو علم شرعي؛ إذ إنه يستعمل مسائلها في الاستدلال على مسائل العقيدة. وبلا ريب؛ فإن التصانيف الثلاثة تشترك في توحيد وجهة العلوم، فغاياتها واحدة وهو تكميل النفس البشرية؛ ذلك التكميل الذي لا يتم إلا بالعلم بحقائق الأشياء والعلم بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله، ويندرج ذلك كله ضمن إطار واحد وهو خدمة الحقيقة الدينية، وتصفية النفس للوصول إلى السعادة الأبدية.

لذا فأهداف العلم سامية، وهي تجمع بين العلمي والنظري، وبين الأخلاقي والمعاشي وبين سعادة الدنيا والآخرة. ومن هذا المنطلق فالتربية هي محمول متواصلة لتنمية قدرات الإنسان العقلية والروحية والجسدية والوجدانية، أي السير بها نحو الكمال الممكن المنشود.

يقول "حاجي خليفة": «إن تكميل النفوس البشرية في قواها النظرية والعملية، إنما يتم بالعلم بحقائق الأشياء، وما هو إليه كالوسيلة، وبه يكون القصد إلى الفضائل والاجتناب عن الرذائل، إذ كان هو الوسيلة إلى السعادة الأبدية، ولا شيء أشنع وأقبح من الإنسان مع ما فضله الله سبحانه به من النطق، وقبول تعلم الآداب والعلوم؛ أن يهمل نفسه، ويعريها من الفضائل، وقد حث الشارع عليه الصلاة والسلام على اكتسابه حيث قال: "طلب العلم فريضة" وقال "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" "اطلبوا العلم ولو بالصين"<sup>(2)</sup>.

(1) طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مصدر سابق ج 2، ص 05.

(2) حاجي خليفة، كشف الظنون، المصدر السابق، ص ص 50 - 51.



ويربط "حاجي خليفة" نظريته في التربية والتعليم بمفاصل علم تصنيف العلوم ؛ الذي يقوم عليه معيار إدراك العلوم ، ومدى تحقيقها للكمال الإنساني فيقول : « إن الإنسان لما كان محتاجا إلى تكميل نفسه البشرية .... وجب تعلم تلك العلوم وما هو كالوسيلة إليها ، ولزمه أولا العلم بأنواع العلوم ليتبين منها هذا الغرض ، ثم العلم بأصناف الكتب في نفسها ومرتبته ، ليكون على بصيرة من أمره ويقايس بين العلوم والكتب ، فيعلم أفضلها وأوثقها ... » (1).

وهنا يشير "حاجي خليفة" إلى علم تصنيف العلوم وفضله ، ويربط بينه وبين كمال النفس البشرية في بحثها وإجادتها للعلوم ، مشايحا لمن سبقه في ذلك ؛ أعني به "طاش كبرى زادة" ؛ الذي يعد أول من عد تصنيف العلوم علما قائما بذاته ؛ حينما أشار إليه في معرض تقسيمه للعلوم ، وعدّه ضمن فروع العلم الإلهي ( الشعبة الأولى ) .

يقول "طاش كبرى زادة" : « علم تقاسيم العلوم هو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ، ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم » (2).

ويعتبر تصنيف "طاش كبرى زادة" أكمل عمل تصنيفي ، حيث جاءت أغلب التصانيف من بعده مقبسة وناقلة عنه ، حيث أتى على جمع أصول وفروع مختلف العلوم ، حتى أنه عمد إلى تراجم مؤلفي كتب العلوم والفنون ، فضلا عن الأمثال والقصص والأحاديث ، وهو بلا شك قد استفاد أيضا استفادة من سابقه ، لكنه لم يذكر سوى "ابن سينا" ورسالته اللطيفة ، (3) متجاهلا "ابن الأكفاني" الذي تبعه في مصنفه (4).

وكذا فقد ظهر في تصنيفه بعض آثار من آراء أبي حامد الغزالي ، في بيانه للعلوم المتعلقة بالتصنيفية التي هي ثمرة العمل بالعلم ، وكذا ذكره للمذموم والحمود من العلوم ، وبهذا يعتبر تصنيفه أكمل التصنيفات باعتبار التراكم المعرفي في تنسيق وترتيب مختلف العلوم .

وفوق ذلك ؛ يبقى أن نشير إلى أن فلسفة تصنيف العلوم عند هؤلاء ، وقبلهم أغلب مفكري المسلمين انتهت إلى بيان الغاية ؛ وهي معرفة الله سبحانه وتعالى ، وإدراك هديه بدعا وانتهاء لكل سعي جاد في هذا العالم ، سواء كان سعيًا عمليا أو كان سعيًا معرفيا .

(1) حاجي خليفة ، المصدر السابق ، ص 57 .

(2) طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، مصدر سابق ، ص 300 .

(3) المصدر نفسه ، ص 300 .

(4) أنظر : ابن الأكفاني ، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم ، مصدر سابق .

يقول "حاجي خليفة": « إن المقصود من العلم والتعليم والتعلم ؛ معرفة الله سبحانه وتعالى ، وهي غاية الغايات ورأس أنواع السعادات ، ويعبر عنها بعلم اليقين »<sup>(1)</sup>.

فبالمعرفة العليا يحظى الإنسان باليقين الذي هو قمة العلم ، وبالسعادة التي هي قمة السعي البشري. وبذلك نستطيع أن نقول أن هذه الوجهة الفكرية المتوجة لسابقتها ؛ قد حملت في طيات نسقها الفكري ، ومعالجتها الإحصائية الدقيقة للعلوم بعدا في التوجيه الحضاري ؛ من خلال ترشيدها للمعرفة أولا ، وللتربية ثانيا ، وللمعيشة ثالثا ، ولأسباب السعادة الأبدية أخيرا .

(1) حاجي خليفة ، المصدر السابق ، ص 51-52 .

## المبحث الرابع : الآثار الوظيفية لفلسفة تصنيف العلوم عند المسلمين

لقد ثبت في ميدان تصنيف العلوم ؛ بما لا يدع مجالاً للشك ؛ اختلاف منهج العلم عند المشتغلين به ، والذين يدرسون مختلف الظواهر الطبيعية والاجتماعية دراسة علمية . ذلك المنهج الوثيق بمعتقدات العالم الباحث المفسر ؛ المنهج الواثق بأرائه الفلسفية ، وقيمه الخلقية ، وأهدافه الذاتية وبيئته الثقافية ؛ وليس من شك أن تصنيف العلوم يتصل اتصالاً وثيقاً بالمنهج عند العالم ، لأن في التصنيف للعلوم بياناً لحدودها والعلاقات القائمة بينها ،<sup>(1)</sup> وهو المنهج الذي اعتمده العلماء المسلمون في مجمله مستنداً إلى قيم الوحي ، وكذا التبادل المعرفي والتفاعل الثقافي والحضاري .

وقد تدارس المسلمون العلوم المختلفة ، بعد أن صنّفوها تصنيفاً جديداً يتلاءم مع هداية الدين ، والدعوة إلى التوحيد ...<sup>(2)</sup> وبرز فلاسفة وعلماء من المسلمين أمسكوا بعجلة القيادة للفكر الإنساني لقرون متطاولة،<sup>(3)</sup> لأن غاية العلم في النظرة الإسلامية هو خدمة البشرية ، والانتفاع به في أعمال البر والخير .

وقد ظهر في تصانيف العلماء المسلمين بعض الخصائص التي اتسم بها التراث العلمي الإسلامي في بنيتيه العامة ؛ في صورة أوصاف ثلاثة وهي : الخدمة والعمل والمنهج ، كما يرى الفيلسوف "طه عبد الرحمان" .<sup>(4)</sup>

1) فـ"الخدمة" صفة الشيء الذي يقوم بما تحصل به المنفعة لشيء آخر ، وإذا وصف العلم بكونه خادماً لغيره ؛ فمعنى ذلك أن هذا العلم قائم للغير بأمر من شأنه أن يستفيد منه ، ويكون هذا الغير في الممارسة التراثية إما علماً من العلوم النقلية أو العقلية ؛ وإما مبدأ من المبادئ الأصلية للتراث الإسلامي .<sup>(5)</sup>

ففي الحالة الأولى ؛ إن كان العلم الخادم هو ما كان آلة من الآلات التي يتوصل بها العلم المخدوم إلى تقرير أحكامه واستخراج مسأله ؛ فيكون المنطق بحسب هذه الحالة أكثر العلوم آلية ، يليه في ذلك علم اللغة ثم الأمثل فالأمثل .

(1) جلال محمد موسى : منهج البحث العلمي عند العرب ، مرجع سابق ، ص 22 .

(2) حسن الشرقاوي ، مسلمون علماء وحكماء ، مرجع سابق ، ص 83 .

(3) المرجع نفسه ، ص 83 .

(4) طه عبد الرحمان ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مرجع سابق ، ص 84 .

(5) المرجع نفسه ص 84 .

وفي الحالة الثانية ؛ فإن العلم الخادم هو ما كان وسيلة لتحصيل وتوصيل المبادئ العقديّة والشرعية للحقيقة الإسلامية ، علما بأن هذه الحقيقة في الممارسة التراثية باتت تتبع الحقيقة العلمية، بحيث لا يقبل من العلم إلا ما كان موافقا لمقتضياتها ، بل تستتبع الحقيقة اللغوية ؛ بحيث لا يقبل من الاستعمال إلا ما كان ملائما لقيمتها ، فتكون بذلك العلوم التي نقلها إلينا التراث معارف لم تنقطع ؛ في كل أطوارها التي تقلبت فيها ، وفي كل المظاهر التي تشكلت بها عن خدمة مبدأ الحقيقة الإسلامية؛ وإن تفاوتت هذه الخدمة فيما بينها ، فإذا كان بعض هذه العلوم يجتهد فيها اجتهدا بمقتضى اختصاصه بالنظر في الشريعة أو العقيدة ؛ فإن بعضها كان يطلبها من غير أن يكون له تعلق بهذا الاختصاص ، وكان البعض الآخر يعمل على الدخول في هذه الخدمة بموجب تأثير القيم العامة لمجال التداول الإسلامي .

وبإيجاز إن الخدمة تكون وصفا لآلية العلم متى جمع بين أن يكون وسيلة إلى غيره ، وأن يكون قائما بالمبادئ والمقاصد الأصلية للتراث .<sup>(1)</sup>

وهذا ما لاحظناه مثلا عند "الفارابي" في سعيه لضم الفقه والكلام إلى العلوم الفلسفية ، وفي المقابل قام "الغزالي" بمحاولة إدخال علوم العقل إلى صلب العلوم النافعة المستمدة من القرآن .  
أي أننا حيال عمليتي تطويع : أولى قام بها الفلاسفة لتطويع العلم الديني ، وثانية قام بها علماء الكلام المتأخرين لتطويع العلوم الفلسفية لصالح العلم الديني ، أو جعلهما علما واحدا نافعا .<sup>(2)</sup>  
2) العمل : تظهر الصبغة العملية للآلية في التراث الإسلامي من وجوه ثلاثة :

أ) - تعلق الآليات بكيفيات عمل : كل ما كان آلة لغيره يكون متعلقا بكيفيات عمل ، وهذا الاقتران بين "الكيفيات" و"العمل" يدل على الآلية لها خاصية عملية ، وتقوم هذه الخاصية في كون الآلية ترتبط أساسا بـ "الإجراءات" ويبيّن أن كل "إجراء" تتحدد قيمته بالنتائج التي تترتب عليه والفوائد التي يأتي بها ، وكل ما يقاس بمعيّار الفائدة ؛ يكون ثابت الاتصاف بالخاصية العملية، فتكون الآلية - بوصفها متعلقة بوجوه الإجراءات - متغلغلة في العمل.<sup>(3)</sup>

وهذا ما يبدو في الحركة العلمية الإسلامية ؛ التي اتخذت من الكون منطلقا لها باعتباره المجلي المحسوس؛ الذي تبتدئ منه المعرفة عموما ، ثم تفرعت إلى فروع ، يتناول أحدها استحلاء الحقيقة

(1) طه عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 85 .

(2) محمد العربي ، المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عند العرب ، ط 1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1994 ، ص 174 .

(3) طه عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 85 .

الذاتية للكون ، وتلك هي علوم البصريات والكيمياء والهيئة والجغرافيا وما في حكمها ، ويتناول آخر استجلاء العبرة من آثار السابقين من الأمم والشعوب ؛ وتلك هي علوم التاريخ . ويتناول ثالث استجلاء الدلالة العقديّة من مشاهد الكون ، وتلك هي علوم العقيدة .<sup>(1)</sup>

(ب) - التمييز بين الخير والشر : فلا تقتصر وظيفة الآلية على القيام بالتمييز بين الصدق والكذب؛ كما هو الشأن في العلوم النظرية ، وإنما كذلك بالتمييز بين الخير والشر ، ومعلوم أن الخير والشر قيمتان متعلقتان بمجال السلوك والأخلاق .<sup>(2)</sup> وهو التوجيه الحضاري الراسخ في التراث العلمي الإسلامي ؛ كما رأينا سابقا في تفاصيل تصانيف العلماء المسلمين الذين ميزوا بين الحمود من العلوم والمذموم منها .<sup>(3)</sup>

(ج) - تعلق العلم بالعمل : يتميز العلم في التراث الإسلامي بكونه لا ينفك عن العمل ، ولا نكاد نجد عالما اشتهر في الناس الأخذ عنه ؛ إلا ووقف عند هذا الترابط ؛ معبرا عنه بمجموعة من الصيغ،<sup>(4)</sup> كما ورد ذلك البعد القيمي للعلوم في مجمل تصانيف العلماء المسلمين ، واعتُبر العلم من الصنائع التي تنال بالتعليم لتمكين الجماعة من التحقق بالعيش والرفاهية لتحقيق السعادة ، ولا تكتمل الصنائع ولا تتطور إلا بالعمران البشري ،<sup>(5)</sup> ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة الله ؛ غاية الغايات ورأس أنواع السعادات،<sup>(6)</sup> فكل معرفة عقلية نافعة لا بد أن تنتقل من مستوى مجرد التمييز النظري إلى مستوى التخلق السلوكي بها ، ولو كانت لغة أو منطقا أو حسابا ، لأنها بفضل هذا التخلق تنفذ إليها المعاني اللطيفة والقيم الروحية ، فتقيها مساوئ التنظير الجاف والتسييس الضار ، وتمدها بأسباب العمل المسدد والتأنيس المتبصر .<sup>(7)</sup>

وبهذا فالآلية في العلوم تتعلق بالعمل من جهة انبنائها على الإجراءات ، ومن جهة تقويمها للسلوك ، ومن جهة إقامتها للعلم على العمل .

(1) عبد المجيد النجار، فقه التخصر ، مرجع سابق ، ص 145 .

(2) طه عبد الرحمان ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 85 .

(3) أنظر تصنيف العلوم عند كل من : الغزالي ، ابن الأکفاني ، ابن خلدون ، طاش كبرى زادة ، حاجي خليفة .

(4) طه عبد الرحمان ، المرجع السابق ، ص 86 .

(5) ابن خلدون ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص 770 .

(6) حاجي خليفة ، المصدر السابق ، ص 51 - 52 .

(7) طه عبد الرحمان ، المرجع السابق ، ص 85 .

3) المنهج : المقصود بالمنهج جملة الطرق والأساليب التي يتوصل بها إلى نتائج معينة ، وهذا ما أدركت الممارسة التراثية الخاصة "المنهجية" للعلم إدراكا تاما ، وصاغت بصيغ مختلفة ،<sup>(1)</sup> ونحن في هذا نورد ما جاء به "طاش كبرى زادة" في تقنينه لعلم تصنيف العلوم ، إذ يقول : « علم تقاسيم العلوم هو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ، ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم »<sup>(2)</sup> فعلم تصنيف العلوم هو ( الطريق ) أو ( الوسيلة ) الباحثة عن ( التدرج ) في مقابل المنهج و ( المنهجية ) والتدرج من ( العموم إلى الخصوص ) يعث على مصطلح آخر وهو ( التكامل والاكتمال ) .

وما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ؛ هو أن منهج المفكرين المسلمين في مجال تصنيف العلوم اعتمد مبدأ التراكم المعرفي أو التداخل المنهجي المعرفي ؛ فقد كانت كل محاولة تقريبا في تقسيم العلوم متأسسة على سابقتها ، متفاعلة معها .

وقد أثمر هذا المنهج فكرة توحيد العلوم ؛ حيث أصبحت العلوم كلها في دائرة الثقافة الإسلامية على شاكلة من الوحدة والتآلف ، يقول "ابن حزم" : « العلوم كلها متعلق بعضها ببعض ... محتاج بعضها إلى بعض ولا غرض لها إلا معرفة ما أدى إلى الفوز في الآخرة »<sup>(3)</sup> ، وقد كان هذا المبدأ في توحيد العلوم مبنيا على وحدة الفكر العقدي الذي يطبع العقل في سعيه العام ، حيث يجري على مبدأ موحد في التفسير والتحليل ، فإذا هو يرجع كل الظواهر والأحداث ؛ في أسبابها ونتائجها إلى ذلك المبدأ ، إذ لما كان الاعتقاد بوحدانية الله وكونه مبدأ للموجودات ومعادا وتدبرا شاملا فيما بينها ؛ متمكنا في النفس بصفة مطلقة ؛ فإن ذلك يشكل العقل على خلق في النظر ترد فيه الكثرة إلى الوحدة ، وتؤلف فيه المعطيات على اختلافها عقلية وحسية وخيرية ؛ لتوحد في دلالتها على الحقيقة الواحدة.<sup>(4)</sup>

وأما العلوم المقتبسة من الثقافات الأخرى ؛ فقد باشرها الفكر الإسلامي بترعته التوحيدية ؛ فأعاد بناء مادتها بحيث تلتئم مع وحدة الغاية التي قامت عليها العلوم المنشأة ؛ فإذا هي تتخذ لها بعد اقتباسها وضعا جديدا في دائرة الثقافة الإسلامية مخالفا للوضع الذي كانت عليه في ثقافتها ،

(1) طه عبد الرحمان ، المرجع السابق ، ص 86 .

(2) طاش كبرى زادة ، المصدر السابق ، ص 300 .

(3) ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، تح : إحسان عباس ، ط مطبعة الخانجي ، القاهرة ، دت ، ص 90 .

(4) عبد المجيد النجار ، فقه التخصر ، مرجع سابق ، ص 65 .

وهو وضع انتظمت به مادة ومنهجها في السلك الموحد الذي ينظم المعارف الإسلامية عموماً ، متمثلاً في خدمة غرض الدين في إقامة الخلافة .<sup>(1)</sup>

وعلى هذا الأساس أقر العلماء والمفكرون المسلمون بمشروعية تفاعل العلوم بعضها مع بعض ، ومن ثم ساهم هذا التفاعل في إثراء مختلف العلوم والفنون بعضها لبعض ، وأدى هذا التفاعل والتداخل بين العلوم إلى توجه التعليم والتأليف نحو الموسوعية ؛ التي ظهرت بجلاء في الطور الأخير من اكتمال ونضج العلوم عند المسلمين<sup>الاسلامية</sup> ، كما رأينا عند كل من "ابن الأکفاني" ، و"ابن خلدون" ، "طاش كبرى زادة" ، "حاجي خليفة"..... وغيرهم .

وبهذا نستطيع أن نقول أنه قد توفر في البيئة الفكرية الإسلامية فلسفة خاصة بتصنيف العلوم ؛ اعتنت به وجعلته علماً قائماً بذاته ، وقد تراوح في هذه الفلسفة مجموعة من الوظائف ذات البعد الحضاري، أسهمت بشكل فعال في تشكيل منظومة عقلية حضارية ؛ ذات أسس دينية إسلامية تروم صناعة حضارة إنسانية رشيدة .

ونستطيع أن نحمل هذه الوظائف في أطراف ثلاثة وهي : الوظيفة العقلية ، والوظيفة التربوية، والوظيفة الدينية .

### 1- الوظيفة العقلية :

لقد تمثل بجلاء ذلك المنهج العقلي في أساسات تصنيف العلماء المسلمين ، في محاولة إرساء قواعد عقلانية راسخة بالنص الديني وبتمثلاته ، كما تعني بتفاصيل العلوم العقلية الفلسفية المختلفة . وقد ظهرت ذلك أساساً في العمل التصنيفي في حد ذاته ؛ حيث إن التصنيف كما التعميم من أهم آليات العمل العقلي ( الذهني ) ، فمجموع الأفكار والمفاهيم التي هي متعددة ومتنوعة بشكل كبير يسعى العقل إلى ضم التشابه منها في زمر وأصناف ، بحسب صفات وخصائص معينة تحملها كافة أفراد الوحدات ، والعقل دوماً يسعى لاختزال الكثرة والتعدد بالتصنيف والتعميم ( الذي هو نوع من التصنيف ) .

ولقد اعتبر العلماء المسلمون العقل قوة ، أو ملكة أكثر من اعتبارها ذاتاً أو جوهرًا ،<sup>(2)</sup> في معالجتهم لمختلف العلوم ، وتأرجح مفهومه لديهم بين : معنى الفعل المحصل للعلم ، وبين : معنى الغريزة التي يُنال بها العلم ، وتارة يجمعون بين هذين المعنيين المتعارضين على اعتبار أنهما المعنيان اللذان يتقاسمان

(1) عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص 67 .

(2) طه عبد الرحمان ، العمل الديني وتجديد العقل ، ط3 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2000 ، ص 19 .

مدلول العقل<sup>(1)</sup> ، ولكن ليس مطلق العقل ، ولكن العقل المهتدى القادر على السير وفق قواعد الاستخلاف ، واستلهام المقاصد<sup>(2)</sup> إن العقل الذي نعنيه في مجال حديثنا هو تلك القوة الإدراكية المعيارية في الإنسان ؛ التي على أساسها حمل أمانة الخلافة ، والتي على أساسها خوطب بالوحي ليتحملة فهما وتطبيقا .<sup>(3)</sup>

ولا يخفى مقام العقل في الإسلام وعند العلماء المسلمين ، يقول "الرازي" ( ٥٦٥هـ ) : « إن الباري عز اسمه إنما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه ، وإنه أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا ... وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا ، ويحسن ويطيب به عيشنا ، ونصل به إلى بغيتنا ومرادنا ... وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة منا المستورة عنا ، فحقيق علينا أن لا نحطه عن رتبته ولا نترله عن درجته ... »<sup>(4)</sup> فالعقل أساس الدين ومنبع العلم ومطلعه في إطار العلاقة المضبوطة بينه وبين الوحي والفهم الصحيح الكامل للتراث ( بالمعنى الديني ) كما في العصر الذهبي للعقل العربي الإسلامي ، فضلا عن الإدراك العقلي الواعي والسليم لبنية الواقع الفكري والديني المعاش في المجتمعات العربية والإسلامية ، فهو السبيل الوحيد لبداية النهوض ، وللحاق بركب العلم والحضارة والقوة ، والتخلص من عقدة الخضاء الذهني<sup>(5)</sup> ، فالعقل والعلم توأمان ما تصالحا والتقيا ، أثمر ذلك إنتاجا فكريا ؛ زاده عامل التوحيد فعالية وإشراقا، لأن الدين لون من ألوان التفكير العقلي المتناسك في كل صنوف المعرفة .<sup>(6)</sup> وعلى هذا الأساس ثبت في مسيرة الحركة العلمية الإسلامية ؛ أن العقل ليس جوهرًا على مقتضى المعنى اليوناني ، وإنما هو فعل من الأفعال أو وصف من الأوصاف التي تقوم بالقلب على مقتضى المعنى الإسلامي الأصيل<sup>(7)</sup> ، ولم تظهر حدود العقل المجرد في الممارسة العقلانية الإسلامية بقدر ما تظهر في الشعبة الإلهية من شعب المعرفة التي اشتغلت بها هذه الممارسة .<sup>(8)</sup>

(1) طه عبد الرحمان ، العمل الديني وتجديد العقل ، المرجع السابق ، ص 19 .

(2) علي جمعة وآخرون ، بناء المفاهيم ، مرجع سابق ، ص 355 .

(3) محمد المجيد النجار ، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل ، ( بحث في جدلية النص والعقل والواقع ) ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993 ، ص 72 .

(4) نقلا عن : قدرتي حافظ طوقان ، مقام العقل عند العرب ، ط : دار القدس للطباعة والنشر ، دت ، ص ص 10 - 11 .

(5) مهدي فضل الله ، العقل والشريعة ( مباحث في الإيستيمولوجيا العربية الإسلامية ) ، مرجع سابق ، ص 10 .

(6) المرجع نفسه ، ص 10 .

(7) طه عبد الرحمان ، المرجع السابق ، ص 20 .

(8) المرجع نفسه ، ص 21 .



وإذا كنا قد قدمنا للمدرسة العقلية في تصنيف العلوم ؛ والمستندة في آرائها على كثير من الفكر اليوناني الموغل في التحريد ؛ فإن الخصوصية الإسلامية ظلت ماثلة للعيان في أعمالهم التصنيفية ؛ إذا اعتبرنا أن أعمالهم كانت تمثل البواكير الأولى لتصنيف العلوم في البيئة الفكرية الإسلامية ، فلا ريب أن تكون أغلب العلوم مقتبسة إذا كانت العلوم في بيئتهم لم تنضج بعد في ذلك الزمن ، ومع ذلك فقد رأينا "الفارابي" كيف أدرك ذلك التواصل بين العلوم ، وأدرج علم الكلام ضمن العلوم العملية ، فهو يدرك الغاية العملية لعلم الكلام ، وظهر ذلك حينما ضبط مفهوم هذا العلم فجعله يتجاوز نصرة الآراء العقائدية المجردة ليمتد إلى نصرة الآراء والأفعال .<sup>(1)</sup>

وحتى "إخوان الصفا" في قمة تأثرهم بالفيتاغورية ؛ كانوا يرومون من وراء اهتمامهم بالفلسفة تطهير الشريعة مما علق بها من شوائب وضلالات ، فهي وضعت لطب النفوس وطلب الآخرة . وبذلك فقد حصل ما يشبه الموازنة أو التقريب ، أو ما اصطلح عليه بـ : الموازنة بين ( العقل والوجدان ) و ( الفلسفة والعلم ) و ( المطلق والنسي ) و ( السماوي والأرضي ) و ( الأخرى والديوي )<sup>(2)</sup> .

## 2- الوظيفة الدينية :

لقد تجاوز العلماء المسلمون في فترة من الفترات بعض العلوم العقلية ، وأعابوا عليها لما أثرت به على المنظومة العقديّة للمسلمين ؛ فانتشرت بسببها الضلالات ، وكثر المتكلمون الذين أدخل بعضهم مناهج غريبة عن البيئة الإسلامية ، ضمن مساقات الفكر الإسلامي الصحيح . فكانت الدعوة إلى نظرة منهجية منضبطة في كل الجوانب الحكمية ؛ سواء منها الشرعية أو العقلية لتجنب ما يقع فيه الناس عند خوضهم في قضايا أو مسائل لها صبغة شرعية غير منضبطة بنص قطعي الدلالة .

وقد كان الدين الإسلامي هو العامل الأول في إخضاع الفكر الإسلامي للمنهج العلمي الدقيق في البحث ، وتمثل هذا الدافع الديني في نصوص كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى : ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا))<sup>(3)</sup>

(1) أبو نصر الفارابي ، إحصاء العلوم ، مصدر سابق ، ص 71 .

(2) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، مرجع سابق ص ص 320 - 321 .

(3) الإسراء ، الآية : 36 .

وقوله عز وجل عن الذين زاغت بهم عقولهم عن الحقيقة : (( وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ انْظُرْ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ))<sup>(1)</sup> ، وهذا لا ينفي دور العقل ، وإنما يركز على طريقة ما يثبت العقل الصافي ( الفطري ) من الدلائل اليقينية ؛ التي من شأنها أن تكشف عن حقيقة المطلوب؛ فإيمان المؤمن يقوم على دعائم اليقين العلمي المجرد ، لا على التقليد والإتباع . وقد وجد الفكر الإسلامي نفسه أمام مهمة دينية ؛ هي ضرورة البحث عن الحقيقة وتأكيد غائية هذا الدين .

فكانت هذه الغاية هي الأساس الفلسفي الذي أقيم عليه العمل التصنيفي عند كثير من المفكرين المسلمين ؛ سواء في بنيتهم العامة أو في انتظام العلوم المختلفة في تلك البنية . فقد رأينا " أبا حامد الغزالي "<sup>(2)</sup> يجعل قسما للعلوم الشرعية ، وقسما للعلوم العقلية ، أو قسما للعلوم المحمودة ، وقسما للعلوم المذمومة ، واتبعه في ذلك "ابن خلدون" و "طاش كبرى زادة" ؛ حيث ظهر ذلك خاصة في تصدير العلوم الشرعية بالقرآن والحديث وعلومها ، ثم اتباع ذلك بعلوم الفقه ، والعقيدة ، وعلوم اللغة .

وكذلك التركيز على مبدأ (( وحدة العلوم )) ، فلا يعدو ذلك إلا أن يكون استجابة لدعوة التوحيد الإسلامي ، الذي يعزو الموجودات إلى الواحد الأحد ( - كما مر بنا - ) . كما أن معظم التصنيفات لعلماء المسلمين ؛ ترتبط بمبدأ السعادة الأبدية ، وهي نظرة وبعد صوفيين يهدفان إلى التوجه بالمعالجة العلمية إلى ما يقتضيه تقدم الحياة الإنسانية ؛ في ظل الهداية الإلهية والسلوكات الربانية .

فالمعرفة الحقيقية لا تتم على وجهها الصحيح ، ومن ثم فهي لا تنتج أهم ثمارها الموجودة ؛ إلا إذا نهضت على شرط أساسي هام<sup>(3)</sup> ؛ فالجسم قواه لا تعرف العلوم إلا من الحواس ، أما النفس فإنها إذ كانت تأخذ كثيرا من مبادئ العلوم عن الحواس ؛ فلها من نفسها مبادئ أخرى وأفعال لا تأخذها عن الحواس البتة ، وهي المبادئ الشريفة العالية<sup>(4)</sup> . وهو التصور الاعتقادي الموحى به من الله سبحانه ، المتميز من الاعتقادات الوثنية ؛ التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية ، ذلك

(1) يونس : الآية 36 .

(2) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ص ص 20 - 21 .

(3) محمد سعيد رمضان البوطي ، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، ط 3 ، دار الفكر ، دمشق ، 2000 م ، ص 120 .

(4) ندم الجسر ، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، دط ، دت ، ص 63 .

التصور الاعتقادي هو التصور الإسلامي الوحيد الباقي بأصله الرباني وحقيقته "الربانية"<sup>(1)</sup> ، فهو تصور ينبثق في الضمير ، ويتفاعل مع المشاعر ، ويتلبس بالحياة ، فهو وشيخة حية بين الإنسان والوجود ، أو بين الإنسان وخالق الوجود.<sup>(2)</sup>

وعلى ذلك قدم العلماء المسلمون إنجازاتهم في العلوم ؛ كرافد من روافد الغايات الكلية التي تنشده خلافة الله في الأرض وعمارتها ، بالأمثال للقانون الإلهي والتوجيه القرآني . الذي كان تعبيره عن علاقة ما بين الإنسان والمكونات من حوله في صورة : التسخير والتذليل والتمكين ؛ ما عبر عنه العلماء بمعاني الإخضاع و الإحدام.<sup>(3)</sup>

والعلم وسيلة من وسائل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، فثمرته التوجيه السلوكي والتقويم الخلقي في ضوء الكتاب والسنة . يقول أبو الحسن علي الحسيني الندوي : « لا يخفى على أصحاب البصيرة ؛ أن الذوق والمعرفة والإيمان الحقيقي واليقين والإخلاص والاستقامة ، وتزكية الباطن وتهديب الأخلاق ، والإتباع الكامل للسنة ، والتفاني في الشريعة ، غايات حقيقية مقصودة تتخذ لأجلها وسائل مختلفة وطرق متعددة ، ولا يقصر المحققون اكتسابها على طريقة واحدة...»<sup>(4)</sup> . وقد كان العلم والاعتناء بتفاصيله وتصنيفه طريقا قويا ومؤثرا للحصول على هذه الغايات ؛ التي لن تنال إلا بالكسب والاجتهاد ، والتوجه الصحيح بها إلى مرضاة الله جللا وعلا .

### 3- الوظيفة التربوية :

إذا كان العالم الإسلامي يعيش منذ أمد بعيد في حالة تخلف حضاري ؛ فإن ما يتربع على قمة هذا التخلف هو الترددي العلمي والتقني ، والجمود والبطء في حركة الاجتهاد إزاء قضايا الدين ومستحدثات الحياة ، إضافة إلى التبعية الفكرية والتقنية . ولا مناص من هذا الترددي سوى حركة لإحياء المعرفة والعلم ؛ باستتفار مشروع نهضة علمية أو ثورة معرفية تبدأ بالقضاء على الأمية (بمختلف أشكالها) ، والارتقاء بمستوى التعليم ، وتوظيف المعرفة ، وتسخير التقنيات الصناعية والزراعية والتربوية .

(1) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، مرجع سابق ، ص 71 .

(2) المرجع نفسه ، ص 72 .

(3) محمد سعيد رمضان البوطي ، المرجع السابق ، ص 85 .

(4) نقلا عن : سيد نور بن سيد علي ، التصوف الشرعي (الذي يجهله كثير من مدعيه ومنتقديه) ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421 هـ ، 2000 م ، ص 15 .

ولن يتحقق ذلك إلا بإرساء قواعد البحث العلمي ، وتنشيط حركته في المجالات الطبيعية والإنسانية على قدر سواء ، وإذا كان للعلم ضوابطه وقواعده المنهجية ؛ فإن هذه الضوابط - في نفس الوقت - تحيط بها الضوابط الأخلاقية من كل جانب .

ولا بد أن نشير إلى أن أي منهجية لبناء الصرح العلمي للأمة الإسلامية ؛ لا بد أن تنتمي بالضرورة للسياق الحضاري الإسلامي ؛ الذي أثمر في عهود النهضة الأولى تراثا علميا رصينا استرشد به العلم في وضعه الحديث .

وقد كانت تلك المنهجية العلمية الإسلامية - التي أرسى قواعدها المفكرون والعلماء المسلمون - ذات معايير أخلاقية منبثقة من أصول الإسلام ومبادئه ؛ سواء في حيثيات العلوم ، أو في الربط بينها في سياق تصنيفها وترتيبها ( - كما مر بنا - ) .

واستفادت تلك المنهجية - أيضا - من خبرات علماء المسلمين في نشأتها وتطورها وتجاربها في خضم المعارف الطبيعية ، والعلوم الدينية .

وإذا كانت المدنية الغربية الحديثة قد استفادت واستنارت بمعالم المنهجية الإسلامية ؛ فالأولى والأحق أن نتوجه بها ونستنير بها في ترشيد المعرفة وبناء الأسس الحضارية في سبيل التقدم .

وقد لا حظنا في فلسفة تصنيف العلوم عند علماء الحضارة الإسلامية ؛ معالم المنهجية العلمية في

البحث ، ومواءمتها للأوضاع المادية والحالة العقائدية الإيمانية في مجتمعهما ؛ فقد ربطت تلك

المنهجية في تفاصيلها بين الإيمان بالله وبين المعرفة والعلم ، وأحاطت هذه المنهجية بمنهج الاستدلال

العلمي من ناحية ، ومنهج الاستدلال على إثبات وجود الله تعالى وبيان حكمته ؛ من ناحية أخرى .

وقد تدرجت تلك المنهجية التربوية في توجيهها الحضاري ؛ حيث نجد أن المدرسة العقلية كانت إلى

عهد قريب بالفترة اليونانية ، حيث استعارت مختلف علومها ، وأوصلتها بالحراك العلمي الإسلامي

في طور نشأته ، وأدى الخلل الاعتقادي في القرن الرابع الهجري إلى بروز ذلك التيار الديني ممثلا في

المدرسة الدينية ؛ التي حاولت ضبط مفهوم العلم بقيمته الدينية الأخلاقية وتوجيهه الوجهة الإسلامية الصحيحة .

وقد تمثل التوجه التربوي بأبرز معالمه - في الفترة الأخيرة - من الاكتمال والنضج لمختلف العلوم،

فبرز في هذه الفترة الكثير من المفكرين الذين دعوا إلى التربية والتعليم ، ووضعوا أسسا وقواعد

وشروطا لعملية التعليم والتعلم ، وثمرتها الحضارية ، مادام أن العمل التربوي هو سعي متواصل في

صميم النشاط الحضاري للأمة .

طابع التأليف، فصنفت الموسوعات التي تناول العلمين فأكثر، أو تناول الموضوع الواحد من جميع جوانبه القريبة والبعيدة، وتكاثر التأليف الموسوعي بتكاثر الإنتاج في العلوم؛ سدا للاحتياج المتزايد إلى المصادر التي تجمع بين دفتيها مجمل هذه المعارف المتنوعة<sup>(4)</sup>، فتوجه اهتمام العلماء وفلاسفة المسلمين إلى معارف الوجود بحثا واستقصاء لجميع مناحي هذا الوجود، وأقاموا على جميع أجزائه التي بحثتها مختلف العلوم بالدراسة والتمحيص وهكذا فإن من مقتضيات الشمولية الموضوعية أيضا؛ أن يتجه الفكر الإسلامي بالبحث والتقصي لكل مظاهر الكسب المعرفي الإنساني العام، فتكون علوم الأوائل والأواخر، ومذاهبهم، وأديانهم وكسبهم الثقافية جميعا مبسطة لنظر العقل، دون حجر أو استبعاد لشيء منها، والتعرف إليه يسفر عن الانتفاع بما هو حق مفيد، ومنه ما هو باطل ضار. والنظر فيه والتعرف إليه يسفر عن الانتفاع بما هو حق، وعن التحوط مما هو ضار أن يكون له تسرب إلى المسلمين بشكل أو بآخر.<sup>(1)</sup>

فقد كان إذن من مقتضيات المنهجية العلمية الإسلامية؛ عدم النظر إلى المعرفة كشذرات وأجزاء متفرقة متقطعة؛ كل منفصل عن الآخر ولا يجمعها نظام متسق، بل على العكس من ذلك اتجهت المنهجية الإسلامية في تصنيف العلوم إلى الجمع والربط بين أجزاء الوجود الكوني رغم تباينها في كل متوحد وواحد.

### 1-5- منهج وحدة المعرفة وتوحيد المعارف

كان من إفرازات المنهج الشمولي؛ منهج وحدة المعرفة التي تربط بين أجزاء الكون، وبين شرائح الوجود الاجتماعي والإنساني - رغم الاختلاف - في سياق واحد، وذلك في تناغم مع حكمة الخالق من الوجود والخلق.

فوحدة المعرفة تلتخص: في أن الوجود الكوني وحدة مترابطة المرافق والأجزاء؛ فلا تستقيم أي معرفة جزء منه إلا ضمن قاعدة واسعة من البصيرة العلمية بالدائرة الكونية كلها.<sup>(2)</sup> وكانت هذه

(4) المرجع نفسه، ص 91.

(1) عبد المجيد النجار، عوامل الإسهاد الحضاري، مرجع سابق، ص 153.

(2) محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 122.

الوحدة نتيجة طبيعية لتوحيد المبدأ الإلهي ؛ الذي هو أساس جميع " الألباز الكبرى " القديمة الموجودة كفكرة مركزية في جميع الحضارات التقليدية.<sup>(3)</sup>

فالتوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية وركنها الأصيل ، وهو الأصل الذي يبنى عليه الإيمان بوحداية الله تعالى ذاتا وصفاتا ، ومبدأ في الخلق ومدبر للكون ، ومنتهى لكل الكائنات في المصير . فعقيدة التوحيد توجه معتنقيها في ممارسة حياتهم فكرا ووجدانا وسلوكا ؛ توجيهها تطبعه الوحدة ؛ بحيث يصير كل نشاط ذهني أو عملي دائر في بنيتها وغايتها على قانون من الوحدة ؛ التي تتألف بما المختلفات ، وتتوحد بما المقاييس ، وتلتقي بما المشارب على هدف مشترك .<sup>(4)</sup>

والفكر التوحيدي يفسر الكون في كثرة موجوداته وتعدد حوادثه على نمط وحدة الأسباب ووحدة القوانين ، وما يقع في هذا الكون الفسيح إنما هو راجع إلى نواميس مشتركة ضمن إطار واحد تشترك فيه كل الأجزاء في وحدة الأصل ، ووحدة الغاية والمصير . ولهذا فالوحدة الغائية هي صبغة لمنهجية الفكر العلمي الإسلامي في بحثها المادي عن قانون الوجود وحيثياته ، والبحث عن الحقائق ؛ بشروطه المتعلقة بالطرق والأساليب الموصلة - من الناحية المنهجية - إلى الحق .

ولهذا نزع كثير من مصنفي العلم في تمثيل ذلك التوحيد ؛ الذي كان يقوم به الفكر الإسلامي فقد كانت تلك العلوم تدور حول غاية موحدة ، والفكر الذي أنشأها مشدود إلى تلك الغاية.<sup>(1)</sup> فما نراه من العلوم والمعارف المستقلة بعضها عن بعض ؛ ليست في حقيقتها إلا أجزاء ، أو أعضاء مترابطة من بناء هذا الهيكل الكوني كله ، فهي في الحقيقة ليست - كما يتوهم - مستقلة عن بعضها<sup>(2)</sup> ، بل إن بينها من التمازج والتداخل والتفاعل ؛ ما يجعلك لا تحيط علما بأي منها إلا على ضوء ما قد يبصرك به المجموع الكلي لذلك الهيكل الكوني الشامل.<sup>(3)</sup>

وعلى هذا ( عقيدة التوحيد والفكر التوحيد ) انطلق المسلمون في صناعة حضارتهم ؛ التي بنوها بمعارفهم الكونية والإنسانية وفق هذا المنهج ، فصاغوا الحياة الإنسانية وقدروا تصاريفها وباشروا المادة الكونية يفسرونها بمقتضى القانون العلمي ، فنشأت الحركة العلمية وتطورت في سياق

(3) سيد حسين نصر ، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 14 .

(4) عبد المجيد النجار ، فقه التحضر ، مرجع سابق ، ص 65 .

(1) أنظر المباحث السابقة : تصنيف ابن خلدون ، طاش كبرى زادة ... وغيرهما .

(2) محمد سعيد رمضان البوطي ، المرجع السابق ، ص 122

(4) عبد المجيد النجار ، عوامل الشهود الحضاري ، مرجع سابق ، ص 174 .

نغرض و التوجه الديني الإسلامي ، فكان التوحيد في المنهج ، وكان التوحيد في العمل (الثادي والروحي ) الذي أثمر حضارة إسلامية رشيدة .

والتأمل في الفكر الإسلامي اليوم ؛ يجد أن التوحيد السبي قد ضعف فيه إلى حد كبير ، فغدا في الغالب ففكرا يكلّ عن النفاذ إلى العلة المشتركة عند بحثه في الظواهر ؛ فلا يدرك أسبابها الحقيقية ، ويفسرها تفسيرات غير صحيحة ... إن خاصية التوحيد في الفكر بمعناها المنهجي تظل عنصرا أساسيا من عناصر السداد فيه ، تتوقف عليها إلى حد كبير كفاءة التقديرات الإصلاحية في تحريك الحياة الإسلامية نحو النماء ، ذلك لأن هذه الكفاءة لا تتوفر إلا بخطط تبني على الإدراك للأسباب وتوجيه الغايات .<sup>(4)</sup>

لقد كانت تلك الخطط المتوجهة إلى محاصرة الشتات الذهني للعقلية الإسلامية الحاضرة متمسكة - في مقابل الشمولية - بالانتقائية وتجزئ المادة المعرفية ؛ تجزئنا لهائيا في صورة ذلك التكريس العلماني القائم على مبدأ الفصل بين الشريعة والحياة .

ولذلك تطبع الفكر الإسلامي الأصيل بخاصية النقد ؛ التي تتيح التعامل النقدي مع المادة المعرفية عموما ؛ سواء كانت متمثلة في ظواهر كونية ، أو في ظواهر إنسانية ، أو في كسوب بشرية من التجارب الحياتية ، ومن المذاهب والرؤى والأفكار .<sup>(1)</sup>

ولعل أهم ما يجب اليوم تفحصه بالنقد والتمحيص هو التراث الإسلامي ؛ المتمثل في كتب المسلمين من التجربة الفكرية والعملية المدونة في علومهم ، وفي عاداتهم وأعرافهم ، وذلك بالتوجه إلى هذه التجربة توجيهها حرا ... ثم بعرضها عرضا شاملا لا يستثنى فيه منها شيء ، وجمعها بما فيها من التقابل والتعارض على بساط البحث والنظر ، ثم بفحصها وتمحيصها ومحاكمتها إلى موازين الشرع والعقل ؛ بصفة موضوعية كاملة .<sup>(2)</sup>

فكل مشروع حديث لا يستطيع أن يستوعب موضوع الهوية ، والتراث ؛ يقضي على نفسه بالبقاء في الأدراج .<sup>(3)</sup>

(1) عبد المجيد النجار المرجع السابق ، ص 182

(2) المرجع نفسه ، ص ص 182-183

(3) برهان غليون ، إغتيال العقل ( محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ) ، ط 3 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،

المغرب 2004م ، ص 301 .

وهذا ما أطلق عليه المفكر "عبد الوهاب المسيري" "التحيز الجزئي و التحيز الكلي"، فالكلي يشير إلى التحيز لمنظومة معرفية ما بكل تمثالاتها، في حين الجزئي هو تحيز لعنصر واحد أو عناصر معينة يراها الباحث ملائمة، ويمكنه استعابها في رؤيته للكون.<sup>(1)</sup>

هذا الأخير يقول عنه "المسيري" أنه "تحيز الشخص الواثق من نفسه الذي يدور في إطار رؤيته، وله تحيزاته المحدودة، ثم ينظر منه ما يريد، فهو مجتهد يتحرك في إطار النسق المفتوح".<sup>(2)</sup>

أي أن التحيز الجزئي يستند إلى الخلفية العقائدية والفكرية والحضارية، يستعين ببعض إسهامات الآخر وإبداعاته، لكنه لا يستعير مقولاته التحليلية الأساسية ذاتها، ورؤيته للكون على العكس الكلي الذي يغيب فيه الاجتهاد، ويعتذر عن تبني كل ما يقوله الآخر.

وهكذا؛ فقد اتضح من خلال تفاصيل المنهجية العلمية الإسلامية؛ انعدام التضاد بين القيم والعلم والمعرفية، كما اتضحت مطابقة المعايير الأخلاقية لمنهجية البحث وطرائق التفكير.

وما تجدر الإشارة إليه أن المعايير الأخلاقية التي حث الإسلام على الالتزام بها في صروف الحياة اليومية؛ هي ذاتها التي اهتمت بها علماء المسلمين في تصانيفهم للعلوم؛ من خلال تأكيدهم على أبعاد العلوم ونتائجها الدينية التربوية الحضارية، وكذا التركيز على الجانب العملي الواقعي للعلوم مثل تلك العلاقة بين علم الفقه وعلم أصول الفقه.

وهكذا تشكلت في المنظومة الحضارية الإسلامية؛ منهجية إسلامية في العلوم؛ ظهرت تمثالاتها في فلسفة تصنيف العلوم؛ التي عنت بالتراث المعرفي الإسلامي وغيره، تلك الفلسفة التي أبدعت في تأسيس أركان التقدم العلمي بجملة من المعايير ذات الأبعاد الغائية.

وكما رأينا؛ فقد تميزت فلسفة تصنيف العلوم بإنتاج معرفي تميز بالعقلانية، والواقعية، والشمولية، والتوحيدية، والنقد التوجيهي، والموضوعية، إضافة إلى المعيار الأخلاقي؛ الذي يشمل الجميع.

ولعل أبرز نتيجة معرفية لفلسفة تصنيف العلوم هي تأسيس منهج علمي إسلامي ذو خصائص فكرية ثقافية، نجملها في المبحث اللاحق.

(1) عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، دار الهلال، القاهرة، 2001، ص 62.

(2) عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز: (رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد)، المقدمة، فقه التحيز، ط3، المعهد العالمي

للفكر الإسلامي، فرجينيا، و.م.أ، 1998، ص ص 33-38.



## 4-2- الخصائص الفكرية الثقافية للمنهج العلمي الإسلامي

تأسست وظيفة العلم على قيمة نتائجه المعرفية ؛ من معرفة الظواهر والوصول إلى الحقائق العلمية المؤكدة ، من خلال العمل العلمي لمعرفة المحيط الكوني كمحاولة للتعامل الصحيح مع أجزائه . ولما كان العلم ليس مطلقا مرتبطا بالزمان والمكان ؛ فقد ارتبط الجهد العلمي بالسياق الحضاري والفكري المحيط به ، وبهذا تأسست المعرفة العلمية من خلال الإطار العام للمسلمات الفكرية والنظرية السائدة .

ومن خلال تلك المسلمات يدور العلم ؛ محاولا تأكيدها والتركيز عليها ، فهي نفسها العوامل المؤثرة على النظرية العلمية ونتائجها ، فتلك العوامل هي التي تسيّر مجرى التفكير العلمي في كل لحظة تاريخية ، وفي كل مكان وتجمع بشري ، والبداية هي الإطار العام الحاكم للعلم ، وهو الانتماء الحضاري بما فيه من قيم حضارية أساسية .

فالعلم يجري لخدمة القيم الحاكمة لحضارة كل تجمع بشري ، ولهذا يكون للعلم معبرا عن تلك القيم العليا ، حتى يكون وسيلة لتحقيق هذه القيم في الحياة .

وفي الواقع يغيب عنا كثير أن نعرف أنفسنا ، ونفهم حضارتنا ، ونعرف قيمنا الأساسية ، بل يغيب عنا كثيرا أن نعرف أمتنا معرفة علمية دقيقة ؛ تساعدنا على رسم طريق النهوض والمقاومة لهذه الأمة ؛ التي تنقشع أزمامها ، وتواجه تحدي التراجع الحضاري الداخلي ، وتحدي العدوان والهيمنة الخارجية .

فالعلم في تصور الجميع هو أحد مجالات النهضة ، فالنهضة هي نهوض في كل المجالات ، ولن تتحقق النهضة بدون التقدم العلمي ، ولن يتحقق التقدم العلمي بدون رؤية علمية وأفكار وفروض ومسلمات علمية ؛ تنبع من خلال القيم والمسلمات الحضارية التي تميزت بها الحضارة الإسلامية .

تلك الرؤية العلمية التي تجلت في البنية العامة للمنهج العلمي الإسلامي ، وخصائصه الفكرية الثقافية المتميزة ؛ التي اكتسبت إسهاماتها أهمية في ساحة الفكر الإسلامي ، والمعرفة الإسلامية بصورة عامة ، فبلورت بذلك مسارا للتواصل والتفاعل مع منتجات العلوم ، وحركة العلم بصفة عامة .

ولنا أن تتساءل عن العوامل التي أدت إلى بلورة المنهج العلمي الإسلامي ، والتي من أهمها :

1- تشجيع القرآن والسنة لاكتساب العلم :

فهو الدافع الأول الذي حمل المسلمين عن تعلم العلوم المختلفة ، من شتى المصادر اليونانية والمصرية والهندية وغيرها ، وهو وصية الإسلام بذلك في جميع الأحوال .<sup>(1)</sup>

2- تحريض القرآن الكريم على دراسة الطبيعة :

ف نجد القرآن الكريم يكرر حثه على التدبر والتفكر في أحوال الكائنات ، ويحذر من سطحية النظر في آيات الله في الطبيعة .<sup>(2)</sup>

3- التحريض على اكتساب العلم أينما وجد :

وذلك هو توجيه القرآن والسنة في أخذ العلم والحكمة حيثما وجدت ، وهذا ما أدى بالمسلمين إلى ترجمة كتب الحضارات المختلفة ، والعكوف عليها بالتحليل والدراسة ، وهكذا أخذ المسلمون بالعلوم ، وتتبعوا الفنون والعلوم في مظاهرها واستوعبوا من دون تحيز أو تعصب ، لذلك استطاعوا أن يستوعبوا في فترة قصيرة من الزمن أغلب علوم زمانهم ، وصنفوها في مجموعات تنسجم مع روح الإسلام .

وكان من أهم مميزات الثقافة والحضارة الإسلامية هو انفتاحها على تقبل علوم الآخرين ، وجعلها منسجمة مع نظرة الإسلام التوحيدية .

4- مكانة العلم والعلماء :

التي أكد عليها القرآن الكريم ، فقد كان شأن العلم والعلماء في الحضارة الإسلامية رفيعا عند العامة والملوك على حد سواء ، كما كان للمدارس والمكتبات مكانتها الخاصة بها .

5- اجتهاد العلماء في اكتساب المعرفة :

وهو ما تمثل في ذلك الزخم الهائل من الأعمال العلمية المختلفة ، والتصانيف التي اشتهر بها العلماء المسلمون وهو استجابة لنداءات النص الديني ؛ الذي يشرف مقام العلم والعلماء على حد سواء .

(1)، (2) أنظر : مبحث العلم وفلسفته في الفكر الإسلامي .

ويمكن أن نجمل تلك العوامل التي أدت إلى بلورة المنهج العلمي الإسلامي ، في ثلاث عناوين بارزة وهي :

أ- الارتكاز على الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي حوى على حقائق غيبية لا دخل للعقل فيها ، وفيه حقائق مشهودة أمر الله سبحانه بالتفكير فيها ؛ لتدله على خالقها ومنشئها.

ب- دراسة السنن الكونية لعمارة الأرض وإصلاحها ؛ باستخدام مناهج البحث الخاصة بكل مجال من مجالات هذه السنن .

ج- الإبداع و التجديد بتمحيص ما لدى الآخرين بأخذ ما يوافق الوحي ولا يتعارض معه ، ومن ثم الإبداع فيها بتجاوز المكتسبات السابقة ؛ بالارتكاز على مرجعية الوحي والاستعانة به . وعلى هذا يبني التعريف العام للمنهج الذي عُرّف بأنه : " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة ؛ التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة " (1).

وهكذا فنظرية المعرفة الإسلامية لن تحقق أهدافها إلا إذا صيغت في إطار المنهج المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية ؛ فالثقافة الإسلامية تدعونا إلى تأمل الواقع الكوني والإنساني بالعقل ومصاحبة هذا الواقع للوقوف على أبعاده الحقيقية التي تهدينا إلى سر الكون وروحه (2) ؛ من خلال تفعيل قواعد العقيدة معرفيا ، وتحويلها إلى طاعة معرفية مبدعة ، تقدم إجابة شافية عما يطلق عليه " الأسئلة الكلية أو النهائية " وذلك من خلال الفهم المعرفي لقواعد الإيمان والتركيز على الأبعاد المنهجية لها (3).

فالوحي بوصفه منطلقا للمعرفة يحتم التكامل والتطابق مع جوهر الكون والطبيعة والإنسان، ويقوم بتوجيه المعارف ، وأي تعارض أو تناقض لا بد أن يكون عجزا في الأداة (المنهج) سواء كان ذلك في أدوات فهم معارف الوحي والاستنباط منها ، أو في أدوات تحصيل معارف الكون والطبيعة والإنسان .

(1) سعد الدين سيد صالح ، البحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية) ، ط 2 ، مكتبة الصحابة ، جدة 1414هـ ،

1993م ، ص 10 .

(2) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، مرجع سابق ، ص ص 18-19 .

(3) طه جابر العلواني ، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم ، مرجع سابق ، ص 19 .

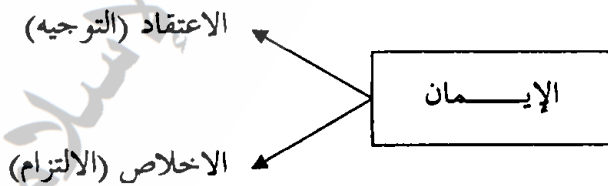
فمعارف الوحي تتكامل مع معارف الكون والطبيعة والإنسان ، خاصة فيما يتعلق بالغيب ، والغايات الكلية للوجود الإنساني والمادي للكون، وفي الغايات الخلقية الكلية للسلوك الإنساني<sup>(1)</sup>. ومعارف الوحي تتطابق مع معارف الكون والطبيعة والإنسان في كشف كنه هذه المعارف ، وتيسرها لغاياتها الكلية في قصد الخير و نشر العمران ، و حتمية التكامل والتوافق وجهد التطابق يحتم توجيه معارف الكون باتجاه كليات الوحي الخيرة ... وأية منهجية أو أسلوب للفهم والكشف والتطبيق العلمي لا تتوفر فيه هذه الشروط لا يقبلها الحس المسلم ولا يسلم بها<sup>(2)</sup>. فانبناء التصور الإسلامي للوحي في التراث الإسلامي ؛ قد شكل بدوره مفاهيم كلية وأساسية قامت عليها العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية ؛ مستندة إلى المفاهيم الكلية الإسلامية التي أستندت بدورها إلى الوحي كمصدر أساسي .

ومعرفة مصادر المنهج والفكر الإسلامي والتوقف عند معرفة الأطر والمنطلقات ؛ إنما يمثل الجانب النظري من الدراسة المنهجية ، ولا بد لنا من معرفة المفاهيم التي يعمل هذا العقل وهذه المنهجية على أساسها ، ويتحرك بها ، وتمثل جانبه العلمي والتطبيقي<sup>(3)</sup>.

فإذا اعتبرنا الإسلام كدين عملي يشمل الحياة الإنسانية في كل مظاهرها الذهنية والعلمية ؛ تتضح لنا المكونات العقيدية في طابعها التطبيقي وهي : الإيمان - العلم - والعمل ، وفي مجالها العلمية كما نبنيه في التفصيلات التالية<sup>(4)</sup>:

1-1- الإيمان هو عقيدة المسلم التي تحل في قلبه الضميري ، والتي تصل بينه وبين الله وتشمل تلك الصلة على مجالين :

- مجال ضميري يتمثل في الإيمان بالله ووجدانيته وبما أنزله في كتابه .
- ومجال التزامي وهو الإخلاص لله .



(1)(2) عبد الحميد أبو سليمان ، (معارف الوحي : المنهجية والأداء) ، مجلة إسلامية المعرفة ، مرجع سابق ، ص 99 .

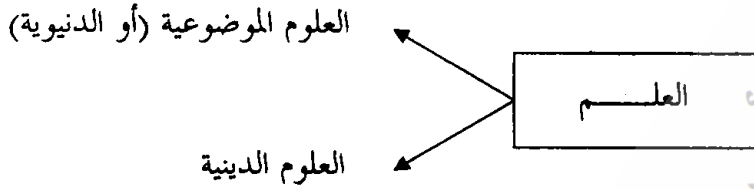
(3) عبد الحميد أبو سليمان ، قضية المنهجية في الفكر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص 24-25 .

(4) أحمد عروة ، العلم والدين ، مناهج ومفاهيم ، مرجع سابق ، ص 91 .

2-1- العلم مفهومه التطبيقي يجمع بين :

- العلوم الموضوعية : وهي معرفة الصلة بين الإنسان والكون في طابعها العلمي والتجريبي والإبداعي .

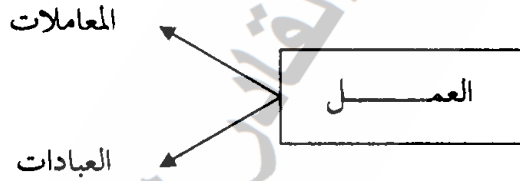
- العلوم الدينية : وهي معرفة الصلة بين الإنسان والخالق ، وتجمع علوم الدين العقيدية (التوحيد) والتشريعية (الفقه) .



3-1- العمل في مفهومه السلوكي يجمع بين ميدانين :

- المعاملات التي تصل الإنسان عمليا بالمحيط الطبيعي والبشري .

- العبادات التي تصل الإنسان عمليا بالخالق .



4-1- الروابط التي تجمع بين المكونات التطبيقية هي في الوقت نفسه نوعية وكيفية :

- الإيمان عقيدة والتزاما لا ينفصل عن العلم ولا عن العمل كما تفره الآية (( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ

عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ))<sup>(1)</sup> فالخشية نتيجة للعلم ودافع للعمل<sup>(2)</sup> .

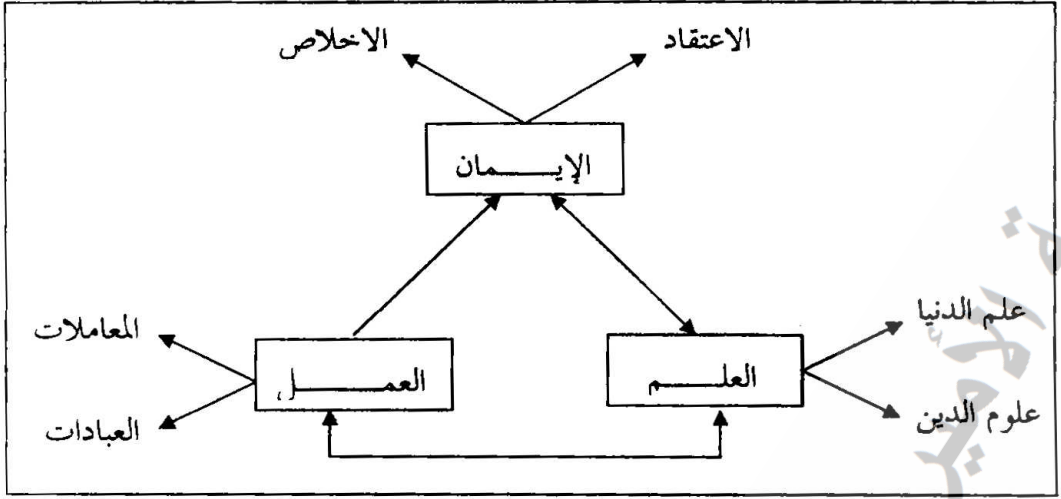
- العلم في مجالاته الدينية والدنيوية لا ينفصل عن الإيمان بالله ، ولا عن الأخلاق التي توجه أهدافه وتراقب به سلوكيات الإنسان .

- العمل لا ينفصل عن الإيمان الذي يبين المقاصد ، ولا عن العلم الذي يوضح السبل ، ويثبت الحقائق المشهودة .

(1) سورة فاطر ، الآية : 28 .

(2) أحمد عروة ، المرجع السابق ، ص 92 .

يتبين ذلك الترابط في الجدول الجامع التالي: (1)



2- وحدة العقيدة والترابط بين المكونات النظرية والتطبيقية: (2)

تثبت الوحدة العقيدية والمنهجية بين المكونات النظرية والتطبيقية ، لأنها تنبثق من وحدانية الخالق ووحدة المقاصد التي تهدي إلى الخالق ، وهذا لا يتناقض مع اختلاف الطرق ، وتفاوت المفاهيم بالنسبة للإنسان .

2-1- وحدانية الخالق ووحدة الخلق تفترض وحدة الأصول التي تعتمد عليها العقيدة ، وهي : الفطرة - والعقل - والوحي .

- الله خلق الفطرة وألهمها (( الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى )) (3) (( فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا )) (4)

- الله خلق العقل واختص الإنسان بالعلم (( خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ )) (5)

- والله أنزل الوحي والكتاب (( هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ )) (6)

(1) أحمد عروة ، المرجع السابق ، ص 93 .

(2) المرجع نفسه ، ص ص 93-94 .

(3) سورة الأعلى ، الآية : 3-12 .

(4) سورة الروم ، الآية : 30 .

(5) سورة الرحمن ، الآية : 3-4 .

(6) سورة البقرة ، الآية : 185 .

2-2 وحدانية الخالق تقتضي وحدة الدين ، ولذلك كان الإسلام هو الدين المطلق في الخصوص وفي العموم (( إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ))<sup>(1)</sup>.  
والإسلام هو دين الإنسانية منذ نزل الوحي على الرسل من أولهم إلى خاتمهم (( مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ))<sup>(2)</sup>.

3-2- وحدانية الدين لا تنفي تفاوت الناس في درجات الإيمان والعمل ، ولا تنفي اختلاف المفاهيم الفرعية باختلاف العوامل الذاتية والخارجية ؛ التي تؤثر في مستويات المعرفة والمعتقدات والسلوكيات ، ولكن وحدة الدين كوحدة العلوم ترجع كل شيء إلى وحدة المقصد الأول وهو الله (جل شأنه).  
وكل طريق لا تؤدي إليه فهي طريق الضلال (( وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ))<sup>(3)</sup>.

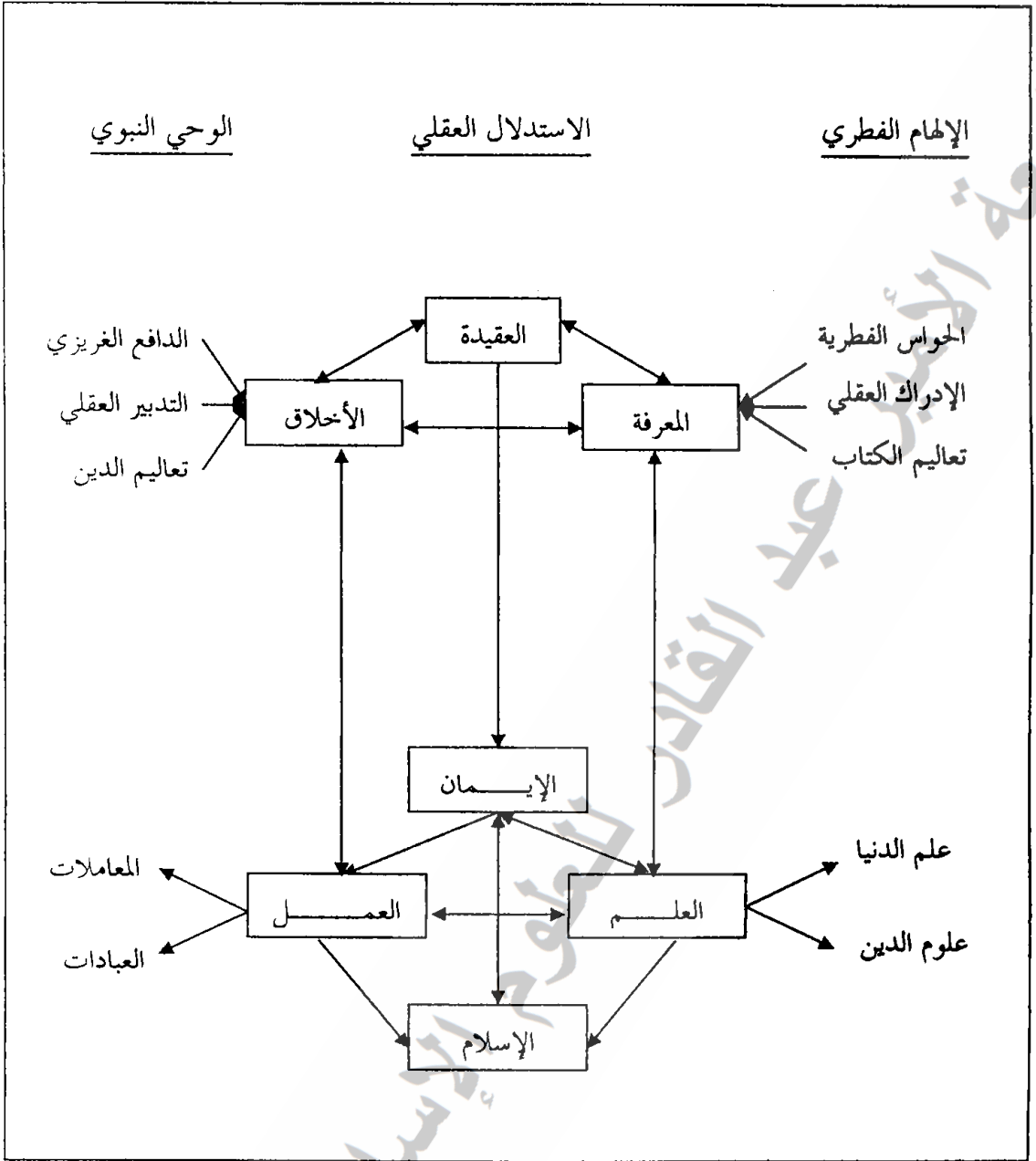
2-4 وحدة الدين تعني وحدة مكونات العقيدية والعملية والترابط الوثيق بينها . وهكذا تكتمل البنية العقيدية بين العناصر الأساسية ، والمكونات والمجالات العملية والتطبيقية ، وذلك يمثل الشكل الشامل التالي :<sup>(4)</sup>

(1) سورة آل عمران ، الآية : 30 .

(2) سورة فصلت ، الآية : 3-4 .

(3) سورة آل عمران ، الآية : 85 .

(4) أحمد عروة ، المرجع السابق ، ص 95 .





ومن هذا العرض التحليلي لمكونات الإسلام العقيدية والعملية ؛ يظهر اتساع المجال للبحث في العلاقة الوظيفية بين العلم والإيمان ، ثم بين العلم والعمل.<sup>(1)</sup>

ومن هذه المكونات العقيدية العملية ؛ انبثق المنهج العلمي الإسلامي ، ومن خلال التوجيهات القرآنية السامية التي وضعت الخطوط العريضة لمنهجية البحث العلمي الإسلامي ، وأقرها المسلمون في البحث والتأمل ، والاستدلال والاستقراء ، بالنسبة لجميع المعارف وبالنسبة لجميع العلوم النظرية التطبيقية . كما وضعوا قواعد الموضوعية بعيدا عن مغريات الوجدان العاطفي وعن الأهواء الشخصية في البحث والتقصي.<sup>(2)</sup> فالعمل الفكري الدقيق ، والتصور الرفيع ، والفن في صورته العالية والسلوك في رشدته واستقامته ؛ هو أساس الحضارة الإنسانية والعامل في نموها أو تقدمها.<sup>(3)</sup>

وفي الحضارة الإسلامية تأسس المنظور التقدمي على نتائج العلوم وارتباطها بأجزائها من جهة ؛ وبما تقتضيه شروط تقدم الحياة الإنسانية من جهة ثانية . وذلك وفق ضم تلك العلوم الكونية لظواهر الطبيعة في أطر فكرية ؛ تعكس في مجموعها المبادئ المترلة والفكرة المركزية ؛ التي تكون تلك الأطر الفكرية تطبيقات متعددة لها في العالم المتغير الفاني<sup>(4)</sup> ، فتأسس تلك الأطر على مسلمات نظرية لها تطبيقاتها الفعلية ، وفق مجموعة من الخصائص الموضوعية التي بها يتحدد المفهوم العام للمنهج .

وستحاول فيما يلي تمثل تلك الخصائص الموضوعية ؛ التي تطبع المنهج العلمي الإسلامي ؛ من خلال الاستعانة بما قام عليه التراث العلمي للمسلمين ، وما أنتجوه من تصانيف لعلوم عصرهم والتي برزت فيها تلك الفلسفة العلمية الرصينة :

(1) أحمد عروة ، المرجع السابق ، ص 95.

(2) عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيع ، البحث العلمي ، ط2 ، مركز البحوث التربوية ، الرياض 1420 هـ ، 2000 م ، ص 39 .

(3) محمد البهي ، الدين والحضارة الإنسانية ، ط2 ، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت ، القاهرة) ، 1394 هـ ، 1974 م ، ص 55 .

(4) سيد حسين نصر ، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 13 .

ومن هذا العرض التحليلي لمكونات الإسلام العقيدية والعملية ؛ يظهر اتساع المجال للبحث في العلاقة الوظيفية بين العلم والإيمان ، ثم بين العلم والعمل<sup>(1)</sup>.  
ومن هذه المكونات العقيدية العملية ؛ انبثق المنهج العلمي الإسلامي ، ومن خلال التوجيهات القرآنية السامية التي وضعت الخطوط العريضة لمنهجية البحث العلمي الإسلامي ، وأقرها المسلمون في البحث والتأمل ، والاستدلال والاستقراء ، بالنسبة لجميع المعارف وبالنسبة لجميع العلوم النظرية التطبيقية . كما وضعوا قواعد الموضوعية بعيدا عن مغريات الوجدان العاطفي وعن الأهواء الشخصية في البحث والتقصي<sup>(2)</sup>.

فالعمل الفكري الدقيق ، والتصوير الرفيع ، والفن في صورته العالية والسلوك في رشده واستقامته ؛ هو أساس الحضارة الإنسانية والعامل في نموها أو تقدمها<sup>(3)</sup>.  
وفي الحضارة الإسلامية تأسس المنظور التقدمي على نتائج العلوم وارتباطها بأجزائها من جهة ؛ وبما تقتضيه شروط تقدم الحياة الإنسانية من جهة ثانية . وذلك وفق ضم تلك العلوم الكونية لظواهر الطبيعة في أطر فكرية ؛ تعكس في مجموعها المبادئ المتزلة والفكرة المركزية ؛ التي تكون تلك الأطر الفكرية تطبيقات متعددة لها في العالم المتغير الفاني<sup>(4)</sup> ، فتتأسس تلك الأطر على مسلمات نظرية لها تطبيقاتها الفعلية ، وفق مجموعة من الخصائص الموضوعية التي بما يتحدد المفهوم العام للمنهج .

وستحاول فيما يلي تمثل تلك الخصائص الموضوعية ؛ التي تطبع المنهج العلمي الإسلامي ؛ من خلال الاستعانة بما قام عليه التراث العلمي للمسلمين ، وما أنتجوه من تصانيف لعلوم عصرهم والتي برزت فيها تلك الفلسفة العلمية الرصينة :

(1) أحمد عروة ، المرجع السابق ، ص 95.

(2) عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيع ، البحث العلمي ، ط2 ، مركز البحوث التربوية ، الرياض 1420 هـ ، 2000 م ، ص 39 .

(3) محمد البهي ، الدين والحضارة الإنسانية ، ط2 ، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت ، القاهرة) ، 1394 هـ ، 1974 م ، ص 55 .

(4) سيد حسين نصر ، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 13 .

## أ- الفطرية:

من خصائص المنهج العلمي الإسلامي ؛ أنه خاطب الإنسان بلغة يفهمها وذوق خاص يلهم به بلا تكلف ، وفكر يتأمله دون غموض ، وحقائق ينشرح بما الصدر دون تعقيد ، ومعان تقذف إلى فوائده فلا يكذبها ... يقول تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (1).

إذن هناك فطرة سليمة في الإنسان ، إلا أنه إذا استكان لجبلات النفس ؛ طغى عليه الضعف البشري وملكته الشهوة ، ونسي وغفل أمر الله وأطاع عقله ، أما إذا جاهد النفس والشيطان استقام على الفطرة السليمة. (2)

والرجوع إلى الفطرة السليمة رجوع للحق وهو الأصل ، فيسعى الإنسان إلى مخالفة الأهواء والظنون الفاسدة فيتعرف على نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه. (3)

## ب- التزعة التوحيدية :

دعا الفكر الإسلامي إلى تأمل الكون ، ومحاولة استجلاء العناصر الأساسية المكونة له ، والإجابة عقليا على إشكالات الوجود ؛ للوقوف على أبعاده الحقيقية التي تؤلف بين جميع الأسرار الكونية. والتوحيد هو ركن أساس في الإسلام ، ومنطق العقيدة الإسلامية . والعقل السليم لا يكون له وجود إلا أن يؤمن بالوحدانية كمسلمة عقيدية فطرية ؛ على أساس من إيمانه المطلق وإدراكه البين بالله جل شأنه. (4) والوحدانية هي أساس نظريته العلمية ؛ إذ يستبعد الفصل بين العلم والإيمان بالله ، ومعرفة الطبيعة هي ضرب من عبادة الله ؛ لأنها نظر في خلقه ودلالة على وجوده ووحدانيته . والعالم المؤمن هو الذي يفهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله في إطارها الشامل من الفكر التوحيدي الذي يجمع بين وحدة النظام في بناء الذرة وبناء المجموعة الشمسية ؛ وبين وحدة الطاقة بردها إلى أصل واحد - وإن تعددت صورها - ، وبين وحدة الحركة في طواف الالكترونات حول النواة ،

(1) سورة الروم ، الآية : 30 .

(2) حسن الشرقاوي ، مسلمون علماء وحكماء ، مرجع سابق ، ص ص 91- 92 .

(3) عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، مرجع سابق ، ص 23 .

(4) صلاح بسيوني رسلان ، العلم في منظوره الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 20 .

وطواف الكواكب حول الشمس ، وطواف المسلمين حول الكعبة المشرفة<sup>(1)</sup> ، إذ الكون في حقيقته مشهد ديني ؛ يتجلى فيه الواحد المطلق عبر المتعدد بألف رمز ، ويضفي هذا التوحيد الذي لا يتزعرع على الإسلام أكثر صفاته تأصلا.<sup>(2)</sup>

وقد ظهر في المنهج العلمي الإسلامي ذلك البعد التوحيدي ؛ في صورة ترابط وتناسق العلوم فيما بينها في علاقة تكاملية ، ولم يحدث أي انفصام بين علوم الدين وعلوم الكون ، وهذا هو سر العبقريات الإسلامية.

وهذه الرؤية التوحيدية تفسر كذلك الأهمية التي أعطاها الحضارة الإسلامية لتصنيف العلوم ، فتبسيط وحدّة الواقع والمعرفة الإنسانية ؛ نكون منساقين من تأمل وحدّة العالم ، إلى التأمل في وحدانية الله التي تدل عليها وحدّة الطبيعة.<sup>(3)</sup>

### ج - الزّعة الشمولية أو التكاملية :

ارتكز المنهج العلمي الإسلامي على المنهج الشمولي المتكامل ، فلم يقتصر في دراسته لمختلف الظواهر على ناحية في الطبيعة أو الكون ، أو على فكرة محددة أو صياغة معينة ، فكان منطلقا من مادة الوجود كلها .

والمنهج الشمولي تذوب معه تلك الحواجز الظاهرية بين فروع العلم المختلفة ، بحيث تحل العلوم المتداخلة والمتكاملة محل العلوم المتعددة والمنفصلة . بل إنها كلها يمكن أن تندرج في بناء نسقي واحد؛ بحيث يكون ترتيبها في ذلك النسق المتكامل ترتيبا قائما على وضع ما هو خاص من قوانين ومبادئ وفروض تحت ما هو أعم منه .<sup>(4)</sup>

والشمول هو مسلك معرفي يضمن إلى حد بعيد السداد في الوصول إلى الحق ، لأن الحقيقة مخفية وراء أسباب ، وبقدر الإحاطة بتلك الأسباب يكون التوفيق في الكشف عنها<sup>(5)</sup> ، ويقدر ما كان البحث متصفا بالجزئية ؛ كانت الأحكام النهائية جزئية أيضا . ولهذا جاءت نصوص القرآن الكريم لتوجيه العقل إلى النظر الكوني .

(1) أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، مرجع سابق ، ص 36 .

(2) صلاح بسيوني رسلان ، المرجع السابق ، ص 20 .

(3) المرجع نفسه ، نقلا عن سيد حسين نصر ، العلم والمعرفة في الإسلام ، منشورات سندباد ، باريس . 1979 ، ص 21 .

(4) أحمد فؤاد باشا ، المرجع السابق ، ص 47 .

(5) عبد المجيد النجار ، فقه التضرر ، مرجع سابق ، ص 71 .

## د - النزعة الواقعية :

وهي خاصة تمثلها المنهج العلمي الإسلامي ، وكذا المشتغلون بالعلم في الحضارة الإسلامية ، ونقصد بالواقعية : صفة يكون عليها العقل بحيث ينتهج في البحث عن الحقيقة ، وفي تقدير الأحكام منهج التوجه إلى الواقع المادي والإنساني ؛ ليتخذ من تدبره ودرسه منطلقا لكل حكم من أحكامه.(1)

فقد اعتنى المنهج العلمي الإسلامي في تقريره للحقائق الكونية بأبعادها ونتائجها ، وكذا تواصلها مع محيط الإنسان وظروفه ، فكانت تلك الكليات أسسا ثابتة تحدد ملامح المنهج . إلا إن أسلوب عرض هذه الكليات وضبطها للجزئيات والأنظمة يعتمد على ممارسات العصور ، وآفاق معارف الإنسان وقضاياها التطبيقية ، حيث إن كل هذا ينعكس على فهم هذه الكليات وعلاقتها بالجزئيات والتطبيقات وطرق عرضها ، حتى لا يكون العرض حديثا في فراغ لا يتوجه إلى الأمم والعصور ، بحسب حالها وحاجتها(2) . وبهذا السبب يمكن أن نفسر كيف أن المسلمين اتجهوا منذ انفعولوا بتعاليم القرآن الكريم إلى واقع الكون وواقع الحياة بالملاحظة والدراسة والتحليل ، فإذا انخرطت الحركة العلمية في محاورها المختلفة تنتهج النهج الواقعي، وتثمر العلوم كلها من تلقاء هذا النهج.(3)

إن المنهجية الإسلامية هي منهجية لها ملامحها الواضحة المحددة ، وهي في الوقت نفسه منهجية حيوية ؛ يستجيب عرضها للمتغيرات ، مثلما يستجيب لتحقيق التكامل والتطابق وفاعلية التوجيه ، حتى تحقق للبشرية أفضل التصورات والتطلعات ؛ ضمن معطيات العصور وآفاق معارفها وقدراتها.(4)

## هـ - الموضوعية :

ما تجدر الإشارة إليه أن المنهج العلمي الإسلامي احتوى على مجموعة من المعايير الأخلاقية التي حث الإسلام على الالتزام بها ، وهي المعايير ذاتها التي اهتدى بها العلماء المسلمون في مباحثهم العلمية ، في صورة عدم التضاد بين القيم والعلم والمعرفة ، كما اتضحت مطابقة المعايير الأخلاقية

(1) عبد المجيد النجار ، عوامل الشهود الحضاري ، مرجع سابق ، ص 159 .

(2) عبد الحميد أبو سليمان ، (معارف الوحي : المنهجية والأداء) ، مجلة إسلامية المعرفة ، مرجع سابق ، ص 101 .

(3) عبد المجيد النجار ، فقه التحضر ، مرجع سابق ، ص 73 .

(4) عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص 101 .

ولا يتسامح فيه ، فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدمه من التقصير والشبه»<sup>(1)</sup>.

وهكذا فقد كان هذا المنهج بأصوله وقواعده وليد البيئة الثقافية الإسلامية ، والتي سارت أشواطاً بعيدة به في بناء صرح العلوم ، ومن ثم الانطلاق بها إلى الغرب ، وقد كانت بداية انتقال العلوم إلى العالم الغربي في أواسط القرن الرابع الهجري ، واستمر ذلك حتى أواسط القرن التاسع الهجري. ومعنى هذا الواقع هو أن العلوم في البيئة الإسلامية قبل منتصف مرحلتها البناءة المبتكرة قد وجدت نمواً آخر لتطورها في بيئة أجنبية ، وأنها استمرت في تزويد اكتشافاتها الأخرى لهذه البيئة الجديدة، إلى أن أصبحت بناءة مبتكرة بعد قرون<sup>(2)</sup>. وهذا ما دعا العالم الفرنسي "غوستاف لوبون" أن يتمنى لو أن العرب المسلمين استولوا على فرنسا ؛ لتغدوا باريس مثل قرطبة في إسبانيا المسلمة<sup>(3)</sup>.

فالعلوم في الحضارة الإسلامية تشكلت وفق منظور العالمية، وفي إطار مبدأ التراكمية، فكانت إنجازاتها لا تنفك عن الحركة التاريخية لها بصفة عامة ، وبلا شك فقد كان الإسلام هو من أحدث النقلة الحضارة العلمية الهائلة ، التي نتبين مراحلها فيما يلي :

نشاط حركة الترجمة : وكان ذلك في القرن الأول إلى القرن الثاني الهجري ، برز في مجال الترجمة أول ما برز مع حكيم بني أمية الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85هـ — 704م) الذي كان على يديه أول نقل في الإسلام من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية<sup>(4)</sup>. وعرف نشاط تلك الحركة مع بداية عصر الخلافة الأموية ( أواخر القرن الأول الهجري ، الثامن ميلادي ). ويعتبر استقرار الدولة الأموية وازدهارها سياسياً واقتصادياً من الأسباب التي ساهمت في نقل علوم الأعاجم من الفرس والروم وغيرهم ، فترجمت كثير من كتب تلك الحضارات ، ونقلت موادها إلى اللغة العربية ، وبهذا كان الانفتاح الذي اتبعه العلماء المسلمون ، استفادت الحضارة الإسلامية من علوم ومعارف الآخرين.

وقد نالت العلوم التجريبية نصيباً مهماً من بين هذه العلوم المترجمة، وكان على رأسها علم الطب، فقد كان الطب الإسلامي في هذه الفترة معتمداً على إرشادات الرسول (صلى الله عليه وسلم)،

(1) فواد سيزكين ، أسباب ركود الحضارة الإسلامية ، المطابع الأهلية ، الرياض 1403هـ — 1983م ، ص 12 .

ص 13 .

(2) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، دت ، ص 13 و 317 .

(3) ابن النديم ، فهارس ، مصدر سابق ، ص 242 .

وعلى الأعشاب والنباتات الطبية ، والكلي والفسد والحجامة والختانة ، وبعض العمليات الجراحية البسيطة، ولما بدأ الأطباء المسلمون والعرب يتعرفون على الطب اليوناني عبر مدرسة جند يسابور<sup>(1)</sup> كان اتجاههم إلى ترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية .<sup>(2)</sup>

وقد ازدهر الطب على ذلك وبنيت المستشفيات ، واعتبر بعض المؤرخين للعلوم العلمية أن الخليفة الأموي "الوليد بن عبد الملك" (ت96هـ) هو أول من بنى مستشفى نموذجيا في الإسلام ، وذلك سنة ( 88هـ) ، وألحق به مجموعة من الأطباء والصيدالة .<sup>(3)</sup> كما اشتهرت أسماء لامعة في الطب في هذه الفترة، وتأتي عائلة "أبي الحكم الدمشقي" في المقدمة ، وكان في مقدمتهم " أبو الحكم الدمشقي" (ت210هـ) الذي استطبه الخليفة الأموي "معاوية بن أبي سفيان"<sup>(4)</sup> والطبيب "تياذوق" (ت 90 هـ) كان مقربا من "الحجاج بن يوسف الثقفي".<sup>(5)</sup>

ويعمل ظهور "خالد بن يزيد" أيضا بدء ظهور علم الكيمياء ، وقد تلمذ خالد في ذلك على الراهب الروماني "مريانوس" ، وتعلم منه صنعة الطب والكيمياء ، ثم كان له في صنعة (الكيمياء) ثلاث رسائل هي: (السر البديع في فك الرمز المنيع) و(فردوس الحكمة في علم الكيمياء) و(مقالتا مريانوس الراهب)، وذكر فيه ما كان بينه وبين "مريانوس" ، وكيف تعلم منه الرموز التي أشار إليها.<sup>(6)</sup>

وفي القرن الثاني الهجري : برز العالم الكيميائي "جابر بن حيان" (ت200هـ—815م) كان شعلة بارزة في هذه الفترة ، وعلى يديه كان بدء ظهور المنهج التجريبي ، كما أنه يعتبر كبير علماء الكيمياء المسلمين .

لقد كانت الكيمياء قبل جابر خرافية تستند على الأساطير ؛ حيث سيطرت فكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى معادن نفيسة ، وذلك لأن العلماء في الحضارات ما قبل الحضارة الإسلامية كانوا يعتقدون أن المعادن المنطرفة مثل : الذهب ، الفضة ، والنحاس ، والحديد ، والرصاص ، والقصدير من نوع واحد ، وأن نباينها تابع من الحرارة والبرودة ، والجفاف والرطوبة الكامنة

(1) مدينة في خوزستان ، كان سابور الأول قد اتخذها لأسرى الروم .

(2) علي بن عبد الله الدفاع ، رواد علم الطب في الحضارة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1998 ، ص 68 .

(3) (4) المرجع نفسه ، ص 167 .

(5) نفسه ، ص 158 .

(6) محمد الصادق عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص 16 .

فيها، وهي أغراض متغيرة (نسبة إلى نظرية العناصر الأربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب ) لذا يمكن تحويل هذه المعادن من بعضها البعض بواسطة مادة ثالثة وهي "الإكسير" ، ومن هذا المنطق تخيل بعض علماء الحضارات السابقة للحضارة الإسلامية أنه بالإمكان ابتكار "إكسير الحياة" أو "حجز الحكمة" الذي يزيل علل الحياة ويطيل العمر.<sup>(1)</sup>

وقد تأثر بعض العلماء المسلمين الأوائل كـ "جابر بن حيان" و"أبي بكر الرازي" بنظرية العناصر الأربعة التي ورثها علماء المسامين من اليونان ، لكنهما قاما بدراسة علمية دقيقة لها، أدت الدراسات إلى تأسيس وتطبيق المنهج التجريبي في حقل العلوم التجريبية .

وعليه يكون جابر قد قطع خطوة أبعد مما قطع اليونان في وضع التجربة، ولذلك يعد أول من أدخل التجربة العلمية المخبرية في منهج البحث العلمي الذي أرسى قواعده.<sup>(2)</sup>

وقد سمي علم الكيمياء باسم جابر بن حيان، فقيل "صنعة جابر" ومن أبرز إسهامات جابر فيه أنه يعد أول من استخرج حامض الكبريتيك، وسماه زيت الزاج ، وأول من اكتشف الصودا الكاوي، وأول من استحضر ماء الذهب، ودرس خصائص مركبات الزئبق واستحضرها، وقد بلغت تصانيفه 232 كتابا.<sup>(3)</sup>

وفي عصر جابر زاد الاهتمام بحركة الترجمة بصورة ملحوظة، ويرجع السبب في ذلك إلى اهتمام الخلفاء بذلك، لتخرج تلك الحركة من حيز المحاولات الفردية إلى أن تكون لها سياسة منهجية متبعة تشرف عليها الدولة، وهو ما أدى إلى أن يتسع نطاق العلوم المترجمة، ليشمل الفلسفة والمنطق والكتب الأدبية بجانب الطب وسائر العلوم التجريبية كلها.<sup>(4)</sup>

أما في القرن الثالث الهجري : فقد مثل نصفه الأول "الخوارزمي" (ت232هـ — 846م) الذي اقترن اسمه بعلم الجبر والرياضيات .

فهو الرياضي والجغرافي والفلكي، والذي يعد مؤسس علم الجبر كعلم مستقل عن الحساب، وقد أخذه الأوروبيون عنه، كما أنه أول من استعمل كلمة "جبر" للعلم المعروف الآن بهذا الاسم.<sup>(5)</sup>

(1) علي عبد الله الدفاع ، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1997 ، ص 274 .

(2) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1966 ، ص 251 .

(3) شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1996 ، ص 521 .

(4) عمر فروخ ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 74 .

(5) المرجع نفسه ، ص 75 .



وهكذا نجد أن هذا العلم يدعى اليوم في أوروبا ألبجر "ALGEBRE" و "ALGEBRA". أو اللوغاريتم نسبة إلى "الخوارزمي"، حتى أن الألمان يسمون ألبجرا (بتصحيح المصريين للحميم).<sup>(1)</sup> ويعد كتابه (الجبر والمقابلة) الكتاب الرئيسي ذا الأثر الحاسم الذي درس فيه تحويل المعادلات وحلها، وقد أصبح الكتاب مصدرا أساسيا في الرياضيات في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر، وكان معظم ما ألفه من خلقه مستندا عليه، وقد نقله من اللغة العربية إلى اللاتينية "روبرت أوف شستر".<sup>(2)</sup>

ومن عاصر "الخوارزمي" عالم آخر مشهور هو الفيلسوف "أبو يوسف يعقوب الكندي" (185-265هـ / 805-873م) الذي يعد من أوائل العلماء المسلمين الذين طرخوا ميدان علم البصريات، فتناول الظواهر الضوئية وعالجها في كتابه الشهير "علم المناظر" وكان ذلك أول كتاب عربي يعنى بعلم البصريات، وفيه أخذ "الكندي" بنظرية الانبعاث الإغريقية، إلا أنه أضاف وصفا دقيقا لمبدأ الإشعاع، وصاغ من خلال ذلك أساس نظام تصوري جديد يحل في نهاية الأمر محل نظرية الانبعاث، وكان لهذا الكتاب صدى في المحافل العلمية العربية ثم الأوروبية خلال العصور الوسطى.<sup>(3)</sup>

أما النصف الثاني من القرن الثالث الهجري: فقد برز فيه "أبو بكر الرازي" (ت311هـ-923م) الذي يعد علما من أعلام الطب في الحضارة الإسلامية، فهو واحد من أعظم مشخصي الأمراض المبدعين، ولا غرو فإن مقاله "كتاب في الجدرى والحصبة" كانت أول عمل في الأمراض المعدية، وأول مجهود طبي عني بالتفرقة بين المرضين، وهي عمل فذ من حيث قوة الملاحظة والتحليل والتمريض، وهي من الأعمال الإبتكارية التي قدمها المسلمون لدنيا الطب.<sup>(4)</sup> وقد اشتهرت مقالة "الرازي" شهرة بالغة في أوروبا وطبعت أربعين طبعة باللغة الإنجليزية وحدها بين سنتي (1498-1866). وكان "الرازي" أول من أدخل المركبات الكيماوية في العلاج الطبي، وكذلك نستطيع أن نرجع إليه كثيرا من الابتكارات الجديدة في جراحة العيون والولادة وفي أمراض النساء، كما كان أيضا أول من صنف مقالات في أمراض الأطفال.<sup>(5)</sup>

(1) عمر فروخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، المرجع السابق، ص 75.  
 (2) علي عبد الله الدفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 77.  
 (3) محمد الصادق عفيفي، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مرجع سابق، ص 138.  
 (4) (5) جلال مظهر، الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث، مرجع سابق، ص 77.

ويضارع "الرازي" في الشهرة في تلك الفترة "بنو موسى بن شاكر" محمد وأحمد والحسن، وقد لمعوا في علوم الرياضيات، والفلك والعلوم التطبيقية و التقنية، والعلم الذي برع فيه بنو موسى هو "علم الحيل النافعة" أو (الهندسة الميكانيكية).

ومن أمثلة تركيبات "بني موسى" الميكانيكية هذه ؛ عمل سراج إذا وضع في الريح العاصف لا ينطفئ ، وعمل سراج يخرج الفتيلة لنفسه ، ويصب الزيت لنفسه، وعمل نافورة يفور منها الماء ، وكذا استخدام "بني موسى" للصمامات المخروطية ولأعمدة المرافق التي تعمل بصورة آلية، سبقوا به أول صنف لآلية عمود المرافق في أوروبا بخمسمائة عام ، وقد استحدثوا كذلك آلات لخدمة الزراعة والفلاحة، وكذا خزانات للحمامات ، وآلات لتعيين كثافة السوائل ، وآلات تثبت الحقول لاقتصاد المياه ، والسيطرة على عملية ري المزروعات ... وغيرها من مبادئ وأفكار تميزت بتصميمها بالخيال الخصب ، والتوصيف الدقيق والمنهجية التحريية الرائدة.<sup>(1)</sup>

وفي هذه الفترة برز أيضا "أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري" (ت282هـ/895م) الذي يعد أول المؤلفين المسلمين في علم النبات ، وقد استطاع أن يستولد ثمارا ذات صفات جديدة بطريقة التطعيم ، وأن يخرج أزهارا جديدة بالمزاوجة بين أنواع النبات<sup>(2)</sup> وفي حاضرة الإسلام في الأندلس كان هناك في ذلك العصر "عباس بن فرناس الأندلسي" (ت274هـ-888م) فمن اختراعاته : النظارات والساعات الدقاقة المعقدة التركيب ، والقبة الفلكية التي صنعها في بيته ، وقد اشتهر بأنه أول من قام بمحاولة للطيران في الجو ، وهي المحاولة التي أودت بحياته.<sup>(3)</sup>

أما في القرن الرابع الهجري : فيمثل نصفه الأول " أبو حسن علي بن الحسين المسعودي" (ت364هـ-957م) ، فقد كان ملما بكثير من العلوم والثقافات ، وقد اشتهر أكثر ما اشتهر في علم الجغرافيا ، ويعد كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) من أفضل المصنفات العربية الجغرافية التي تناول فيها الكثير من فروع علم الجيولوجيا في ثنايا المعلومات الجغرافية ، فقد تناول فيه استدارة الأرض وإحاطتها بغلاف جوي، وطبيعة العواصف التي تهب على الخليج العربي والمناطق المحيطة به ، ووصف الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال، ومساحة الأرض ، ووصف الزلازل التي حدثت سنة (334هـ/945م) ، وتحدث عن كروية البحار، ودرس

(1) علي عبد الله الدفاع ، روائع الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ص 120 - 122 .

(2) شوقي أبو خليل ، علي عبد الله الدفاع ، الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 542 .

(3) المرجع نفسه ، ص 529 .

ظاهرة المد والجزر وعلاقة القمر بذلك، وتحدث عن دورة الماء في الطبيعة، وتراكم الأملاح في البحر، ووصف البراكين الكبريتية في قمم بعض الجبال، كمت أورد بعض العلامات التي يستدل بها على وجود الماء في باطن الأرض.... إلخ. (1)

وبصفة عامة فقد أبدع المسلمون في رسم الخرائط المصورات الجغرافية، وعرفوا كروية الأرض، وقاسوا أبعادها بدقة، خصوصا أيام المأمون، وحددوا خطوط الطول ودوائر العرض، متخذين جزر "البليار" مبدأ خطوط الطول، وقد ظهرت أبحاث حديثة تقول إنهم وصلوا عبر بحر الظلمات الأطلسي إلى أمريكا قبل كولومبس بمدة ثلاثمائة أو أربعمائة سنة. (2)

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري "أبو الوفاء البوزجاني" (ت 388هـ - 998م)، والذي يعد أحد الأئمة المعدودين في الرياضيات والفلك، وله فيها مؤلفات قيمة، من أشهرها: منازل في الحساب، وتفسير الجبر والمقابلة للخوارزمي، والمدخل إلى الأثرمطيقي، وكتاب استخراج الأوتار، وكتاب العمل بالجدول الستيني، وكتاب معرفة الدائرة من الفلك، والكامل، والزيج الشامل، وكتاب المحسني، وقد اعترف له كل من جاء بعده من رياضيين الشرق والغرب بأنه من أشهر الذين برعوا في الهندسة، وعندما ألف في الجبر أضاف إضافات على بحوث "الخوارزمي"، فاعتبرت أساس العلاقة الهندسة بالجبر، ويعود الفضل لـ "البوزجاني" في وضع النسبة المثلثية (الظل)، وهو أول من استعملها في حلول المسائل الرياضية، كما أوجد طريقة جديدة لحساب جداول "الجيب"، وكانت جداوله دقيقة للغاية، ووضع بعض المعادلات التي تتعلق بجيب الزاويتين، وكشف بعض العلاقات بين الجيب والمماس والقاطع ونظائرها. (3)

وقد اكتشف "البوزجاني" إحدى المعادلات لتقويم مواقع القمر سميت معادلة السرعة، ومن أهم إسهاماته في علم الفلك اكتشافه للخلل في حركة القمر، وهو الاكتشاف الذي أدى فيما بعد إلى اتساع نطاق علمي الفلك والميكانيكا. (4)

(1) عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص 309.

(2) شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 499.

(3) علي عبد الله الدفاع، العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية، ص 376 - 382.

وشهد عصر "البوزجاني" علماً آخر من أعلام الحضارة الإسلامية هو "أبو القاسم بن أحمد الجريطي" (397هـ / 1007م) الذي عاش في قرطبة ، فقد استطاع تحضير أكسيد الزئبق ، تلك المادة التي أدت دوراً مهماً في أبحاث "بريستلي" و"لافوازيه" في القرن الثامن عشر.<sup>(1)</sup> ومن يذكرني في هذا العصر أيضاً "أبو سعيد عبد الرحمان بن يونس المصري" (ت399هـ - 1009م) الذي اخترع الرقاص (البندول) ، وعرف أشياء كثيرة من تذبذبه وبعد ستمائة وخمسين عاماً من اختراعه جاء "جاليلو الإيطالي" (ت1052هـ - 1624م) ليتوسع في درس الرقاص ، وليضع أكثر القوانين عنه.<sup>(2)</sup>

وفي القرن الخامس الهجري: مثل نصفه الأول "أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني" (ت440هـ - 1048م) ، العالم الموسوعي الذي كان لمؤلفاته اليد الطولى ، والصدى الواسع في صناعة أجماع عصر النهضة ، والثورة الصناعية في العالم الغربي ، فقد حدد بدقة خطوط الطول ودوائر العرض ، وناقش مسألة ما إذا كانت الأرض تدور حول محورها أم لا ، وسبق في ذلك "جاليلو" و"كوبرنيكوس"<sup>(3)</sup> . كما وضع "البيروني" قاعدة حسابية لتسطيح الأرض ، أي نقل الخطوط والخرائط من الكرة إلى سطح مسطح وبالعكس ، وبهذا سهل رسم الخرائط الجغرافية.<sup>(4)</sup> و"البيروني" يكاد يكون قد أُلّف في كل فروع المعرفة التي عهدها عصره ، ومن أبرز ما قام به أنه توصل إلى تحديد الثقل النوعي لثمانية عشر عنصراً مركباً بعضها من الأحجار الكريمة ، وفي ظاهرة الجاذبية كان البيروني من رواد الذين قالوا بأن للأرض خاصية جذب الأجسام نحو مركزها ، وقد تناول ذلك في آراء بثها في كتب مختلفة ، وأشهر آرائه ضمّتها في كتابه ( القانون المسعودي) ، ومن مؤلفاته الأخرى الرائدة: الصيدلة في الطب ، والجواهر في معرفة الجواهر ، ومفاتيح الرحمة ومصايح الحكمة ، والآثار الباقية ، وتحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن ، والعمل بالأسطرلاب ، وتحقيق منازل القمر.<sup>(5)</sup> ولا يقل "ابن الهيثم" شهرة وإنجازاً عن معاصره ، فقد بلغت شهرته وإنجازاته الآفاق ، الأمر الذي جعل من القرن الخامس الهجري بصفة عامة ، قمة أوج ازدهار الحضارة الإسلامية في المشرق

(1) شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 524 .

(2) المرجع نفسه ، ص 530 .

(3) عبد الرحمان حميد ، أعلام الجغرافيين العرب ، مرجع سابق ، ص 340 .

(4) المرجع نفسه ، ص 459 .

(5) علي عبد الله الدفاع ، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم ، مرجع سابق ، ص 206-203 و 312-313 .

والمغرب ، وكان منهم في الشرق الإسلامي — على سبيل المثال — "ابن الهيثم" (430هـ—1038م) العالم المسلم الفذ الذي أخذ بالاستقراء والقياس واعتمد على التجارب بصفة عامة في إجراء بحوثه العلمية.

و"ابن الهيثم" في طريقه البحث العلمي لم يسبق "بيكون" إلى طريقته الإستقرائية فحسب، بل سما عليه سموا كبيرا ، فكان أوسع منه أفقا وأعمق تفكيرا ، تقول "زيغريدهونكه": «والواقع أن روجر باكون ، أوباكوفون فارولام ، أوليوناردو دافنشي أو جاليلو، ليسوا هم الذين أسسوا قواعد البحث العلمي ، إنما السابقون في هذا المضمار كانوا من العرب ، والذي حققه ابن الهيثم لم يكن إلا علم الطبيعة الحديثة ، بفضل التأمل النظري و التجربة الدقيقة.»<sup>(1)</sup> .

وتعد أعمال "ابن الهيثم" العلمية فتحا جديدا في عالم البصريات وفسولوجية الإبصار، وكانت أعماله هي الأساس الذي بنى عليه علماء العرب جميع نظرياتهم في هذا الميدان، وكان في طبيعة العلماء الأجانب الذين اعتمدوا على نظرياته -بل أقروا عليها ونسبوها لأنفسهم- "روجريكون وفيتلو" وعلماء آخرون ، ولاسيما في بحوثهم الخاصة بالجهر والتلسكوب والعدسة المكبرة.<sup>(2)</sup> فقد بدأ "ابن الهيثم" أولا مناقشة نظريات "إقليدس" و"بطليموس" في مجال الإبصار، وأظهر فساد بعض جوانبها ، ثم في أثناء ذلك قدم وصفا دقيقا للعين والعدسات والأبصار بواسطة العينين ، ووصف أطوار انكسار الأشعة الضوئية عند نفوذها في الهواء المحيط بالكرة الأرضية، وخاصة إذا نفذ من جسم شفاف كالهواء ، والماء ، والذرات العالقة بالجو، فإنه ينعطف — أي ينكسر— عن استقامته.<sup>(3)</sup>

وقد بحث في "الانعكاس" وتبيين الزوايا المرتبة على ذلك، كما تطرق إلى شرح أن الأجرام السماوية تظهر في الأفق عند الشروق، قبل أن تصل إليه فعلا، والعكس صحيح عند غروبها ، فإنها تبقى ظاهرة في المجال الأفقي بعد أن تكون قد احتجبت تحته، وهو "ابن الهيثم" أول من نوه باستخدام الحجرة السوداء ؛ التي تعتبر أساس التصوير الفوتوغرافي.<sup>(4)</sup>

(1) زيغريدهونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص 148 .

(2) المرجع نفسه ، ص 149 .

(3) أحمد فواد باشا ، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، مرجع سابق ، ص 184 ، وعمر فروخ ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 108 .

(4) محمد الصادق عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص 138 .

ويعتبر "كتاب المناظر" هو الكتاب الذي خلد اسم "ابن الهيثم" عبر القرون ، والذي يوضح تصور البصريات كنظرية أولية في الأبصار، مختلفة جذريا عن فرض الشعاع المرئي الذي حافظ عليه التقليد الرياضي منذ "إقليدس" وحتى "الكندي" (1).

وقد أبرز أيضا من العلماء الذين عاصروا " البيروني " من علماء المغرب الإسلامي في الأندلس "خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي" (ت427هـ-1036م) ، والذي كان لكتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) الفضل في أن أصبح من كبار جراحي العرب المسلمين ، وأستاذ علم الجراحة في العصور الوسطى وعصر النهضة الأوروبية حتى القرن التاسع عشر ، ومن خلال دراسة كتبه تبين أنه أول من وصف عملية تفتيت الحصاة في المثانة ، وبحث في التهاب المفاصل ، وفي السل وغيرها (2).

ومن النوابع في هذا العصر برز الشيخ الرئيس " أبوعلي ابن سينا" (ت428هـ-1037م) والذي ظل لسبعة قرون متوالية المرجع الرئيسي والأساسي في علم الطب ، وبقي كتابه القانون في الطب العمدة في تعليم هذا الفن حتى أواسط القرن السابع عشر في جامعات أوروبا (3) ويعد "ابن سينا" أول من وصف التهاب السحايا الأولى وصفا دقيقا ، ووصف أسباب اليرقان ، ووصف أعراض حصى المثانة، ودرس الطفيليات ، وانتبه إلى أثر المعالجة النفسية في الشفاء (4). وكذلك من العلماء هذه الفترة "عمر الخيام" (ت517هـ-1123م) ، وهو من أنبغ من اشتغل الفلك والرياضيات ، ولا سيما الجبر ، إلا أن شهرته في الشعر والفلسفة طغت على نبوغه العلمي، فقد درس بديهيات هندسة "إقليدس" ونظرياته العامة ، وهو من أوائل العلماء الذين حاولوا تصنيف المعادلات بحسب درجاتها، وعدد الحدود التي فيها، واستخدم بعض المعادلات التي استعملها "الخوارزمي" من قبل في الجبر والمقابلة ، واستطاع أن يحل المعادلات التكعيبية هندسيا، واعتبر أن المعادلات ذات الدرجات الأولى والثانية والثالثة إما أن تكون بسيطة أو مركبة ، ووضع للمعادلات البسيطة ستة أشكال وللمركبة اثني عشر شكلا، وللخيام تصانيف كثيرة أهمها الرياضيات : شرح ما يشكل من مصادر إقليدس ، ومقالة في الجبر والمقابلة ، ومن أهمها في

(1) علي عبد الله الدفاع ، العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 317 ، ومحمد الصادق عفيفي ، المرجع السابق ، ص 147 .

(2) شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 513 .

(3) المرجع نفسه ، ص 511 .

(4) المرجع نفسه ، ص 511 .

الفلك: "زيح ملكشاه"؛ الذي يعد من أشهر الأزياج التي وضعت خلال القرن الخامس الهجري ، ولعبقريته الفذة لقبه علماء الشرق والغرب بـ "علامة الزمان".<sup>(1)</sup>

وفي القرن السادس الهجري ظهر أحد العلماء العظام في علم الجغرافيا، وهو "الإدريسي" (ت560هـ-1165م) ، الذي ألف كتابا سماه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) في وصف بلاد أوروبا وإيطاليا ، وكان قد استدعاه ملك جزيرة صقلية النورماندي "روجر الثاني" ، وخصه بكثير من العطف والعناية ، فصنع له "الإدريسي" كرة أرضية من الفضة ، محفوظة في متحف برلين اليوم ، ووضع له الكتاب المذكور.<sup>(2)</sup>

يصنفه "غوستاف لوبوث" أنه "أشهر جغرافي العرب" ويقول عن كتابه السابق: "من كتبه التي ترجمت إلى اللاتينية، وعلمت أوروبا علم الجغرافيا في القرون الوسطى".<sup>(3)</sup>

ويقول المستشرق الفرنسي "إريك رابرت": «لم يكن بطليموس الأستاذ الحقيقي في جغرافية أوروبا، لكنه الإدريسي... ومصورات الإدريسي التي تعرف بكروية الأرض كانت تنويجا لعلم المصورات الجغرافية في العصر الوسيط لوفرهما وصحتها واتساعها» ، ويقول "الدوميلي": «لقد عرف العرب المسلمون وضع الخرائط وضعا علميا مبنيا على تعيين الطول والعرض في العناصر الجغرافية المختلفة ، حيث وصلوا بذلك — على يد الإدريسي — إلى تحقيق خطوة جديدة بالإعجاب حقا في هذا الفن ، الذي هو فرع عظيم الأهمية من الجغرافية العلمية».<sup>(4)</sup>

وقد عاصر "الإدريسي" في الأندلس الطبيب "أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر الأندلسي" (ت557هـ-1162م) الذي ذاع صيته في الطب ، والذي كان يرى أنه لا ينبغي للطبيب أن يقوم بتحضير الأدوية، فسبق بهذا الرأي إلى مفهوم الطب الحديث من فصل الجراحة والطب الباطني عن الصيدلة ، ويعتبر مؤلفه "التيسير في المداواة والتدبير" من خير ما ألف المسلمون في الطب العملي ؛ فقد تحرر فيه من كل ما تقيد به غيره من آراء نظرية ، وأخذ فيه بما تؤدي إليه

(1) علي عبد الله الدفاع ، العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية ، مرجع سابق ، ص ص 220 ، 232 . وله أيضا :

روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم ، مرجع سابق ، ص ص 85-87 .

(2) شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 494 .

(3) غوستاف لوبوث ، حضارة العرب ، مرجع سابق ، ص 470 .

(4) محمد الصادق عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص 281 .

الملاحظة المباشرة ، وفيه وصف التهاب التامور، والتهاب الأذن الوسطى، وشلل البلعوم ، كما وصف عملية استخراج الحصى من الكلى ، وفتح القصبه الهوائية .<sup>(1)</sup>

ومن بين من عاصروه أيضا "عبد الرحمان الخازني" (ت550هـ-1155م) والذي كانت له إسهاماته في قانون الجاذبية ؛ فقد تحدث عن التسارع أو العجلة في سقوط الأجسام نحو الأرض، وضمن كتابه ميزان الحكمة ما يدل على معرفته بالعلاقة الصحيحة بين السرعة التي يسقط بها الجسم نحو سطح الأرض ؛ والبعد الذي يقطعه والزمن الذي يستغرقه، وهي العلاقة التي تنص عليها المعادلات الرياضية المنسوبة لـ "جاليليو" في القرن السابع عشر الميلادي .<sup>(2)</sup>

أما في القرن السابع الهجري فقد مثل نصفه الأول "عبد اللطيف بن يوسف البغدادي" (ت629هـ-1231م) ، وهو من العلماء المكثرين في التصنيف في الحكمة ، وعلم النفس ، والطب ، والتاريخ ، والبلاغة والأدب ... ، وهو العلاء الذي يعرف بـ "ابن اللباد" و"ابن النقطة" ، والذي اشتهر باعتماده على التجربة الحسية أساسا لبحوثه العلمية ، فنقض في سبيل ذلك أقوال جالينوس في شرحه لعظم الفك ، وذلك بعد مشاهدة أكثر من ألفي جمجمة ، وقال مقولته : «الانس أصدق منه من جالينوس» وقد كان ينتقل بطلابه الذين يترددون عليه في دراسة الطب إلى المقابر ليتحقق بنفسه من أشكال العظام .<sup>(3)</sup>

وقد حاصر البغدادي "رشيد الدين الصوري" (ت639هـ-1241م) من أعظم علماء النبات، والذي استطاع أن يصف مئات من العقاقير ، وقد أتى ذكر كثير من هذه الأعشاب في كتابه "الأدوية المفردة" ، "والتاج" ، يقول ابن "أصبيعة" يصف الصوري: "قد اشتمل على جمل الصناعة الطبية ، واطلع على محاسنها الجليلة والخفية ، وكان أوحد في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها واختلاف أسمائها وصفاتها ، وتحقيق خواصها وتأثيراتها" .<sup>(4)</sup>

ومن بين علماء النبات في تلك الفترة "ابن البيطار" "أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي" (ت646هـ-1248م) ؛ الذي عد رئيس العشابين ، وكبير العطارين ، وأعظم عالم نباتي ظهر في القرون الوسطى ، فكان حجة في معرفة أنواع النباتات وتحقيقها ، وصفاتها و أسمائها ،

(1) محمد الصادق عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص 210 .

(2) عمر فروخ ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، مرجع سابق ، ص

(3) شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 514 .

(4) ابن أصبيعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مصدر سابق ، 130-123/2 .



وأماكنها ، حتى عرف في أوروبا باسم "أبو علم النبات" وله في ذلك "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" و"المغني في الأدوية المفردة" ، وكلا الكتابين قد ترجم إلى كثير من لغات العالم.<sup>(1)</sup> وفي القرن السابع الهجري أيضا سطع نجم الطبيب المسلم "علاء الدين بن أبي الحزم القرشي الدمشقي" ، الملقب بـ"ابن النفيس" (ت 687 هـ - 1288 م) الذي يعد أعظم وأشهر عالم بوظائف الأعضاء في القرون الوسطى .

فقد عارض نظرية جالينوس في وظيفة الرئتين ؛ والتي ادعى فيها أن في الحاجز الذي بين الجانب الأيمن والجانب الأيسر في القلب ثقباً غير منظورة ؛ يتسرب فيها الدم من الجانب الواحد إلى الجانب الآخر ، وما وظيفة الرئتين إلا أن ترفرفا فوق القلب فتبرد حرارته وحرارة الدم . عارض ابن النفيس تلك النظرية معارضة شديدة ، وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن اليونان لم يفهموا وظيفة الرئتين والأوعية التي بين القلب والرئتين ، وأنه فهم وظيفتها وأوعيتها ، وتركيب الرئة ، والأوعية الشعرية التي بين الشرايين والأوردة الرئوية ، وشرح الفرج الرئوية شرحاً واضحاً ، كما فهم أيضا وظائف الأوعية الإكليلية وأنها تنقل الدم ليتغذى القلب به ، ونفى التعليم القائل بأن القلب يتغذى من الدم الموجود في البطين الأيمن

ثم أكد في حديثه عن الدورة الدموية الصغرى وطريقة عملها ، ذاكراً آراء "ابن سينا" وأقوال "جالينوس" التي اعتمد عليها "ابن سينا" ثم عارضها بتمتهى الحماسة .<sup>(2)</sup>

و"ابن النفيس" هو الذي أجرى التجارب والاختبارات ، وأثبت أن الدم ليس سائلاً مستقراً في الأوردة والشرايين ، بل هو سائل متحرك يدور في جميع أنحاء الجسم .<sup>(3)</sup>

يقول عنه "جورج سارتون" أنه أول من اكتشف الدورة الدموية ، فهو بذلك الرائد للطبيب الإنجليزي "وليام هارفي" الذي ينسب إليه اكتشاف الدورة الدموية .<sup>(4)</sup>

(1) محمد الصادق عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص 224 .

(2) جلال مظهر ، الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث ، مرجع سابق ، ص 81-82 . وكذا : محمد الصادق

عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص 205-207 .

(3) (4) أحمد علي الملا ، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1401 هـ ، 1981 ،

أما في القرن الثامن الهجري ، فقد ظهر فيه عالم الكيمياء "عز الدين الجلدكي" ( ت 1363 م ) صاحب كتاب ( التقريب في أسرار التركيب ) ، وهو الذي فصل الذهب عن الفضة بواسطة حامض النتريك ، وهي طريقة ما تزال تستخدم ، ولها شأن في تقدير عبارات الذهب في المشغولات والسبائك الذهبية .<sup>(1)</sup>

ومن علماء هذه الفترة أيضا من المسلمين "ابن الخاتمة" ( ت 1369 م ) والذي بحث وعالج الطاعون الذي انتشر بمدينة ألمريا في اسبانيا سنتي ( 1348 - 1349 م ) وقد كان ذلك المبحث الذي اهتم به "ابن الخاتمة" متفوقا على جميع البحوث التي نشرت في أوروبا عن الطاعون فيها بين القرن الرابع عشر والقرن السادس عشر - كما يقول الأستاذ ميرهوف - ذلك الموضوع الذي لم يعالجه من قبل أطباء اليونان قط ومر عليه معظم كتاب الطب في القرون الوسطى من الكرام .<sup>(2)</sup>

وبنهاية القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، بدأ النشاط العلمي الإسلامي في الاضمحلال والضمور<sup>(3)</sup> وطفق منحنى الحضارة العلمية الإسلامية يتوقف ، ثم يأخذ اتجاها آخر نحو الهبوط والانحدار ، وإن بقي أثر تلك الحضارة بارزا في أوروبا حتى القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، وقد تخلل هذه الفترة بعض الانجازات والابتكارات النادرة من لندن المسلمين . وبدأت سيطرة أوروبا على العالم انطلاقا من عصر النهضة ( القرن السادس عشر ) .

يقول الأستاذ "كريستوفر داوس" : « عن العرب أخذت التقاليد العلمية في أوروبا الحديثة ، وقد أسهم العرب في توسيع آفاق الأوروبيين توسيعا لم يسبق له مثيل ، إذ بفضلهم انتقلت إلى أوروبا حضارات الصين والهند والفرس ، وبفضل العرب انتقلت علوم الشرق إلى أوروبا ، لتكون شاهدة بما للإسلام من ( عظمة علمية تربوية ) وفضل على الإنسان والإنسانية » .<sup>(4)</sup>

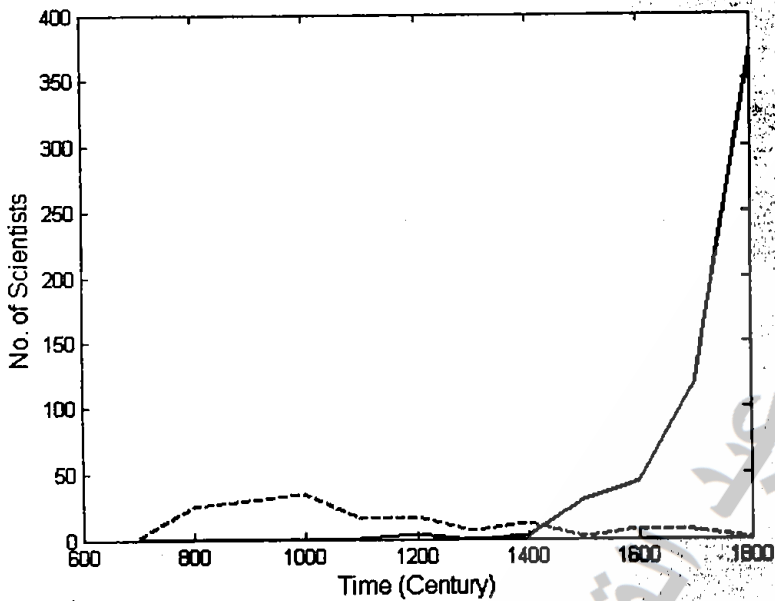
فمنهج الإسلام - العلمي التربوي هو الذي أسس للحضارة الإسلامية وأضأ للعاملين طريق السعادة من خلال الاعتناء بأنواع العلوم وتطبيقها ، ذلك المنهج القائم على نظام معرفي أصيل كان له دروه في بناء الحضارة الإسلامية وشموعها .

(1) شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 524 .

(2) جلال مظهر ، المرجع السابق ، ص 79-80 .

(3) وأسباب ذلك كثير ، ولعل أبرز تلك الأسباب هي الصراعات السياسية وكذا الحروب الصليبية ، والحملات الترية ..... الخ

(4) أحمد علي الملا ، المرجع السابق ، ص 216 .



منحني توزيع العلماء العرب-المسلمين و العلماء الغربيين خلال فترة زمنية تمتد من 700م الى 1800 م .

## 4-4- دور النظام المعرفي الإسلامي في بناء الحضارة :

لم يكن العقل المسلم في نشاطه العلمي غائبا عن التزاماته الدينية المعرفية ؛ التي شكلت حجر الزاوية في صياغة المشروع الحضاري العلمي الإسلامي ، فكان الرافد الأساسي لهذا العقل هو التوحيد الإسلامي ؛ الخاضع لإملاءات النص الديني المتساق مع المعطى الوجودي الواقعي . فاشتغل العقل المسلم وفق منظور معرفي ؛ كان من نتائجه بلورة منهج علمي أصيل أثمر حضارة رشيدة ، ظلت قرونا متطاولة مسرحا لإنجازات عبقرية ؛ أسهمت في تغيير العالم .

وقد تشكل في ساحة الفكر الإسلامي ذلك النظام المعرفي ؛ الذي عبر عنه العلماء المسلمون في إسهاماتهم الفكرية التي عكست خبرة ؛ جمعت بين الثقافة والعلم والتدين ، تلك الخبرة التي أكسبت إسهاماتهم أهمية في ساحة الفكر الإسلامي ؛ من حيث بلورتها مسارا للتواصل والتفاعل مع حركة العلم .

وهكذا فقد كان رصدنا لحركة العقل المسلم ؛ في كيفية اشتغاله في علم بعينه ، أو في تخصص من تخصصاته ، أو بصدد مفهوم من مفاهيمه ؛ من باب ضرورة اللجوء إلى تاريخ العلوم بوصفه مختبرا إستمولوجيا ، لا يوصفه ملاحظة للأحداث ، ورصدا للتواريخ فحسب<sup>(1)</sup> . وقد ظهرت حركة ذلك العقل المسلم - المنضبط بالنظام المعرفي - بجلاء من خلال فلسفة تصنيف العلوم ؛ التي قامت بترتيب مختلف العلوم وفق مبادئ نسقية ظهر من خلالها التصور الإسلامي للوجود وقوانينه .

فالإسلام ( كعنصر علمي ) يكشف قانون الحياة وسنة الوجود ، والإسلام ( كعنصر تربوي ) يوجه الإنسان نحو غاية وجوده ، ويعمل على تكوين الانسجام بين واقع الإنسان ، ومثله الأعلى حتى يكون هواه منسجما مع منهاج الله ، والإسلام ( كعنصر قيادة وتوجيه ) ينظم فاعليات الإنسان ، ويعمل على انسجامها وتعاونها ، فالإسلام بهذا قوة دافعة للحركة الحضارية<sup>(2)</sup> .

لقد قرر الإسلام أسمى المبادئ ، وأحكم النظم في كافة الميادين الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية ، بما يحقق السعادة والخير للإنسانية . والحق أن الحضارة الإسلامية جاءت حضارة شاملة تتفق وطبيعة الإنسان المخلوق من جسد وروح ، ولما كان الإسلام دين الفطرة جاءت

(1) بناصر البعزاني ، التقليد والتجديد في الفكر العلمي ، ط 1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 2003 ؛

ص 139 .

(2) أحمد علي الملا ، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، مرجع سابق ، ص ص 127-128 .

حضارته شاملة ؛ يتمثل فيها الجانب المادي المدني العلمي مع الجانب الروحي ، وتلك ميزة لا تتوفر في الحضارة الأوروبية التي نبيهر بها الآن بما حققت في الجانب التقني .<sup>(1)</sup>

فإبداع المسلمين في ميادين العلوم واهتمامهم بالنشاط المعرفي هو وليد الاهتمام بالتراث الإسلامي والتشبع به ، والانطلاق به في بلورة منظور معرفي ؛ يتيح توظيفه توظيفا صحيحا - من خلال فهمه - في عملية البناء الحضاري .

فالتراث الإسلامي - كما يقول سيد حسين نصر - " هو القوة التي أعطت الحياة لحضارة واسعة النطاق ، كانت العلوم إحدى ثمارها ، وذلك أن هذه العلوم لم تظهر في الوجود على نحو عارض ، بل هي أنشئت على الصورة التي أنشئت عليها ، لأن الذين أنشأوها كانوا مسلمين يتنفسون في عالم إسلامي ...."<sup>(2)</sup>

وقد كان لروح القرآن ومنهجه العلمي الداعي إلى استخدام الحواس والعقل لاكتشاف حقائق الأشياء تأثير واضح في إنشاء حضارة الإسلام العلمية التجريبية البعيدة عن الخيال والأوهام .... والفكر الإسلامي بهذا كان فكرا تجريبيا بدافع روح القرآن ؛ التي حثت على طلب العلم وتطويره والسير في أرجاء الأرض ؛ لاكتشاف بداية الأشياء ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)).<sup>(3)</sup>

فالعلم - كما يقول محمد الغزالي - " الذي يقبل عليه المسلم ليس علما معيناً محدود البداية والنهاية ، فكل ما يوسع النظر ويزرع السدود أمام العقل الفهم إلى المزيد من العرفان ، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ، ويفتح له آمادا أبعد من الكشف والإدراك ، وكل ما يتيح له السيادة في العالم والتحكم في قواه ، والإفادة من زخائره المكنونة ، ذلك علم ينبغي التطلع والتطلع فيه ، ويجب على المسلم أن يأخذ بهم منه ، وهذا الشمول دلت عليه الآيات والسنة ..."<sup>(4)</sup>

(1) نادية حسين صقر ، العلم ومناهج البحث في الحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1991 ، ص ص 8-9 .

(2) نقلا عن : صلاح الدين بسبوني رسلان ، العلم في منظوره الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص 69-70 .

(3) سورة العنكبوت ، الآية : 20 .

(4) محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ط 8 ، دار الكتب الحديثة ، 1394 هـ ، 1974 م ، ص ص 238-239 .

وشمولية المفهوم الإسلامي للطبيعة والفطرة البشرية ، وإحاطته بالجوانب المختلفة لهذه الطبيعة ، هو الذي يجعل المنظور الإسلامي منظورا علميا متميزا متكاملا ، يقدم قاعدة أصيلة سليمة للنظر والدراسة والتحليل في مجال العلوم الحياتية والاجتماعية ، ويبحث الأمل في عطاء إبداعي أصيل.<sup>(1)</sup> فالنموذج المعرفي الإسلامي تتحدد طبيعته طبقا للإجابة على الأسئلة النهائية أو الكلية ، وهي الأسئلة المتعلقة بالإله والغيب والإنسان والكون والحياة ؛ التي احتوتها قضايا علم العقيدة ابتداء من الإجابة على سؤال الإله وطبيعته ، ووجوده ، ودوره ، والإجابة عليه بالإيمان بالله واحدا أحدا خالقا مدبرا متحكما مالكا .... إلخ ، ومن ثم تتأسس مسلمات الخالقية والمخلوقية ، ويتحدد دور الإنسان في الكون وطبيعته وعلاقته بالله سبحانه<sup>(2)</sup> . وبذلك يدرك العقل المسلم غايات الحياة ومقاصدها ، وغايات الوجود الإنساني ومقاصده .

فالعقل المسلم وفطرته عقل وفطرة مبصرة بنور الوحي وهدايته ، ولذلك فالحقيقة لدى العقل المسلم هي حقيقة موضوعية قائمة يدرك وجودها ويدرك أبعادها ، ويسعى للتفاعل السليم السوي معها ، ومع نواميسها وسننها<sup>(3)</sup> ، والنظام المعرفي الإسلامي يقوم على الإيمان بأن الحقيقة واحدة ، لكن لا يستطيع إنسان منفرد الإمساك بها ، أو ادعاء تمثيلها ، أو احتكارها ، أو الإحاطة بها ، فالحقيقة الواحدة في كل أمر وكل ظاهرة تحتاج إلى طرق متعددة ؛ للوصول إلى شعاع من نورها أو قبضة من ضيائها ، لكنها في جميع الأحوال غير قابلة للإمساك بها ، أو احتكارها<sup>(4)</sup> . والعقل المسلم بهذا موضوعي موضوعية كاملة لا يسيره الهوى ، ولا تحكمه الشهوات ولا تأنف نفسه الحق والصواب ، والفضيلة محرك حياته ، وسعيه هو طلب الحق والحقيقة ، والسعي بهما في الحياة في تناسق وتلاحم وانسجام مع نظام الكون ، ونواميس فطرته وحركته .<sup>(5)</sup>

وفي تاريخ الفكر الإسلامي ، وجدنا مثل هذه اللمسات أو التمثلات للنظام المعرفي - ( المفتوح لجميع إبداعات العقول الإنسانية ) - عند أولئك العلماء الذين اشتغلوا بالفلسفة والمنطق والفقہ وباقي العلوم والمعارف بحثا وتصنيفا ، فتمكنت بفضلهم الحضارة الإنسانية وأشرقت .

(1) عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، مرجع سابق ، ص 174 .

(2) فتحي حسن ملكاوي وآخرون ، نحو نظام معرفي إسلامي ، مرجع سابق ، ص 68 .

(3) عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، المرجع السابق ، ص 137 .

(4) فتحي حسن ملكاوي وآخرون ، المرجع السابق ، ص 69 .

(5) عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، المرجع السابق ، ص 137 .

وكان العلماء في الحضارة الإسلامية أصحاب منهج شمولي - كما رأينا سابقا - في تساوق مع النظام الشمولي للمنهج المعرفي العام ذو الصبغة الإسلامية . فالإسلام يمتاز بهذه النظرة الشاملة وبالترابط والتناسق بين أجزائه ، مع صحة أسسه وسلامة أهدافه ، وهي النظرة التي تنقلنا من الصور المشوهة والمفككة ... وترينا موقع كل جزء ودرجته في الأولوية ونسبته إلى غيره ، ونسبته إلى النظام الكلي<sup>(1)</sup> ، وبذلك يتحقق ما يسمى بإسلامية الرؤية المتكاملة ( النموذج المعرفي ) التي تعني بإدراك البعد المعرفي من محاولات النظر في الواقع .

إن المعرفة في جوهرها هي تجريد نموذج من النص المقدس ( الكلي ) يساعدنا على تفسير الجزئي في إطار الكلي ، وعلى الحكم عليه ، والمسافة التي تفصل القرآن عن الواقع هي مجال الجهد المعرفي ، وهي الدعوة الآلية للاجتهاد .<sup>(2)</sup> والاجتهاد هو إعمال الفكر وتحليل الصيغ واستكناه الأسرار وتوجيه الأفكار ؛ بما يتواءم مع النسق الفكري العام .

وبالتالي فالنشاط المعرفي الإسلامي هو . التوصل إلى مقولات تحليلية ذات مقدرة تفسيرية عالية وتستند إلى النموذج الإسلامي الذي يتضمن القيم الحاكمة الإسلامية ( الإجابة على الأسئلة الكلية والنهائية ، ومقولات تحليلية ذات مقدرة تفسيرية )<sup>(3)</sup> .

وبهذا كان علماء المسلمين أصحاب فكر موسوعي ، وكانوا فلاسفة يمثلون وحدة المعرفة ، مع تخصص كل واحد منهم في ميدان من ميادين المعرفة ، ثم أنهم كانوا "مسلمين علماء" لا "مسلمين وعلماء" يشتغلون بالعلم الطبيعي ويرون في الطبيعة آيات الله ، وكتاب للعلم بالله تعالى<sup>(4)</sup> ؛ وفق مبدأ توحيدي وهو مبدأ معرفي أصيل ينبني عليه النظام المعرفي الإسلامي .

(1) محمد المبارك ، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 34 .

(2) فتحي حسن ملكاوي وآخرون ، مرجع سابق ، ص 52 .

(3) المرجع نفسه ، ص 54 .

(4) صلاح الدين بسبوي ، مرجع سابق ، ص 71 .

وعلى هذا الأساس فإن بناء النظام المعرفي الإسلامي هو إعادة كشف وبناء النظام التوحيدي للمعرفة القائم على جناحين: (1) (\*)

(أ) تفعيل قواعد العقيدة معرفياً ، وتحويلها إلى طاعة معرفية مبدعة ؛ تقدم إجابة شافية عما يطلق عليه (( الأسئلة الكلية أو النهائية )) ، وذلك من خلال الفهم المعرفي لقواعد الإيمان والتركيز على الأبعاد المنهجية لها .

فروية إسلامية المعرفة - اتساقاً مع مقاصد الشرع وخصائص رسالة الإسلام - تقوم على أن هذه القواعد تمثل أسساً للنسق الحضاري والمعرفي الذي ينشده الإسلام ، وهي تدرك في الوقت ذاته أنه ما من هضبة أو حضارة على وجه الأرض قامت أو تقوم إلا على أساس معرفي ومنهجي ، وفي مقدمة تلك الأنساق الإسلام الذي حقق ما حققه بناء على الرؤية الإسلامية للغيب والكون والإنسان والحياة ، وبقية المنظومة الإيمانية ، والعقيدة الإسلامية التي تعتبر هذه الرؤية وأساسها .

(ب) الأساس الثاني الذي يقوم عليه النظام الإسلامي للمعرفة هو كشف الأنساق والنماذج المعرفية التي سادت تاريخ الإسلام ومدارسه الفكرية في مختلف عصوره ، وذلك للربط بين الأنساق المعرفية أو النماذج ؛ وبين الإنتاج الفكري الذي وُجد في تلك العصور لتحديد مدى الاستقامة والفعالية والتجديد والشمول في ذلك الإنتاج ، وتحديد العلاقة بين الأزمة الفكرية التي عاشتها الأمة ؛ وبين الأنساق التي سادت في تلك الفترات ، وتحديد مدى أثر الأنساق المعرفية على تدهور الفكر وتطوره ، ثم محاولة كشف وبيان كيفية استمداد النماذج المعرفية الجزئية من النظام الكلي التوحيدي - الذي سبقت الإشارة إليه - ، وذلك تمهيداً وتوطئة لإمكانية تشكيل نماذج معرفية في مختلف العلوم الاجتماعية والتطبيقية ؛ قائمة على عقيدة التوحيد ، والجمع بين القراءتين ، قراءة الوحي وقراءة الواقع ، مع الاستفادة من النماذج المعرفية التي سادت التراث ، والنماذج المعرفية التي طورها الفكر الغربي أو الإنساني المعاصر . (2)

وبهذا تتأتى الصياغة السليمة للمشروع الحضاري الإسلامي ؛ من خلال بحث القواعد والأسس والعمل على تأسيس مناهج فرعية أصيلة . فسلامة منهج التفكير شرط أساسي للتقدم والتدافع

(1) طه جابر العلواني ، إسلامية المعرفة بين أمس واليوم ، مرجع سابق ، ص ص 19-20 .

(2) وهما الجناحان اللذان يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بفلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي ؛ فالجناح الأول يمثل معظم أساسات وخصائص تصنيف العلوم عند المسلمين ، والجناح الثاني يؤكد على كشف الأنساق المعرفية التي سادت المدارس الفكرية الإسلامية ، وكذا الدعوة إلى تشكيل نماذج معرفية على عقيدة التوحيد . وهي نفسها نتائج تصنيف العلماء المسلمين .

(2) طه جابر العلواني ، المرجع نفسه ، ص 20



الحضاري ، وأي منهج سليم مثمر في التفكير لابد من أن يتسم بصفات الشمولية والتحليل والدقة ، والانضباط والاتساق وتحري الأسباب ، وأن يكون مبنياً على وعي كامل بعنصري الزمان والمكان ، وإدراك لما يجره تقبلها من أوضاع وأحوال.<sup>(1)</sup> وآيات القرآن الكريم الدالة على هذه المعاني صراحة وضمنها والمؤكد لمعزى النظر وقيمتها في النفس ، وفي آفاق الكون وظواهر الاجتماع البشري وحركة التاريخ ؛ كثيرة وميسرة لمن يطلبها.<sup>(2)</sup>

وعلى هذا ؛ فإن الأساس في صياغة وبلورة المنهج المعرفي الحضاري ؛ هو القرآن الكريم أو المصدر المنشئ الذي يقوم على مرجعيته أي عمل علمي حضاري ؛ من خلال قراءة الكون وفق المنظور القرآني وإشاراته المقاصدية ( كمقصد الهداية ومقصد التسخير ومقصد التعلم ) ، وكذا إعمال العقل في ضوء ما يورده القرآن حول دوره في حركية العلوم ، ومن ثم إخضاع النظريات العلمية إلى الإطار المعرفي الذي أسسه القرآن الكريم مبدأ أو غاية .

روى الترمذي في سننه عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قول الرسول (ص) :  
 (( ستكون فتن ، قيل : فما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم وخير ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لا تنتهي الجن إذا سمعته عن أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دُعي إليه هُدي إلى صراط مستقيم )) .<sup>(3)</sup>

(1) عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، ( معارف الوحي : المنهجية والأداء ) ، مجلة إسلامية المعرفة ، المرجع السابق ، ص 90 .

(2) نفس المرجع ونفس الموضوع .

(3) الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل القرآن ، ح 2831 .

# السلامة

جامعة الأمير  
العلم الإسلامي

## الغاية :

بعد أن طوينا فصول هذا البحث ، الذي أتيننا فيه على فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي المؤسسة على الرصد الدقيق والموضوعي لبنية المعارف والعلوم ؛ من خلال تصور إسلامي منتج ؛ ذلك التصور الذي يقوم على مجموعة من المفاهيم الشمولية لقضايا الكون والإنسان ، ما أمكننا بلورة مفهوم عام عن تلك الفلسفة التي تقوم على تأسيس إسلامي لعملية تصنيف العلوم ؛ التي عمدت إلى توثيق النص الديني الذي كانت روحه تسري في تفاصيل أي عمل تصنيفي ، فجاءت تلك النظرة التي توائم بين العقلي والنقلي ، وبين المادي والروحي ، وبين الهداية والمعاش ، وكان الاهتمام الحضاري هو السمة البارزة في النسق المعرفي لتصانيف العلماء المسلمين الذين أبدوا روحا علمية صادقة ؛ من خلال الجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون ؛ كأبرز مقوم من مقومات العلوم التي كان لها أبعاد حضارية بالغة التأثير في مسيرة العلم الإسلامي .

و قد اتضح مما تقدم ؛ أن الفكر الإسلامي قد امتلك ناصية منهجية ؛ ذات رؤية حضارية متكاملة؛ متقومة بروح النص الديني الإسلامي ؛ تلك المنهجية التي ظهرت حيثياتها في تفاصيل الترتيب النسقي لمختلف العلوم التي عرفتها البيئة الفكرية الإسلامية ، وتمثل بجلاء في التوجيه التربوي ؛ الذي أبانه فلاسفة المسلمين وعلمائهم ؛ في صورة المواءمة بين العقل والنقل والوجدان في تناول العلوم ، والعناية بنتائجها التي تتصل اتصالا وثيقا بحياة الإنسان .

وارتبط مفهوم العلم في فلسفة تصنيف العلوم عند المسلمين بمبدأ السعادة والأخلاق ؛ التي هي استحابة لدعوة التوحيد الإسلامي في أبعاده الغائية ؛ التي ترتبط بالكسب والاجتهاد ، وعمارة الأرض والاستخلاف فيها .

فكان للعلم في ذلك ضوابطه وقواعده المنهجية ، التي صاغتها خيرات علماء المسلمين في نظرتها العميقة المستلهمة للنص الديني الإسلامي ، والمتفتحة على خيرات الآخرين وإنجازاتهم .

وبلا شك ؛ فقد أثرت تلك النظرة في مسيرة الحركة العلمية الإسلامية ، وأسست لفلسفة علمية رصينة ذات أبعاد إسلامية حضارية .

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نجمل النتائج العامة للبحث فيما يلي :

- إن دراسة الفكر الفلسفي الديني ، والنتائج العلمي الوضعي للحضارة الإسلامية تقتضي بلورة الإطار الصحيح لهذا النوع من العمل ، فمن غير الممكن فصل أي ناتج فكري عن أصوله التاريخية

لما يحمل في طياته من معالم الإرث الثقافي المتراكم عبر العصور في بيئته الجغرافية والطبيعية والاجتماعية ، ومبحث تصنيف العلوم من ذلك البحث الفلسفي العام الذي يقر بتدخل الأبعاد الإيديولوجية و الأخلاقية ؛ التي تعكس كل الخصائص الفكرية والثقافية .

- إن تقسيم العلوم وتصنيفها ؛ من الأعمال المهمة التي لا يستغني عنها الفلاسفة والعلماء ؛ من أجل تنظيم بناهم الفكرية وآراءهم ، فتصنيف العلوم يتأثر بالنظرة العلمية والفلسفية ، وبالعصر والزمان ، وبذلك نستطيع أن ندرك آراء واضعه وأفكاره وعقائده ، وكذا سيرورة الحركة العلمية في الزمان والمكان .

- كان استخلاص المسلمين من مزجهم الثقافتين اليونانية والإسلامية فلسفة مستقلة ومتميزة ؛ اتسمت بتقدير العلم والدين معا ، وعالجوا العلوم على اختلافها ، وأضافوا إليها الكثير من الحقائق ، وصححوا فيها الكثير من المعلومات وأدخلوا على أساليب الدرس والاختبار والتجارب العملية تحسينات جمة ؛ خلصوا فيها إلى جملة من الاستنتاجات والمكتشفات العلمية ؛ التي كانت مقدمة لكثير من التطورات العلمية الحديثة ، ودونوا ذلك في كتبهم ، ومنها الكتب الموسوعية التي عنت بترتيب العلوم وتصنيفها .

- وكان الدافع الأول الذي حمل المسلمين على تعلم العلوم المختلفة من شتى المصادر اليونانية والمصرية والهندية هو وصية الإسلام بذلك في جميع الأحوال ، فكان للقرآن الكريم في الحضارة الإسلامية دورا محوريا ؛ فهو النص الأساسي الذي ساهم في تشكيل هذه الحضارة .

- جاءت المعرفة في النظرة الإسلامية مقترنة تماما بالإيمان والعمل ، فإذا كان العمل سعيا وسلوكا وتطبيقا للإمكانيات المتاحة ؛ فإن الإيمان إذعان للحقائق واعتراف بها ، وعلاقة العلم والمعرفة والقرآن في المنظور الإسلامي إنما هي علاقة اتساق واتفاق وانسجام ، وليست علاقة تعارض وتنافر .

- ذلك التصور الإسلامي الذي يتكامل فيه الوحي والعقل والكون ، فالتأليف بين العقل والواقع لا يتم إلا بالمنهج الإلهي ؛ الذي جاء بالقول الفصل في كل قضايا الإنسان ليقود حركة الحياة بقوانين ثابتة ؛ يتخذ منه العقل وسيلة مقنعة للوصول إلى الحقيقة الكبرى ضمن دائرة نسبيته ومحدوديته .

- إن الغاية المثلى التي تأسس من أجلها العلم هي الغاية التي تنشأ الخير للإنسان ونفعه ، فإذا كان العلم بالكون مما يراد به إلحاق الضرر ، أو السبب في الفساد لا يعدو من العلم بالكون ، ولذلك

فإن العديد من المصنفين المسلمين للعلوم نهبوا إلى قسم منها ، ووصفوه بالعلم المذموم ، وأخرجوه من دائرة العلم الكوني بالمفهوم الإسلامي .

- وعلى العكس من تصنيف العلوم عند المسلمين ؛ اعتبر مصنفوا العلم الغربيون العالم المادي موجود ككل ، ولم يروا حيزاً أو مجالاً لله في النظام الطبيعي ، ولذلك اعتبروا الحقائق الروحية إما غير واقعية أو ناقصة بالنسبة للمادة ، وبذلك خلعت العلوم في الفكر الغربي عن القيم الحيادية ، ولعب علم الأخلاق دوراً منفعياً ، فسارت العلوم من أجل السيطرة ومناورة الطبيعة والمجتمع .

- لقد ثبت في ميدان تصنيف العلوم -بما لا يدع مجالاً للشك- اختلاف منهج العلم عند المشتغلين به ، ذلك المنهج الوثيق بمعتقدات العالم الباحث المفسر ، المنهج الواثق بأرائه الفلسفية وقيمه الخلقية ، وأهدافه الذاتية ، وبيئته الثقافية ، وهو المنهج الذي اعتمده العلماء المسلمون في مجمله مستنداً إلى قيم الوحي وكذا التبادل المعرفي ، والتفاعل الثقافي والحضاري في إطار العالمية .

- وتقرر في العمل التصنيفي للعلماء المسلمين أوصاف : الخدمة ، والعمل ، والمنهج ، فالعلم خادم لغیره ووظيفته تتحدد بآليات وكيفيات العمل ، ولن يتحقق ذلك إلا بطرائق منهجية باشرها المفكرون المسلمون .

- وما تجدر الإشارة إليه ؛ أن منهج المفكرين المسلمين في مجال تصنيف العلوم اعتمد مبدأ التراكم المعرفي أو التداخل المنهجي المعرفي ؛ فقد كانت كل محاولة تقريبا في تقسيم العلوم متأسسة على سابقتها ، متفاعلة معها .

- وقد أثمر هذا المنهج فكرة توحيد العلوم ؛ حيث أصبحت العلوم كلها في دائرة الثقافة الإسلامية على شاکلة من الوحدة والتآلف ، وكان هذا المبدأ في توحيد العلوم مبنياً على وحدة الفكر العقدي ؛ الذي يطبع العقل في سعيه العام ؛ حيث يجري على مبدأ موحد في التفسير والتحليل ؛ فإذا هو يرجع كل الظواهر والأحداث إلى ذلك المبدأ .

- وعلى هذا الأساس أقر العلماء والمفكرون المسلمون بمشروعية تفاعل العلوم بعضها مع بعض ، ومن ثم ساهم هذا التفاعل والتداخل بين العلوم إلى توجه التعليم والتأليف نحو الموسوعية .

- واستند العمل التصنيفي عند المسلمين على مجموعة من الوظائف العقلية ، والدينية ، وكذا التربوية ، وتمثل توجه التربوي بأبرز معالمه في الفترة الأخيرة من الاكتمال والنضج لمختلف العلوم فبرز الكثير من المصنفين الذين وضعوا أسسا وقواعد وشروطاً لعملية التعليم والتعلم ؛ مادام أن العمل التربوي هو سعي متواصل في صميم النشاط الحضاري للأمة .

- وهكذا يتحدد العمل التربوي في المنهجية الفكرية الإسلامية ؛ الذي تتكامل فيه العلوم العقلية والعلوم الشرعية في تقويم منهج التفكير ، من أجل تحقيق منهج الخلافة ؛ الذي ينطلق من رؤية حضارية شاملة تنبع من روح التوجيه الإسلامي الذي يعنى بالكمال الإنساني .

- وهكذا اكتسبت المنهجية العلمية في تصنيف العلوم معنيين هما : المنهجية في إطارها الوضعي ، والمنهجية في إطارها الإسلامي ؛ فالمنهجية في الإطار الحضاري الإسلامي تجتاز حدود المعرفة في إطار الفهم الكلي للوجود ، ومن ثم نجد أن المنهجية الإسلامية تعالج نوعي المعرفة العلمية والإيمانية ، وينعكس ذلك في اتخاذ الإسلام وتعاليمه منهجا للحياة التي تخضع لقوانين وسنن طبيعية سخرها الله لخلقه .

- لقد تميزت فلسفة تصنيف العلوم بإنتاج معرفي تميز بالعقلانية ، والواقعية ، والشمولية ، والتوحيدية ، والموضوعية ، إضافة إلى المعيار الأخلاقي الذي يشمل الجميع .

- ولعل أبرز نتيجة معرفية لفلسفة تصنيف العلوم هي تأسيس منهج علمي إسلامي ذو خصائص فكرية ثقافية كان لها الدور الكبير في الحركة العلمية الرائدة ؛ التي شهدتها القرون الذهبية للحضارة الإسلامية ؛ التي ما زالت تنتظر استئناف بنائها .

- وفي تصور منا لذلك الاستئناف الحضاري ، نجمل بعض التوصيات التي يمكن بها بلورة منظور استشرافي لعمل حضاري جاد :

### \* التوصيات

إذا كان العالم الإسلامي يعيش منذ أمد بعيد في حالة تخلف حضاري ؛ فإن ما يتربع على قمة هذا التخلف هو التردّي العلمي والتقني ، والجمود والبطء في حركة الاجتهاد إزاء قضايا الدين ومستحدثات الحياة ، إضافة إلى التبعية الفكرية و التقنية .

ولا مناص من هذا التردّي سوى حركة لإحياء المعرفة والعلم ؛ باستنفار مشروع نهضة علمية أو ثورة معرفية تبدأ بالقضاء على الأمية (بمختلف أشكالها) والارتقاء بمستوى التعليم وتوظيف المعرفة ولن يتأتى ذلك إلا بـ:

- العودة إلى التراث الإسلامي قراءة وتمحيصا ونقدا ، وتمثّل كسوب المسلمين وتبنيها ، والاستفادة من تجاربهم الفكرية والعملية المدونة في علومهم ، وعاداتهم ، وأعرافهم ، وذلك بالتوجه إلى تلك التجارب توجهها حرا...

- تأصيل الفكر المنهجي من خلال العودة إلى الجذور الأساسية ، والتمكن من العلوم الأصيلة لتراثنا وتمثلها ومن ثم استئناف البناء على الأصول الحضارية والثقافية الإسلامية .
- الوعي بالمادة ومصادر التنظير المنهجي ، والوعي بالإمكانات المنهجية الغربية ومراجعتها ، في سبيل بناء منهجية متكاملة .
- وصل العلوم الكونية والاجتماعية بالمنهج الإلهي الذي سارت عليه البواكير الأولى للحضارة الإسلامية أساسا وتطبيقا ؛ من خلال الجمع بين معارف الوحي وأدائها الحضاري .
- ترجمة الوعي المنهجي الإسلامي في العمليات الإجرائية المتعلقة بالبحث العلمي ، مع التركيز على الداعي العقائدي الشامل لمناحي الحياة الإنسانية .
- التحقق بالعمل التربوي كجزء لا يتجزأ من النظام المعرفي الإسلامي ؛ في تفعيل النشاط العلمي وتوجيهه في مختلف أطوار التعليم .
- التمكين لمبدأ وحدة العلوم وتكاملها ؛ وفق المنهج الشمولي ، مع التركيز على مبدأ التكامل بين العلوم ، وتفعيله في المناهج الجامعية .
- إعادة بعث العلوم المنهجية وتشغيلها في بعث الحركة العلمية ، مع تكثيف الدراسات المتعلقة بنظرية المعرفة الإسلامية الأصيلة كنماذج يمكن بها الإنعتاق من المأزق الحضاري ، والتحرر من الأزمة المعرفية .

# الفهارس

جامعة الأمير  
المؤلفون  
الموضوعات  
الإسلامية



## فهرس الآيات القرآنية والآيات النبوية

## 1- الآيات القرآنية

## المصاحف

- ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ سورة البقرة ، الآية : 185 ..... 249
- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ .سورة آل عمران ، الآية : 30 ..... 250
- ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ .سورة آل عمران ، الآية : 85 ..... 250
- ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سورة يونس ، الآية : 101..... 12
- ﴿وَفَرَّقَ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ سورة يوسف ، الآية : 76 ..... 22
- ﴿وَكَايْنِ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا...﴾ سورة يوسف ، الآية : 105 ..... 12
- ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سورة الإسراء ، الآية : 85 ..... 22
- ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ سورة طه ، الآية : 50 ..... 24
- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ سورة الأنبياء ، الآية : 22 ..... 24
- ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ...﴾ سورة المؤمنون ، الآية : 91..... 19
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ سورة المؤمنون ، الآية : 115 ..... 24
- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ .سورة العنكبوت ، الآية : 20 ..... 273
- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ سورة العنكبوت ، الآية : 43 ..... 12
- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ﴾ . سورة الروم ، الآية : 8 ..... 24
- ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ سورة الروم ، الآية : 30 ..... 249.253
- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ سورة فاطر ، الآية : 28 ..... 248/33
- ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا...﴾ سورة يس ، الآية : 36. .... 24
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ سورة ص ، الآية : 27 ..... 24
- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الزمر ، الآية : 9..... 33
- ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ سورة الزمر ، الآية : 18 ..... 12
- ﴿سُرْرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ...﴾ سورة فصلت ، الآية : 53..... 49
- ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ سورة فصلت ، الآية : 3- ..... 250

- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ سورة الرحمان ، الآية : 3-4 ..... 249
- ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ سورة المجادلة ، الآية : 11..... 14
- ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ سورة الحشر ، الآية : 2..... 21
- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ..﴾ سورة الجمعة ، الآية : 2 ..... 25
- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . سورة الملك ، الآية : 1-4 ..... 50
- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ سورة الأعلى ، الآية : 3-12. .... 253
- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ...﴾ سورة الغاشية ، الآية : 17-20 ..... 11

## 2- الآيات النبوية

- عن طلحة بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : مررت مع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقوم على رؤوس النخل..... 45-46

## فهارس الأعلام

الصفحات	الأسماء
221	- طه عبد الرحمان
/97/72/71/68/67/66/50/36	- أرسطو
/107/106/102/101/99/98	
127/126/117/116/109/108	
/102/101/52/50/49/30	- الفارابي أوزلع بن طرخان (339هـ)
/107/106/96/104/103	
109/108	
	- طاش كبرى زادة (968هـ)
207/205/194/193/174/55/49	
/218/216/215/212/211/209/	
239/231/228//225/224/219	
73/72/66/63/60/50	- أفلاطون
117/116/92/83/	
	- الكندي أبوإسحاق يعقوب (252هـ)
/99/98/97/96/50/36	
266/261/126/125/120	

- ابن سينا أبو علي الحسين بن عبدالله (428هـ)

96/38/39/54/50/

/114/113/112/

/136/128/125/117/116/115

269/266

- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (505 هـ)

132 /131/54/50/31/30

/138/137/136/134/133/

/170/169/142/140/139

231/228/171

53/ 50

- ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق (438هـ)

- ابن الأكفاني شمس الدين محمد ابراهيم

بن ساعد الأنصاري (749هـ)

151/150/149/131/55/50

225/219/172/171/161/156/155/152/

- حاجي خليفة (1067هـ)

/213/212/174/55/50

225/220/219/218/217/216/215/214

- التهانوي محمد بن علي ابن القاضي - 1158هـ

56/50/24

- 77/5 - فرنسيس بيكون -1626م -
- 265/78/
- 90/86/51 - أوغست كونت -1857م -
- 91/83/51 - أندري أمبير -1873م -
- 90/88/51 - هربرت سبنسر -1903م -
- 92/81/80 - رينيه ديكارت -1650م -
- 96/119/118/53/52 - إخوان الصفا
- 227/129/128/125/123/122/
- 53 - روزنتال
- جابر بن حيان أبو موسى -200هـ -
- 260/259/257/52/ 37
- محمد بن موسى الخوارزمي -232هـ -
- 260/259/257/52/ 37
- 224/54 - ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي -456هـ -
- 226/5 - فخر الدين الرازي 606هـ -
- 54 - علاء الدين الخوارزمي ، ابن الساعي الأملّي ، الأبيوري
- 55 - عبد الرحمان بن خلدون -1406هـ -
- /179/176/175/174/91
- 188/187/185/184/182/181/180
- /213/212/191/190/189/
- /231/228/225/218/217/
- 30/28 - الجرجاني عبد القاهر -471هـ -

- 28 - صديق خان القنوجي 1307--هـ
- 29 - توفيق الطويل
- 30 - زكي نجيب محمود/عبد الحميد بن باديس
- /37/33 - ابن رشد أبو الوليد - 608هـ
- 31 - مالك بن نبي
- 265/33 - زيغريد هونكه
- 171/170/148/145/131 - أبو حيان التوحيدي - 414هـ
- 266 - عمر الخيام - 526هـ
- 270 - عز الدين الجلكي ، ابن الخاتمة ، ميرلهوف كريستوفر داوس
- 273 - محمد الغزالي
- 277 - علي بن أبي طالب
- الادريسي ، روجر الثاني ، الدوميلي ،
- 267 - أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء
- ابن اللباد ، ابن النقطة ، ابن أبي أصيبعة عبد الرحمان الخازني ، عبد
- 268 اللطيف بن يوسف البغدادي ، رشيد الدين السوري ، ابن البيطار
- جورج سارتون ، وليام هارفي 269
- عبد الرحمان الثاني ، عبد الرحمان الثالث ، محمد بن أبي عامر ، هشام
- 34 بن عبد الملك
- 36 - فؤاد سيزكين
- 266/265 - اقليدس
- 265 - بطليموس
- 266/265/264/257/37 - ابن الهيثم أبو علي - 430هـ

- 37 - ثابت بن قرة الحراني
- أحمد محمد السجستاني ، الشريف الادريسي ، ابن بطوطة، المسعودي -
- 38 - أبو بكر الرازي ، عباس الزهراوي ، هالر
- 269/39 - ابن النفيس -637هـ-
- 269/268/39 - جالينوس - 210 م -
- 39 - مصطفى السباعي
- 273/10 - سيد حسين نصر
- 15 - عبدالله بن عباس-687م -
- 76 - إيمانويل كانط - 1804م-
- 88 - داروين تشالز-1882م-
- 264/263 - أبو الوفاء البوزجاني - 388 هـ -
- الوليد عبد الملك ، أبي الحكم الدمشقي ،
- معاوية بن أبي سفيان ، الحجاج بن يوسف الثقفي ،
- 259 الطبيب مريانوس ، تياذوق ، خالد بن يزيد
- بنو موسى بن شاعر (أحمد ومحمد والحسين)
- أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري ، عباس بن فرناس
- 262 أبو حسن علي بن الحسين المسعودي-346هـ
- 261 - روبرت أوف شستر
- 138 - أبو طالب المكي
- 229 - أبو الحسن علي الحسيني الندوي
- 243/242 - عبد الوهاب المسيري
- 266/264/257 - البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد -440هـ-

- 258 - غوستاف لويون  
 - أبو القاسم بن أحمد المجريطي ، برستلي ، لافوازيه ،  
 264 عبد الرحمان بن يونس المصري ، كوبرنيكوس  
 265 - روجر بيكون ، باكوفون فارولام ، ليوناردودافنشي ، فيتلو  
 266 - خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



## فهارس الأشكال التوضيحية

الصفحات	الأشكال
63.....	- موضوعات المعرفة عند أفلاطون
69.....	- موضوعات المعرفة عند أرسطو
79.....	- موضوعات المعرفة عند بيكون
82 .....	- تمثيل ديكارت للمعرفة
85 .....	- تقسيم العلوم عند أمبير
87 .....	- تقسيم أوغست كونت للمعرفة
110.....	- العلوم عند الفارابي من خلال كتاب إحصاء العلوم
111.....	- تصنيف العلوم عند الفارابي
125.....	- تقسيم إخوان الصفا للمعرفة
145-144 .....	- رسم بياني للعلم عند الغزالي
168 -163.....	- تقاسيم العلوم عند ابن الأكفاني
183.....	- رسم بياني للعلوم الثقيلة عند ابن خلدون
192.....	- تصنيف العلوم الإنسانية عند ابن خلدون
251.....	- البنية العقديّة الإسلاميّة
271.....	- منحى توزيع العلماء المسلمين والغربيين

## قائمة المصادر والمراجع

### 1- المصادر:

- القرآن الكريم (برواية حفص) .

1- ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، دط، دت  
- ابن الأکفاني محمد بن ابراهيم ساعد الأنصاري ، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم ، تحقيق عبد المنعم محمد عمر ، دار الفكر العربي ، دط ، دت .

2- ابن النديم محمد بن إسحاق ، الفهرست ، (ج1) ، دار المعرفة ، بيروت ، دط ، 1398 هـ ، 1978 م .

3- ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، تح : إحسان عباس ، ط مطبعة الخانجي ، القاهرة ، دت .

4- ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، ط2 ، مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت 1979 .

5- ابن منظور ، لسان العرب ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1997 .

6- أبو حامد الغزالي ، الرسالة اللدنية ، تح ، محمد الدين صبري الكردي ، ط2 ، 1343 هـ .

7- أبو حامد الغزالي ، المتقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال ، تح : جميل صليبا ، كامل عياد ، ط11 ، دار الأندلس ، دت .

8- أبو حامد الغزالي ، كتاب فاتحة العلوم ، المطبعة الحسينية المصرية 1322 هـ .

9- أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ط1 ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، دط، دت .

10- أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ط1 ، دار العلم ، بيروت ، دط ، دت ، مج 1 .

11- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة بيروت، 1413 هـ .

- أبو حيان التوحيدى ، رسالة أبي حيان في العلوم ، تح : مارك بيرجة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، دط ، دت .

12- أبو علي الحسين ابن سينا ، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات والإلهيات ، طبعة القاهرة 1326 ، هـ 1908 م .

13- أبو علي الحسين ابن سينا ، منطق المشركين، المكتبة السلفية، القاهرة، 1910 .

- 14- أبو نصر الفارابي ، إحصاء العلوم ، تح ، عثمان أمين ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1968 .
- 15- أبو نصر الفارابي،تحصيل السعادة ، تح: جعفر آل ياسين ، ط1 ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، 1401هـ-1981م .
- 16- أبو نصر الفارابي،كتاب التنبيه على سبيل السعادة، تح جعفر آل ياسين، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1405 هـ 1985م .
- 17- أحمد بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة بيروت . دط . دت .
- 18- إخوان الصفا وخلان الوفا ، الرسائل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت1957 .
- 19- أرسطو ، منطق أرسطو ، تحقيق عبد الرحمان بدوي ، ، ط1 ، وكالة المطبوعات ، الكويت .
- 20- التهانوي محمد بن علي ابن القاضي ، كشاف اصطلاحات الفنون تح ، لطفي عبد البديع مكتبة النهضة المصرية ، الهيئة العامة للكتاب ، 1972 .
- 20- الجرجاني علي بن محمد بن علي ، التعريفات، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1405هـ
- 21- المرعشي محمد بن أبي بكر ، ترتيب العلوم ، تحقيق محمد بن اسماعيل ، ط1 ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت 1988 .
- 21- المنجد في اللغة والأعلام ، ط26 ، دار المشرق ، بيروت ، دت .
- 22- أفلاطون ، جمهورية أفلاطون : تر : حناخجاز ، ط2 دار القلم ، بيروت ، 1980 .
- 23- إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، تر:عبد الرحمان بدوي ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980 .
- 24- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري 1978 .
- 25- جلال محمد موسى ، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دط، دت .
- 26- حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ، تح : محمد شرف الدين بالفتايا ط3 ، المطبعة الإسلامية ، طهران 1387 هـ ، 1967 م .
- 27- رينيه ديكارت ، مبادئ الفلسفة ، تر . عثمان أمين ، دار النهضة المصرية القاهرة60 .

- 28- رينيه ديكرت ، مقال عن المنهج لإحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم ،  
تر: محمود محمد الخضير المطبعة السلفية ومكبتها ، القاهرة ، 1930 .
- 29- طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري  
وعبد الوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، 1968 .
- 30- محمد بن موسى الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دط ، دت

## 2- المرجع

- 31- أبو العلاء عفيفي ، المنطق التوجيهي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1948 .
- 32- إبراهيم أحمد عمر، العلم والإيمان (مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام)، ط3، الدار العالمية  
للكتاب الإسلامي، الرياض، 1415هـ-1995م.
- 33- أحمد عبد الحليم عطية ، تصنيف العلوم عند العرب ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، دت.
- 34- أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، ط1 ، كلية العلوم جامعة القاهرة ،  
1404 هـ 1984 م.
- 35- أحمد علي الملا ، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ،  
1401 هـ ، 1981 .
- 36- أحمد عروة ، العلم والدين (مناهج ومفاهيم) . ط1 ، دار الفكر، دمشق، 1408 هـ-1987 م.
- 37- أحمد فؤاد باشا ، دراسات إسلامية في الفكر العلمي ، ط1 ، دار الهداية للنشر والتوزيع  
1997 .
- 38- الربيع ميمون ، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية المطلقة ، ش .و. ن. ت الجزائر  
1980 .
- 39- أنور الجندي ، الفكر الغربي ، دراسة نقدية ، ط1 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،  
الكويت ، 1407 هـ ، 1987 م.

- 40- برهان غليون ، اغتيال العقل (محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية)، ط3، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، المغرب ، 2004م.
- 41- بناصر البعزاتي ، التقليد والتجديد في الفكر العلمي ، ط1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 2003.
- 42- بول غليونجي وآخرون ، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ، دار مطابع المستقبل ، دط ، دت.
- 43- جبريل سيبي وبول جلني ، مشكلات ما بعد الطبيعة ، تر : يحي هويدي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1961.
- 43- توفيق الطويل، قضايا من رحاب الفلسفة والعلم ، دارالنهضة العربية، القاهرة، 1986.
- 44- محمد السرياقوسي ، التعريف بالمنطق الصوري ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية 1975.
- 45- جلال مظهر ، الحضارة الإسلامية أساس التقدم الحديث ، مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، دط ، دت.
- 46- جميل صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1981.
- 47- جميل صليبا ، دروس الفلسفة (المنطق) ، مكتبة العلوم والآداب ، دمشق ، 1944.
- 48- جورج سارتون ، تاريخ العلم ، دار المعارف ، القاهرة ، دط ، دت.
- 49- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، تر : عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، دت.
- 50- جون ديوي ، المنطق (نظرية البحث) ، ط2، دار المعارف، القاهرة 1969م .
- 51- حسام الألوسي ، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م
- 52- حسن الشرفاوي ، المسلمون علماء وحكماء ، ط1 مؤسسة مختار 1978
- 53- خالد الحديدي ، فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة العلوم ، ط1 ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة، 1969.
- 54- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي ، ط6، درا الشروق ، بيروت . 1980
- 55- زيفريد هونكة ، شمس الدنيا تسطع على أوربا ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ط6 ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت 1401هـ.

- 56- ستيفن دي شافرزمان ، التفكير العلمي النقدي والمنهج العلمي ، ترجمة فاضل التركي ، منشورات جامعة ميامي ، قسم الجيولوجيا. د. ط. دت.
- 57- سعد الدين سيد صالح ، البحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية) ، ط 2 ، مكتبة الصحابة ، جدة 1414 هـ ، 1993 م.
- 58- سيد حسين نصر ، العلوم في الإسلام ، ترجمة مختار الجوهري ، دار الجنوب تونس ، 1987.
- 59- سيد حسين نصر ، مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية ، تر : سيف الدين القصير ، ط 1 ، الحوار للنشر والتوزيع ، 1991.
- 60- سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار القرآن الكريم 1978 .
- 61- سيد نور بن سيد علي ، التصوف الشرعي (الذي يجهله كثير من مدعيه ومنتقديه) ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421 هـ ، 2000 م.
- 62- شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1996.
- 63- صلاح الدين بسيوني رسلان ، العلم في منظوره الإسلامي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1989.
- 64- طارق صالح الزبيدي ، مفهوم البحث العلمي عند العرب ( بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب ) ، ط: بيت الحكمة ، بغداد 1989.
- 65- طه جابر العلواني ، إسلامية المعرفة بين أمس واليوم ، ط 1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة ، 1417 هـ ، 1996 م.
- 66- طه عبد الرحمان ، العمل الديني وتجديد العقل ، ط 3 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2000 م.
- 67- طه عبد الرحمان ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، ط 2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، دت.
- 68- عباس محمود العقاد ، أعلام الإسلام الفارابي ، دائرة المعارف الإسلامية ، دط ، دت.
- 69- عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ط 2 ، دار المعارف القاهرة ، 1963.
- 70- عباس محمود العقاد ، فرنسيس باكون ، مجرب العلم والحياة ، المكتبة العصرية بيروت ، دط ،

- 71- عبد الرحمان محمد العيسوي وعبد الفتاح محمد العيسوي ، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث ، دار الراتب الجامعية ، 1996.
- 72- عبد الحفيظ حسين خن ، العلم والحضارة في الإسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، دط ، 2001.
- 73- عبد السلام بنعبد العالي ، الفلسفة السياسية عند الفارابي ، ط 1 ، دار الطليعة بيروت 1979.
- 74- عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، ط 1 ، دار القارئ العربي ، القاهرة ، 1991.
- 75- عبد الحميد أبو سليمان ، قضايا في الفكر الإسلامي ، ط 2 ، دار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، 1995.
- 76- عبد الحميد بن باديس ، التفسير ، مطبعة المؤسسة الوطنية للشؤون المطبعية، الرغاية الجزائر 1993.
- 75- عبد العزيز بن عبد الرحمان الربيعة ، البحث العلمي ، ط 2 ، مركز البحوث التربوية ، الرياض 1420 هـ ، 2000 م .
- 76- عبدالمجيد عمر النجار ، خلافة الإنسان بين الوحي و العقل، (بحث في جدلية النص والعقل والواقع ) ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993.
- 76- عبد المجيد عمر النجار، عوامل الشهود الحضاري ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999 م.
- 77- عبد المجيد عمر النجار ، فقه التحضر الإسلامي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1999.
- 78- عبد المجيد عمر النجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1992 .
- 79- عبد الوهاب المسيري ، العالم من منظور غربي ، دار الهلال ، القاهرة ، 2001.
- 80- عبد الوهاب المسيري ، إشكالية التحيز : (رؤية معرفية ودعوة للاجتهد ) ، المقدمة ، فقه التحيز ، ط 3 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا .و.م.أ ، 1998.
- 81- عبده فراج ، معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، القاهرة 1389 هـ .

- 82- علي عبد الله الدفاع ، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1997.
- 83- علي بن عبد الله الدفاع ، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية ، ط2 ، دار الطليعة 1993.
- 84- علي بن عبد الله الدفاع ، رواد علم الطب في الحضارة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1998.
- 85- علي جمعة وآخرون ، بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية ، ط1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومكتبة المعهد بالقاهرة ، 1998.
- 86- علي حسين الجابري ، فلسفة التاريخ والحضارة في الفكر العربي ، ط1 ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن 2005.
- 87- علي عبد المعطي محمد ، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية ، بيروت ، 1984 .
- 88- عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1966 .
- 89- عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1981 .
- 90- عمر فروخ ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ط5 ، المكتبة العصرية، بيروت، 1989م .
- 91- غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، دت.
- 92- فؤاد سيزكين ، أسباب ركود الحضارة الإسلامية ، المطابع الأهلية ، الرياض 1403هـ.
- 93- فتحي حسن ملكاوي وآخرون ، نحو نظام معرفي إسلامي ، ط1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، مكتب الأردن ، 1420هـ ، 2000م.
- 94- فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح العلي ، ط2 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983 .
- 95- قدرى حافظ طوقان ، مقام العقل عند العرب ، دار القدس للطباعة والنشر ، بيروت ، دط ، دت.



- 96- مالك بن نبي ، فكرة كومونولث إسلامي ، ط دار الفكر دمشق 1990.
- 97- ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985.
- 98- محمد البهي ، الدين والحضارة الإنسانية ، ط2 ، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت ، القاهرة) ، 1394 هـ ، 1974 م .
- 99- محمد الصادق عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1976-1977.
- 100- محمد العربي ، المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عند العرب ، ط1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت 1994.
- 101- محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ط8 ، دار الكتب الحديثة ، 1394 هـ ، 1974.
- 102- محمد المبارك ، الإسلام والفكر العلمي ، ط1 ، دار الفكر بيروت 1978.
- 103- محمد المبارك ، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث ، دار البعث ، قسنطينة 1989.
- 104- محمد حبش ، المسلمون وعلوم الحضارة ، ط1 ، دار المعرفة ، دمشق ، 1412 هـ ، 1996 م .
- 105- محمد سعيد رمضان البوطي ، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، ط3 ، دار الفكر ، دمشق ، 2000 م .
- 106- محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي ( أرسطو والمدارس المتأخرة ) ، ط3 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1976 .
- 107- محمود زيدان ، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين ، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، 1989 .
- 108- مراد هوفمان ، خواء الذات والأدمغة المستعمرة ، تعريب عادل المعلم ونشأت جعفر ، ط1 مكتبة الشروق الدولية، 2002.
- 109- مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، دار الصديقية ، الجزائر 1980.
- 110- مصطفى النشار ، نظرية العلم الأرسطية ، دراسة في منطق المعرفة العلمية عند أرسطو ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995.

- 111- مهدي فضل الله ، العقل والشريعة (مباحث في الايستمولوجيا العربية الاسلامية ) ط1 ، دار الطليعة ، للطباعة والنشر ، بيروت 1995 .
- 112- مهدي فضل الله ، مدخل إلى المنطق التقليدي ط2 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1979 .
- 113- مصطفى النشار ، نظرية المعرفة عند أرسطو ، ط1 ، دار المعارف 1985 .
- 114- موريس بوكاي ، التوراة والأنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث ، ترجمة على الجوهري ، مكتبة القرآن ، القاهرة 1999 .
- 115- نادية حسين صقر ، العلم ومناهج البحث في الحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1991 .
- 116- ناصر محمد السويدان ، التصنيف في المكتبات العربية دراسة مقارنة لأنظمة التصنيف العالمية دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1982 .
- 117- ندم الجسر ، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، دط ، دت .
- 118- نوال صراف الصايغ ، المرجع في الفكر الفلسفي (نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقي والتفكير العلمي) ، دار الفكر العربي ، بيروت ، دط ، دت .
- 119- ياسين خليل ، منطق المعرفة العلمية ، (الجزء الأول من نظرية العلم) ، منشورات الجامعة الليبية ، 1971 .
- 120- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت .

## المصادر:

- 121- عبد الحميد أبو سليمان ، (معارف الوحي بين المنهجية والأداء) ، مجلة إسلامية المعرفة عدد 09 ، السنة الثالثة ، ربيع الأول 1418 هـ ، 1997م .
- 122- عبد الرحمان البهلول ، الإسلام دين العلم والمعرفة ، مجلة منبر الإسلام ، ع رجب 1407 هـ .
- 123- عليش لعموري ، تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي عند "الغزالي" و"الفارابي" و"ابن خلدون" دراسة تحليلية نقدية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 1995 - 1996 .

- 124- فؤاد سيزكين ، أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، معهد التراث العلمي. جامعة حلب 1977.
- 125- محمد الدمرداش، مسيرة الفكر العلمي، مجلة المنهل ، ع 452 رجب 1407هـ، الحلقة الثالثة. - محمد حسن كاظم الخفاجي ، مقدمة في التراث الحضاري لتصنيف العلوم ، مجلة المورد العراقية ، المجلد السادس ، العدد الرابع 1977.
- 126- محمد سيد علي بلاسي ، دولة العلماء إلى أين ؟ ، جريدة أخبار العالم الإسلامي . العدد 956.

### باللغة الإنجليزية

- 127 -knowledge and guide to the new encyclopedia britannica propedeada .10.britanica 1998 , Chicago , encyclopedia
- 128 - sarton(george)introduction to the history of science , vol ip baltimoure, 1927,p128
- 129 -The Encyclopedia of World History, Sixth edition , Peter N. Stearns, general editor, Published by Houghton Mifflin company (2001) .

العلوم الإسلامية

## فهرست البحث :

العناوين	الصفحة
الإهداء .....	00
شكر وتقدير .....	00
المقدمة .....	01
<u>الفصل الأول : العلم وتصنيف العلوم</u> .....	08
المبحث الأول : العلم وفلسفته في المنظور الإسلامي .....	09
مدخل .....	10
تمهيد .....	10
1.1 - الإسلام والعلم .....	11
2-1 - العقل وقيمته في القرآن الكريم .....	13
3-1 - المعرفة في التصور الإسلامي .....	14
4-1 - مصادر المعرفة في المنظور الإسلامي .....	15
5-1 - منطلقات المنظومة المعرفة الإسلامية .....	18
6-1 - معالم منهج التفكير العلمي الإسلامي .....	23
المبحث الثاني : مفهوم العلم وتاريخه عند المسلمين .....	27
تمهيد .....	28
2-1 - العلم : المصطلح والمفهوم .....	28
2-2 - تاريخ العلم عند المسلمين .....	32
3-2 - نماذج من تاريخ العلماء المسلمين .....	36
المبحث الثالث : تعريف تصنيف العلوم وأنواعه .....	41
تمهيد .....	42
3-1 - التعريف اللغوي للتصنيف .....	42

- 42..... 3-2- التعريف الإصطلاحي للتصنيف
- 43..... 3-3- التعريف العلمي والمنطقي للتصنيف
- 44..... 3-4- أسس عملية التصنيف
- 45..... 3-5- أنواع التصنيف
- 46..... 3-6- تصنيف العلوم
- 47..... المبحث الرابع : أهمية علم تصنيف العلوم وتاريخه
- 48..... تمهيد
- 48..... 4-1- ضرورة تصنيف العلوم
- 50..... 4-2- تاريخ تصنيف العلوم
- 52..... 4-3- تاريخ تصنيف العلوم عند المسلمين
- 56..... خاتمة
- 57..... الفصل الثاني : تصنيف العلوم عند غير المسلمين
- 58..... المبحث الأول : تصنيف العلوم في الفكر اليوناني
- 59..... تمهيد
- 60..... 1-1- تصنيف العلوم عند أفلاطون
- 60..... أ- نظرية المعرفة
- 60..... ب - تصنيف أفلاطون للعلوم
- 66..... 1-2- تصنيف العلوم عند أرسطو
- 66..... أ- نظرية المعرفة عند أرسطو
- 67..... ب- التقسيم الأرسطي للعلوم
- 70..... المبحث الثاني : أساس تصنيف العلوم في الفكر اليوناني
- 71..... تمهيد
- 74..... 2-1- أسس ومنطلقات تصنيف العلوم في الفكر اليوناني

- 74 .....المبحث الثالث : تصنيف العلوم في الفكر الغربي.....
- 75.....3-1- مدخل عام .....
- 77 .....3-2- نماذج من تصانيف فلاسفة الغرب للعلوم.....
- 77.....1- تصنيف العلوم عند فرنسيس بيكون.....
- 80 .....2- تصنيف العلوم عند ديكارت.....
- 83.....3- تصنيف العلوم عند أندريه أمبير.....
- 86 .....4- تصنيف العلوم عند أوغست كونت.....
- 88.....5- تصنيف العلوم عند هربرت سبنسر.....
- 89.....المبحث الرابع : الآثار الوظيفية لفلسفة تصنيف العلوم عند المسلمين.....
- 90.....4-1- أساس تصنيف العلوم في الفكر الغربي.....
- 91 .....4-2- خصائص فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الغربي.....
- 94.....الفصل الثالث : فلسفة تصنيف العلوم : الفكر الإسلامي وأداؤها الوظيفي.....
- 95.....المبحث الأول : تصنيف العلوم عند المدرسة الفلسفية التقليدية .....
- 96.....تمهيد .....
- 97.....1-1- تصنيف العلوم عند الكندي .....
- 101.....2-1- تصنيف العلوم عند الفارابي.....
- 112.....3-1- تصنيف العلوم عند ابن سينا .....
- 118.....4-1- تصنيف العلوم عند إخوان الصفا.....
- 126 .....5-1- أساس التصنيف في المدرسة الفلسفية التقليدية .....
- 130 .....المبحث الثاني : تصنيف العلوم عند المدرسة الدينية الأصيلية .....
- 132.....2-1- تصنيف العلوم عند أبي حامد الغزالي.....
- 132 .....تمهيد .....
- 132 .....-تصنيف العلوم في الرسالة اللدنية .....
- 134.....-تصنيف العلوم في كتاب "لمنقذ من الضلال" .....
- 137 .....-تصنيف العلوم في رسالة "فاتحة العلوم" .....
- 140.....-تصنيف العلوم في كتاب "إحياء علوم الدين" .....

- 145 ..... 2-2- تصنيف العلوم عند أبي حيان التوحيدي
- 149..... 2-3- تصنيف العلوم عند أبي الأكفاني
- 164..... 2-4- أساس التصنيف العلوم في المدرسة الدينية التأصيلية
- 173..... المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند المدرسة العلمية.
- 174..... تمهيد
- 175 ..... 3-1- تصنيف العلوم عند عبد الرحمان بن خلدون
- 193 ..... 3-2- تصنيف العلوم عند طاش كبرى زادة
- 212 ..... 3-3- تصنيف العلوم عند حاجي خليفة
- 216 ..... 3-4 أساس تصنيف العلوم عند المدرسة العلمية
- 221..... المبحث الرابع : الآثار الوظيفية لفلسفة العلوم عند المسلمين
- 225..... 1- الوظيفة العقلية
- 227 ..... 2- الوظيفة الدينية
- 229 ..... 3- الوظيفة التربوية
- 232 ..... خاتمة
- 233 ..... الفصل الرابع : الأبعاد الحضارية في فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي
- 234..... تمهيد
- 235 ..... المبحث الأول : النتائج المعرفية لفلسفة العلوم في الفكر الإسلامي
- 236 ..... 1-1- التمكين للعقل المؤيد
- 236 ..... 1-2- الجمع بين المادي والروحي أو التأسيس الواقعي
- 238 ..... 1-3 استثمار المعرفة والعمل بالفكر
- 238 ..... 1-4 المعالجة الشمولية القضايا الوجودية
- 240 ..... 1-5 منهج وحدة المعرفة وتوحيد المعارف
- 244 ..... المبحث الثاني : الخصائص الفكرية الثقافية للمنهج العلمي الإسلامي
- 253 ..... أ- الفطرية
- 253 ..... ب- النزعة التوحيدية
- 254 ..... ج- النزعة الشمولية أو التأصيلية

255	د- النزعة الواقعية .....
255	هـ- الموضوعية .....
256	و- الثبات .....
257	المبحث الثالث : النشاط العلمي للكيان الحضاري الإسلامي .....
272	المبحث الرابع : دور النظام المعرفي الإسلامي في بناء الحضارة .....
278	خاتمة ونتائج .....
284	الفهارس .....
285	- الآيات والأحاديث النبوية .....
287	- الأعلام .....
293	- الأشكال التوضيحية .....
294	- المصادر والمراجع .....
304	- فهرست البحث .....
309	- الملخص .....



## ملخص البحث

أجاد علماء الحضارة الإسلامية صياغة ما توصلوا إليه من معارف بدقة تتناسب مع حالة العلوم في عصرهم ، فكان الاهتمام الحضاري هو السمة البارزة في النسق المعرفي لتصانيف العلماء المسلمين ؛ الذين أبدوا روحا علمية صادقة ؛ من خلال الجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون ؛ كأبرز مقوم من مقومات فلسفة تصنيف العلوم ؛ التي كان لها أبعاد حضارية بالغة التأثير في مسيرة العلم الإسلامي.

وقد اتضح مما تقدم أن الفكر الإسلامي قدامتلك ناصية منهجية ؛ ذات رؤية حضارية متكاملة ؛ متقومة بالتراث الإسلامي ؛ تلك المنهجية التي ظهرت قسامتها في تفاصيل ذلك الترتيب النسقي لمختلف العلوم التي عرفتها البيئة الفكرية الإسلامية ، وتمثل بجلاء في التوجيه التربوي الذي أبانه فلاسفة المسلمين وعلمائهم ؛ في صورة المواءمة بين العقل والنقل والوجدان في تناول العلوم والعناية بنتائجها ؛ التي تتصل اتصالا وثيقا بحياة الإنسان . وارتبط مفهوم العلم في فلسفة تصنيف العلوم عند المسلمين بمبدأ السعادة والأخلاق ؛ التي هي استجابة لدعوة التوحيد الإسلامي في أبعاده الغائية التي ترتبط بالكسب والإجتهد ، وعمارة الأرض والاستخلاف فيها . فكان للعلم في ذلك ضوابطه وقواعده المنهجية ؛ التي صاغتها خبرات علماء المسلمين في نظرتها العميقة ؛ المستلهمة للنص الديني الإسلامي والمتفتحة على خبرات الآخرين ، وإنجازاتهم . وبلاشك ؛ فقد أثر ذلك التصور في مسيرة الحركة العلمية الإسلامية ؛ وأسس لفلسفة علمية رصينة ؛ ذات أبعاد إسلامية حضارية.

## **Abstract**

Shred scientists Islamic civilization, the formulation of what they knowledge precisely commensurate with the state of the science of their era, was the attention of civilization is the salient feature of the pattern of knowledge of classifications of Muslim Scholars; religion expressed the spirit of scientific honest; through a combination of reading Revelation and read the universe; as the leading ingredient of the ingredients Rating philosophy of science; which have had a significant impact cultural dimensions in the march of Islamic science.

It was clear Mmatkdm that Islamic thought Kdamtlk corner of the methodology; of cultural vision that integrated; Mottagomp Islamic heritage; the methodology that has emerged Ksmadtha the details of massage arrangement systemic of the various sciences that have defined intellectual environment, the Islamic evidenced in the direction of education, who are digging philosophers Muslims and scholars; in the form of harmonization between the mind and conscience of transport and in dealing with science and care results; which is closely related to human life.

Was associated with the concept of science in the philosophy of science at the classification of the principle of happiness and Muslim ethics; which is a response to the invitation of the Islamic Unification in nominally

